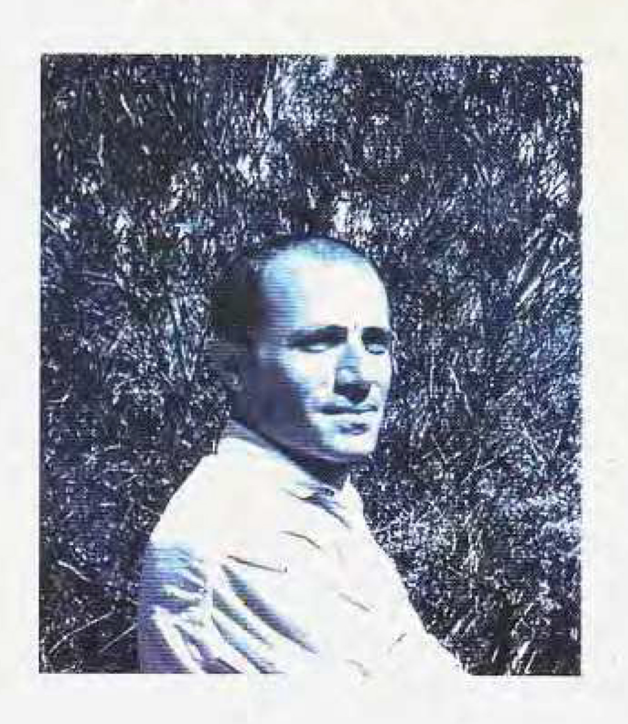
بيتر هونام

امرأة الموساد

قصة موردخاي فعنونو



منشورات الجمل

بيتر هونام

امرأة الموساد

ترجمة : ابراهيم محمد ابراهيم

منشورات الجمل

درس **بيتر هونام** الجريمة والفساد في العديد من البلاد باعتباره من أشهر الصحفيين الذين يقومون باجراء التحقيقات الصحفية. فلقد كشف بالاشتراك مع فريق الانسيت هذا القسم معروف في جريدة السندي تايمز «فريق التقصي والبحث» عن قصة موردخاي فعنونو مطلق صفارة الانذار التي نبهت العالم الى النشاط النووي الاسرائيلي. وكان في عام ١٩٧٧ قد كشف لتليفزيون هيئة الاذاعة البريطانية عن العالم الخطير الذي تتشكل منه العملية الدولية لتهريب السجائر. وفي نفس العام فاز بمسابقة أفضل خبر في مسابقة ماذا تقول الصحف عن ذلك العام.

وهو يبلغ من العمر ٥٥ سنة ألف قبل هذا الكتاب كتبا منها «**من قتل ديانا**» وعرض لبرنامج الأسلحة النووية بجنوب أفريقية.

بيتر هونام: امرأة الموساد، ترجمة: ابراهيم محمد ابراهيم، الطبعة الأولى

Peter Hounam: The Woman from the Mossad, The Torment of Mordechai Vanunu

Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany

Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

المقدمة

من الملائم أن نبدأ هذا الكتاب بالأحداث المخيفة التي وقعت في شهر سبتمبر من عام ١٩٨٦ حين قرر موردخاي فعنونو أن يصبح مطلق صفارة الانذار. فتم حينئذ تعقبه بواسطة فريق استهداف من الموساد. في احدى الدقائق كان يخطو خارج إحدى الطائرات في روما وهو يترقب مبتهجا قضاء عطلة قصيرة مع امرأة أمريكية شابة شقراء كان قد التقى بها في لندن. وفي الدقيقة التالية تلقى ضربة أوقعته على الأرض وكبلت يداه وتم حقنه بمخدّر قوي. عندها أصيب برضوض وكدمات فشعر بحالة من الذهول غاب على اثرها عن الوعي. وفي تلك اللحظة انتهت حياته كانسان حر. ودون أن يدري هل هو موشك على القتل تم تهريبه الى اسرائيل حيث هو اليوم - يقضي مدة حكم تصل الى ثماني عشرة سنة في أشد الظروف قسوة. ذلك أنه أودع في زنزانة من الخرسانة ليس بها سوى نافذة ضيقة فوق مستوى الرؤية لا يتحرر منها سوى للذهاب من وقت لآخر الى المحكمة أو لقضاء بضع ساعات في كل أسبوع لممارسة الرياضة كما أن لديه مكاناً به دش يؤدي في نفس الوقت وظيفة المبولة. لقد قضى ١٢ عاما من فترة عقوبته في حجز انفرادي. ومنذ ربيع ١٩٩٨ سمح له بالاختلاط بعدد قليل من المسجونين الذين تم انتقاؤهم ولكن لا يسمح لأحد بزيارته من الخارج سوى حراسه ومحاميه وأشقائه وشقيقاته ولكن هؤلاء لم يسمح لهم بذلك سوى مرة كل أسبوعين.

فماذا تراه قد فعل حتى يستحق مثل هذه المعاملة «هل قام بتدبير مؤامرة لاغتيال الرئيس ام باع أسرار الدولة لدولة معادية» لقد كانت ما

تسمى بجريمة، مورد هي التحدث الى الساندي تايمز. وعلى الأخص الي أنا عن المفاعل السري للأسلحة النووية بصحراء النقب الاسرائيلية حيث كان يعمل.

يرى معظم العقلاء أنه قام بعمل شجاع غير أناني. كذلك فان عملية اختطافه وقبل محاكمته على أراضي دولة متحضرة أوربية من جانب عملاء قوة صديقة واحدة من فضائح الجاسوسية الكبرى في فترة ما بعد الحرب. ومما يدعو للأسف أن ايطاليا وبريطانية وحليفة اسرائيل أي الولايات المتحدة ليست مستعدة لاثارة هذا الأمر. ذلك أن هذه الدول لديها أسباب وجيهة تجعلها تلتزم الصمت اذ أنه حسبما يبين هذا الكتاب هناك بلاد كثيرة ساعدت اسرائيل على حشد ترسانة نووية متقدمة ضخمة. فبينما يتم قصف الدول التي تجرب هذا التكتيك مثل العراق الى درجة الانهاك التام تتلقى اسرائيل مساعدة مالية ضخمة وكذلك قدرا من الحماية والتدليل.

والأمر المحرج أن فعنونو بين أن اسرائيل قد كدست مع مقدم عام ١٩٨٦ تنويعة كبيرة من الأسلحة النووية من الاتقان بحيث يمكن اطلاقها عن طريق جيل جديد من الأسلحة الباليستية التي تقوم هي أيضا بتطويرها. كما أن نطاق هذا البرنامج مثير من الناحية الفنية التقنية كذلك فان الأدلة التي تقدمها الصور التي التقطها هذا الاسرائيلي من داخل المجمع النووي ليست موضع شك ولا يمكن دحضها.

كانت جميع الحسابات السابقة توحي بأن اسرائيل لا تمتلك سوى حفنة من القنابل الذرية. فاذا بفعنونو يبين أنه قد تم انتاج ما بين مائة ومائتي جهاز أو وسيلة خطرة وأن اسرائيل بعد أن أنتجت القنابل انتقلت الى تصنيع رؤوس حربية نووية حرارية. وتزهو هذه المجمعات النووية بانتاج القنابل النيوترونية التي تتسبب في خسائر أقل نتيجة لانفجارها غير أنها تقضي على كل كائن عضوي حي. وكذلك القنابل الهيدروجينية التي تفني المدن - حقا انه سلاح أشبه بيوم القيامة.

واليوم وفي نهاية عام ١٩٩٩ ما زال مفاعل ديمونة يعمل ويمكن للمرء أن يقدر ما في ترسانة اسرائيل بما يزيد عن ٤٠٠ قنبلة. ولقد دأبت اسرائيل بالطبع على انكار امتلاكها لأي من هذه القنابل. فهي تردد كالببغاء نفسالادعاء المضلل وهو أنها لن تكون أول من يدخل الأسلحة النووية الى الشرق الأوسط.

ان قصة فعنونو التي تفجرت في الساندي تايمز اللندنية في الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٦ أخبرت العالم دون تجمل في استخدام الألفاظ أن اسرائيل كاذبة في هذه القضية الحيوية. وحين تنكر اسرائيل أنها سادس أكبر قوة نووية في العالم أو حتى أنها لا تمتلك سوى مجرد قنبلة ذرية بدائية واحدة فهي بذلك تتحدى القوى الغربية بسخرية كي تصدر عنها استجابة. ولقد أمكنها أن تتوقع بوضوح الاستجابة المحتملة.

وكما كان يحدث في الماضي تململ الدبلوماسيون في وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي وزارة الخارجية البريطانية والدول الصديقة لهما في الخارج ثم ظلوا في صمت وسكينة. اذ كانوا بالطبع يعلمون أن اسرائيل كانت تهزأ بالمبادرات الدولية الخاصة بعدم انتشار الأسلحة النووية كما كانوا يعلمون أنه حين ترى اسرائيل وهي تفلت بنشاطها النووي فان الدول الأقل ودا سوف تقاوم الضغط الذي يمارس عليها كي تحد من طموحاتها النووية.

لذا فان هذا الكتاب هو محاولة لعرض الأحداث التي وقعت وفضح أفعال المسؤولين عن سقوط مورد المأساوي بسبب محاولته القاء الضوء على دور الحكومات التي ساندت عملا من الأعمال المنافية للشرعية والانسانية بل وغضت النظر عنه رغم ما يصيب به النفس من غثيان أو تلك الدول التي ساعدت اسرائيل على تطوير القنبلة. كذلك يكشف هذا الكتاب عن جوانب خفية من قصة فعنونو - اذ كيف تم على وجه الدقة انتشاله من ايطاليا واعادته الى اسرائيل. وآمل أن يشعل هذا الكتاب شرارة تؤدي الى محاولة جديدة من أجل فتح ملف قضية فعنونو

اذ لا بد أن تعترف الحكومة الائتلافية الحالية في ايطاليا بأن التقصي الأصلي كان تمثيلية هزلية. واذا ابتسم الحظ لهذا الكتاب فلربما يتسبب في ممارسة الضغط داخل اسرائيل من أجل تحرير رجل مهذب أراد ببساطة أن يخبر شعبه كيف أن طغمة صغيرة من السياسيين والجنرالات قد أنفقوا سرا مبالغ هائلة من المال العام. تزعم اسرائيل أنها دولة ديمقراطية الا أنها في ما يتعلق الأمر بمسائل الأمن تميل الى أن تكون دولة دكتاتورية.

لم يكن فعنونو هو الوحيد الذي يعد دوره دورا محوريا في هذه القضية. ذلكأن العميلة السرية الشقراء التي عرفها باسم سيندي لعبت دورا حساسا في الحد من الضرر الذي كان يمكن أن يتسبب فيه ما أفشاه من أسرار. اذ كانت تعمل لصالح الموساد وكالة المخابرات الاسرائيلية التي أوقعت في احدى المرات بالمجرم النازي أدولف أيخمان والتي اغتالت بطريقة منهجية الفلسطينيين الذين هاجموا الرياضيين في الألعاب الأولمبية في ميونخ وقتلت مخترع المدفع الفائق الكندي جيرالد بول. لو أن فعنونو ظل مطلق الصراح كي يدلي بشهادته أمام الكونجريس في الولايات المتحدة لكانت الآثار السياسية والديبلوماسية المترتبة على هذه الشهادة آثارا هائلة. لذا كانت مهمة الموساد هي ايقافه كما كانت مهمة سيندي هي أن تستغل ما كان يشعر به من وحدة وأن تغريه حتى تشتت اهتمامه بهدفه مستعملة أقدم الحيل - اغراء الجنس.

ولم تتمكن سوى من تحقيق نجاح جزئي كما يصف هذا الكتاب بالتفصيل. اذ أن الساندي تايمز استمرت في نشر الأسرار التي كشف عنها مورد برغم ما بذلته سيندي هي والفريق المساند لها من جهود. وفي نهاية الأمر فشلت ببساطة في أن تتوارى بعد أن أكملت مهمتها وأن تجعل شخصيتها لغزا للأبد. لقد استغرق الأمر مني شهورا من الجهد المضني غير أني في النهاية اكتشفت حقيقتها وتعقبتها في اسرائيل.

وحين رأيت رد فعلها المرتعد كان ذلك نوعا من التعويض عندما ظهرت أمامها دون سابق انذار أمام عتبة باب مسكنها في نتانيا كي أخبرها بأن اسمها على وشك أن يذكر. وبذلك أصبحت عديمة الجدوى من حيث القيام بأي دور في المستقبل كعميلة تعمل تحت ستار أو غطاء. أما عن كونها أمريكية فهذا أمر أكثر أهمية مما يعترف به البعض. ففعنونو يشك في أنها كانت تعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية وكان لدى الولايات المتحدة حقا الكثير مما تحتاج الى اخفائه كما يتضح من الفصول اللاحقة.

فالنفاق الذي تبديه بشأن امتلاك اسرائيل للأسلحة النووية نفاق خارق للعادة. اذ أن الولايات المتحدة ظلت لوقت طويل تظهر علامات عدم الموافقة غير أنها ساعدت اسرائيل بالفعل على استكمال ديمونة - وكشف هذا الأمر لا بد له أن يتسبب في قدر من حساب النفس حتى في هذا الوقت.

اني أعتبر موردخاي فعنونو صديقا واجه التعذيب الناتج عن فترة العزلة الطويلة وسوء المعاملة دون اظهار أي تبرم أو ألم بل بشجاعة مدهشة. لقد عانى فعنونو بما فيه الكفاية فاذا تأثر القراء بهذه القصة فاني آمل أنهم لن يظلوا صامتين وانما سوف يحتجون على هذا الظلم.

العثور على فعنونو

بالنسبة لي بدأت قصة فعنونو الحافلة بالأحداث في ٢٧ أغسطس عام ١٩٨٦ . لولا ما حدث لكان مساء عاديا كنت أثناءه أجلس أمام مكتبي في فريق التقصي والبحث في جريدة الساندي تايمز في حجرة الأخبار التي كانت في وقت من الأوقات مخزنا قديما للخمور. كانت جزءً من المطبعة الجديدة في المنشأة التي أقامها روبرت ميردوخ في خارج المجمع المحاط بالأسلاك الشائكة كان منظمو الاضراب يناضلون ضد المحل الذي يخطط رجل المال الكبير يقصد ميردوخ لبنائه بعيدا عن التبعية للنقابة. أما نحن في الداخل على أي حال فكنا نتصارع مع مشكلة مختلفة - هل أوسكر جيريرو صحفي كلمبي أم محتال أم هو مصدر لقصة مثيرة عن ترسانة الأسلحة النووية الاسرائيلية كان جيريرو قد ظهر قبل ذلك ببضعة أيام في مدريد قادما اليها من ايطالية.

وقام بجولة في جميع مكاتب الصحيفة المحلية منها والأجنبية دون أن يثير قدرا كبيرا من الاهتمام. كان سلوكه جزء من المشكلة. اذ كان جيريرو ينضح بشيء لا يوحي بالاخلاص وبدت قصته أبعد من أن تصدق. اذ قال انه ساعد على تهريب عالم نووي خارج اسرائيل وانه أخفاه في سيدني. وأخرج مجموعة من سبع صور فوتغرافية ملونة يفهم منها أنها تبين ديمونة من الداخل ومن الخارج أي موقع مركز الأبحاث النووية الاسرائيلية في صحراء النقب. وقال وهو يشير بيديه بعنف انه يملك أكبر قصة منذ ووترجيت ان العالم بامكانه أن يثبت أن اسرائيل لا تمتلك عددا كبيرا من الأسلحة الذرية فحسب وانما طورت أيضا قنابل نيوترونية.

وبعد فترة ظهر جيريرو في مكتب تيم براون وهو صحفي مقيم في مدريد ويراسل عددا من الصحف البريطانية من بينها الساندي تايمز. وانتهز الكولومبي لحظة مواتية لأن براون كانت حالته المعنوية منخفضة بسبب خلاف مع زوجته. اذ قدم هذا الزائر الظريف المسلي نوعا من التسرية كما أصغى الى قصته لفترة طويلة. وكان براون شأنه شأن جميع من زارهم جيريرو يشك فيه شكا شديدا ومع ذلك فقد بعث برسالة عنه لمكتب الشؤون الخارجية للساندي تايمز أفصح فيها عن شكوكه لمحرر الشؤون الخارجية ستيفين ميليجان غير أنه عبر عن رأيه بأن الصور مثيرة للاهتمام. فتم ارسال جون سوين مراسل الصحيفة للشؤون الخارجية الشهير والمقيم في باريس كي يحضر جيريرو.

أحضر سوين جيريرو الى لندن لسبب واحد فقط. ذلك أن حجرته في الفندق في مدريد كانت مجاورة لحجرة جيريرو ولم تكن الجدران سميكة بالقدر الكافي حتى أنه سمعه يجري مكالمة دولية لاستراليا ويتحدث الى مصدر معلوماته العالم النووي الذي ذكر أن اسمه موردخاي فعنونو. فتقرر على وجه السرعة في حجرة الأخبار أن أي شيء يجب تتبعه وأن مكتب الشؤون الخارجية لم يستطع تناول الموضوع وأن هناك حاجة الى عودة سوين الى باريس. وأصبحت مهمة التعامل مع جيريرو الزئبقي من مسئولية فريق الانسيت أي فريق التقصي والبحث الذي ساعدت في ادارته تحت اشراف محرر الموضوعات الخاصة روبين مورجان.

لقد كان مورجان أيضا يشك في مزاعم جيريرو ولكن بما أني حصلت على شهادة في الفزياء أسندت الي مهمة توجيه الأسئلة الى جيريرو واصطحابه الى أستاذ في الفزياء النووية يقيم في لندن ليقوم بتوجيه الأسئلة اليه. فقام جيريرو أيضا بعرض غير مقنع الا أن الصور أسعفته مرة أخرى. اذ ظن الخبير البريطاني أنها قد تكون حقيقية بمعنى أنه ظهر بها صناديق للقفازات ومعدات للتعامل مع المواد المشعة

وكذلك ظهر ما بدا أنه قبة مفاعل. في غرفة الأخبار كان مورجان والمحرر أندرو نل يفكران مليا فيما اذا كانا سيستمران في بحث الموضوع. اذ لم يكن هناك شيء يمكن عمله أكثر من ذلك دون أن يذهب أحد الى سيدني كي يقابل العالم، الأستاذ فعنونو، ويستكشف قصته.

فقررا القيام بالمجازفة برحلة مكلفة وقد تكون فاشلة. وفي ٣٠ أغسطس ركبت أنا وجيريرو الطائرة وطرنا نحو الجنوب فيما اتضح بعد ذلك أنها حركة حالفها الالهام.

لم تكن رحلة سارة حيث كان جيريرو يضايق كل امرأة جذابة تمر بنا. اذ كان يحمل معه في كل مكان حافظة أوراق صغيرة اعتاد أن يخرج منها صورا كبيرة باللونين الأسود والأبيض يظهر فيها مع شخصيات عالمية شهيرة مختلفة مثل رئيس وزراء اسرائيل شيمون بيرس ولخ فالسا. هذه الصور كما قال قد تم التقاطها في العديد من مهماته الصحفية ولكن من الممكن أيضا أن تكون مزيفة. مع تقدم الرحلة بدا جيريرو أقرب الى الشخص الشارد منه الى الصحفي المازح وهي الصورة التي أراد للآخرين أن يقتنعوا بها.

عموما فلقد أعانني هذا الوضع على اغتنام الفرصة كي أسأله بمزيد من التفصيل عن القصة التي يروج لها. فأخرج جيريرو بطريقة درامية ثماني صفحات أربعة في أربعة مطبوعة على الآلة الكاتبة تحدد الشخص الغامض الذي كان على وشك أن يجلب له الثروة. وقال، هذه سوف تجعل منك شخصا مشهورا - مشهورا تماما مثل صحفيي ووترجيت، ثم سلمني الوثيقة. في الأيام القليلة القادمة ستكون هذه بمثابة تعويذة السحر تقريبا بالنسبة له بينما كنت أقرأ نسخته كاد قلبي أن ينخلع لما بها من لغة انجليزية معقدة اذ كان من الواضح أنها غير صالحة للنشر وغريبة وغير ملائمة. كذلك ركزت على الضربة الموفقة التي مكنت جيريرو من العثور على فعنونو أكثر من تركيزها على ما كشف عنه.

تقول قصة جيريرو، لأول مرة على الاطلاق يكشف فيها عالم

اسرائيلي عن أسرار مجمع النقب النووي ويكسر حاجز الصمت الطويل ويقر بأن اسرائيل تمتلك أعقد قنبلة ذرية في العالم وأن ما لدى الأمريكان من تكنولوجية نووية وكذلك الألمان والروس والصينيين وغيرهم من الدول قد تم تجاوزه. كان هذا هو تقريبا كل ما ذكرته عن مطامح اسرائيل النووية. ثم انخرط في قصة غريبة تحكي كيف أنه ذات صباح غائم شديد البرودة كان يجلس في أحد المتنزهات حين ترك أحد الحاخامات نسخة من كتاب حياة مارتين لوثر كينج على أحد المقاعد المجاورة. وبداخل هذه النسخة كانت هناك رسالة تقول، لا تتخاذل. استمر ولا تفقد ايمانك. واستمرت القصة كي تبلغ جيريرو بأن يتوجه الى حديقة الحيوان. وقابل هناك أثناء مشاهدته ثعبان الكبرا في بيت الثعابين عالما ذا شعر أبيض ومعه حفيدته ثم سجل جيريرو سلسلة من الأسئلة والأجوبة تتعلق بالسبب الذي جعل هذا الرجل قد تحول الى أحد دعاة السلام وأن يصبح مطلق صفارة الانذار. ومرة أخرى لم تكن هناك أية تفاصيل عن البرنامج النووي الذي كان هذا الرجل كما يزعم مساهما رئيسا فيه. ثم وصف جيريرو بألفاظ معبرة حية كيف تم تهريبه بمساعدة كلمة السر أ ٣٢ خارج البلاد، وأدركت حين أقلعت الطائرة مدى خطورة الحياة التي كنت أحياها أثناء الأشهر القليلة الماضية.

وبدا أن كل شيء في القصة ملفق وحين حجز جيريرو غرفة في فندق الهيلتون بسيدني لم تكن لدي توقعات كبيرة بأني سوف أكون قادرا على الكشف عن قصة صحفية مثيرة. وبدت الرحلة الى حد كبير وكأنها رحلة بلا طائل. وزادت توقعاتي تضعضعا في خلال ساعة حين اتصل جيريرو بي تليفونيا ليطلب مني أن أذهب بسرعة الى حجرته. وقال، الأستاذ فعنونو موجود هنا كي يقابلك. ولما كنت أترقب رؤية جد ذي شعر أبيض كما وصفته قصة أوسكر لم أكن أتوقع رؤية ذلك الشخص البالغ من العمر ٣١ عاما بشعره الآخذ في الانحسار وملابسه العادية غير الرسمية. كالذي كان يقف بجانب نافذة جيريرو. لقد كان يرتعد من

الخوف بشكل واضح ولم يبدو أنه بأي حال عالم من أعلى طراز. صافحت فعنونو فابتسم. وقال جيريرو مزهوا، هذا هو الرجل الذي سوف يجلب علينا الثورة وسوف ترى الآن - هذا الموضوع أكبر من ووترجيت.

حين جلسنا وبدأ موردخاي يجيب عن أسئلتي بصبر ازداد وعيي بأن جيريرو روى مجموعة من الأكاذيب بها ظل وحيد من الصدق - وهو أن الشخص الغامض على ما يبدو كان يعمل في ديمونة. اذ قال الاسرائيلي انه كان يعمل كفني يساعد في تشغيل مصنع لفصل البلوتونيوم هناك. وسلم على الفور وبلا جهد بأنه ليست لديه أية معرفة تفصيلية بتصميم السلاح النووي غير أنه زعم بأن يتذكر جيدا العمليات الكميائية وأن بامكانه أن يصف بالتفصيل الصور الفوتغرافية التي أحضرها جيريرو معه الى انجلترا. بالاضافة الى خمسين صورة أخرى التقطها داخل المصنع.

لم يكن هناك فائدة ترجى من مواجهة جيريرو بما يمارسه من خداع وغش؛ اذ أن هذا الأمر يمكن أن ينتظر حتى تأتي مناسبة أخرى. ذلك أن السؤال الآن هو هل لدى فعنونو الفني البسيط هو الآخر قصة مثيرة للاهتمام يمكنه أن يرويها وعلى نفس الدرجة من الأهمية هل هو يقول لي الحقيقة. اذ قد يكون جيريرو آخر يخترع قصة من أجل الشهرة أو المال ولكن كان من المممكن أيضا أن يكون هذا جزء من ممارسة اعطاء معلومات خاطئة تقوم بها جماعة مهتمة باذكاء النار في الشرق الأوسط.

وبينما كان يتحدث في ذلك اللقاء الأول ويجيب عن جميع أسئلتي بصبر كان من الواضح أن لقاء حديقة الحيوانات الذي وصفه جيريرو لم يحدث قط. اذ أن الاثنين قد التقيا في كنيسة القديس جونز الأنجليكانية في منطقة كينجز كروس بسيدني. ذلك أن فعنونو كان يقيم هناك بعد أن اعتنق الديانة المسيحية كما أن جيريرو الذي كان عاطلا كان يساعد في طلاء الكنيسة. وقد روى مورد كما كان يعرف لمجموعة

مناظرات عن عمله في ديمونة وعن معارضته للأسلحة النووية وتسمع الكولومبي الى ما كان يقول وعرض خدماته كي يعمل على نشر القصة في احدى الصحف الكبرى. كانت هذه رواية للأحداث تختلف اختلافا جذريا غير أنها بدت أكثر قابلية للتصديق الى حد كبير. فنمت لدي الثقة ببطء بأن مورد قد يكون شاهدا مفيدا على ما بدا أنه قصة زوبعة تثيرها الدولة اليهودية.

كانت لغة مورد الانجليزية متواضعة ولكنها بدت جيدة لشرح عمليات معقدة تماما وتقديم أوصاف لمناطق الانتاج المختلفة في ديمونة. والأمر الأكثر اقناعا هو استعداده بأن يقر بأنه لا يستطيع أن يجيب عن جميع أسئلتي بسبب وضعه الفني المنخفض. يجب على الصحفيين الذين يقومون بالأبحاث أن يأخذوا حذرهم من المحتالين غير أنهم غالبا ما يتصنعون أنهم يعلمون جميع الأجوبة معتمدين على الخيال النشط. وبدا من التقييم الأولي أن هذا الرجل يفتقر الى الدهاء الذي يمكنه من اختراع مثل هذه الحكاية المعقدة.

شرح مورد الكيفية التي تم تجنيده بها في نهاية عام ١٩٧٦ في مركز الأبحاث النووية على ما يبدو للعمل في تطوير الطاقة النووية من أجل الأغراض السلمية. وبعد التدريب تم ارساله للعمل في مجمع ديمونة بمرتب جيد مع اتاحة الفرص للدراسة. غير أنه مع مر السنين علم أن المصنع النووي الخفي الذي ساعد في مراقبته وضبطه يصنع البلوتنيوم المادة الرئيسة اللازمة لنوع واحد من القنبلة الذرية. بل أنه علم بعد ذلك أن الأجزاء اللازمة للأسلحة النووية كانت تجهز وتركب في غرفة صغيرة تحت الأرض.

أثناء وقت فراغه كان يذهب الى الجامعة لدراسة الفلسفة والاختلاط بالطلبة العرب فأصبح أكثر تحررا من الوهم بشأن ما كان يساعد اسرائيل في أن تحققه سرا. وقال انه سوف يتكلم عن أسرار ديمونة الخفية حين انزعج من كمية وتعقيد الأسلحة التي يتم انتاجها في

الطوابق الموجودة تحت مصنع البلوتونيوم. ولم تكن اسرائيل تكدس ترسانة من الأسلحة النووية فحسب بل كانت تصنع القنبلة النيوترونية والقنبلة الهيدروجينية اللتين تملكان قوة تدميرية هائلة. وكان هذا السر يعرف باسم العملية همب.

أثناء قراءته عن الأسلحة النووية كان عدد من الأشياء واضحا. اسرائيل دولة صغيرة جدا محاطة بدول عربية في حالة حرب معها من الناحية الفنية. فاذا ما أطلقت الأسلحة النووية أثناء هجوم ما فان سكانها سيكونون معرضين لخطر الغبار النووي. وعلى أي حال لم يكن هناك أي معنى ستراتيجي للقنبلة الهيدروجينية اذا كانت اسرائيل تحاول فقط ردع المعتدين بما أن القنابل الذرية مشابهة لتلك التي انفجرت في اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية فسوف تؤدي نفس الغرض. وكان فعنونو يشعر بالمرارة من أن الكنيست الاسرائيلي البرلمان لم يناقش هذه الأمور قط، في واقع الأمر كان الموقف الرسمي للحكومة الاسرائيلية منذ أيام دافيد بن غوريون هو أن اسرائيل لن تكون أبدا هي البادئة في ادخال الأسلحة النووية في الشرق الأوسط.

بينما كنا نجلس في الحجرة في فندق الهيلتون استرجع الحنق الذي شعر به حين قرأ الأخبار الصحفية التي تتحدث عن صناعة اسرائيل صواريخ باليستية قادرة على الوصول الى ما بعد الشرق الأوسط.، هذا جنون يا بيتر. يجب تحذير العالم من أن بلادي تبني سرا آلة حربية نووية ضخمة. وأنا أريد أن أوقف ذلك. وأعلم أني أقوم بمخاطرة ولكن لو أني رفعت صوتي ونشرت القصة في الساندي تايمز فربما تضغط دول أخرى مثل أمريكا كي توقفهم.

روى فعنونو كيف أنه في أكتوبر عام ١٩٨٥ غادر ديمونة بحجة العمالة الزائدة مع أنه قد فصل تقريبا بسبب اختلاطه بالعرب وظهوره في مظاهرات الجامعة.

ولقد كافحت النقابة - لعله يقصد الهيستدروت وهي اتحاد العمال

في اسرائيل، المترجم - من أجل الغاء فصله ثم أبلغ بأن ينتقل الى ماخون ٦ الذي ينتج الكهرباء وغير ذلك من الخدمات للمركز. وكان ذلك فوق الاحتمال. فسافر الى استراليا عن طريق اليونان وبلاد آسيوية مختلفة ومعه ٧٥٠٠ دولار وما ادخره من بيع شقته وسيارته. وحمل في حقيبته الصغيرة بكرتين من أشرطة الأفلام التي التقطها داخل ديمونة ولم يقم بتحميضها الا في سيدني. وقال، حين انطلقت لم أكن أدري هل سوف أتكلم عن عملي في اسرائيل. أخذت الصور لأني كنت أريد سجلا في حالة ما اذا قررت أن أعلن ما أعلم.

بعد ثلاث ساعات كان جيريرو يشعر بالتعب فقررنا أن نؤجل الحديث الى اليوم التالي. قال فعنونو أنه يعمل سائق سيارة أجرة بسيدني غير أنه يستطيع أن يحصل على وقت للراحة. كانت بعض الصور التي التقطها شفافة لذا بدأت الجلسة التالية في حجرتي مع وجود شرائح توضيحية. بذل مورد جهدا جهيدا لوصف كل صورة - لقطات مبان من الخرسانة العارية التي لفحتها الشمس والشيء الأكثر اثارة هو حجرة تحكم بطول ملعب التنس بها رسوم معقدة وقياسات أو عدادات وعدد لا يحصى من المفاتيح. فاذا كان كله خداعا فلا بد أن شخصا ما وليس فعنونو بمفرده قد عانا كثيرا كي يجعلها تبدو غير ذلك. ومع جيريرو الذي كان يتصل بانتظام بخدمة الحجرات طالبا المزيد من المؤن من زجاجات البيرة وقطع البفتيك والآيس كريم دون أن يبدي أي اهتمام بعملية الاستفسار ظهرت قصة مهمة ومثيرة مليئة بالحركة. اذ قال فعنونو ان مركز الأبحاث النووية بالنقب كيريا ليمهيكار جاريني بالعبرية يقع في واحة مزروعة بالنخيل خارج طريق بئر سبع وسدوم وعلى بعد تسعة أميال عن مدينة ديمونة الصغيرة حيث يسكن معظم العاملين. وفي كل يوم في السابعة صباحا يركبون أسطولاً من ٤٠ حافلة نوع فولفو بيضاء وزرقاء وبعد تفتيش أمني يمر عند بوابة خارجية كثيرا ما يكون ذلك بشكل خاطف يمرون بالسور المكهرب

الأول. وبعد ذلك بثلاثة أميال يؤمرون بالتوقف عند مكان لانتظار السيارات حيث تتم عملية تفتيش أشد صرامة قبل السماح بدخول المجمع الداخلي. وكان كل شخص يتم توعيته بأن أي خرق للبروتوكول من قبيل التحدث بعدم مسؤولية مع الزوج أو الزوجة يعني حكما بالسجن لمدة ١٥ سنة.

كان هذا المركز يشمل حدائق زهور ومزارع كبيرة تنبت فيها الشجيرات ومباني جيدة التصميم. عبر شيمون بيرس عن زهوه بالنتائج في مذكراته، لقد قررنا أن يكون مفاعل ديمونة متنزها صناعيا يتمتع بأعلى مقاييس الجمال وأرقاها بحيث يكون مبعث بهجة. فكلفنا أكبر المهندسين المعماريين وفي الحقيقة فان مباني المكاتب والمباني السكنية وكذلك المرافق العلمية التي قاموا بتشييدها ما زالت تضم أكثر المجمعات الصناعية جذبا في البلاد تزدان بأشجار نخيل باسقة متمايلة قد زرعت كي تخفف من أفق الصحراء القاحلة...

قال مورد ان أهم المباني التي تعرف باسم الماخون تتعامل مع عمليات الانتاج النووية المختلفة ومعامل الأبحاث. وهذه لها الأمن الخاص بها بحيث يقتصر دخولها فقط على من لديهم تصاريح سليمة. ولهذا السبب كانت معلوماته مركزة على مبنى واحد يسمى ماخون ٢ منفصل عن مفاعل ديمونة بطريق خدمات.

من الخارج أو أي مكان لاجراء مسح بالنسبة للطائرات التي تحلق فوق رأس أي أحد أو في الصور الملتقطة عن طريق الأقمار الصناعية بدا المبنى وكأنه لا نوافذ وبه منطقة تخزين في مستوى الأرض وطابق واحد في أعلى. كشف فعنونو عن أن هذا جزء من خطة تفتقت الأذهان عنها في الخمسينيات حين بدأ بناء ديمونة للتعتيم على حقيقة أنه أكثر مجمعات اسرائيل العسكرية التي يقصد اخفاؤها اخفاء تاما. كان مجمع ماخون ٢ قد تم بناؤه وبه ستة طوابق منحوتة في الصحراء ولا يعرفه أي أحد خارج دائرة أولئك الذين يعملون في ديمونة ونواة صغيرة

من أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلي. ولم يكن هناك أي دليل على وجوده سوى برج للمصعد. في هذا القبو المخبأ تحت الأرض المحاط بجدران سمكها عدة أقدام كان مع فعنونو ١٥٠ آخرون يعملون في أكثر الأجزاء أمانا بمجمع ديمونة في صناعة البلوتونيوم.

وبدأ في شرح الكيفية التي تستخلص بها هذه المادة الثمينة معتذرا عن افتقاره الى المعرفة العلمية المتينة ولكن على ما يبدو كان يروي قصة مترابطة عن الوظائف المختلفة لهذا المصنع وذلك بالتقليب في كوم من الأشياء المطبوعة الملونة عن طريق التنقل بالمفاتيح الى الخلف والى الأمام بين الشرائح. كنت أعلم أن البلوتونيوم لا يظهر في الطبيعة وأنه ينتج في عملية الانشطار في مفاعل نووي حين تستأصل قضبان وقود اليورانيوم.

كما قال فعنونو كانت تؤخذ من مفاعل مجاور كل ثلاثة أشهر وهو الوقت الذي تنتج فيه أنقى وأفضل كمية من البلوتونيوم ١٣٩ ويتم احضارها الى الوحدة رقم ١٠ وهي واحدة من عشرات الأقسام في ماخون ٢ عن طريق دفع من حجرة تسليم معينة. وتدلى شاحنات حاملة لمائة من قضبان وقود كبيرة من قضبان الوقود الأصغر مأخوذة من داخل المفاعل وكل منها شديدة النشاط الاشعاعي في سلال بواسطة روافع أو أوناش الى أعماق أرضية المبنى. كانت تمر بالمستوى رقم واحد وهو منطقة خدمة ومستوى ب وهو بصفة رئيسة حجرة التحكم في المصنع ثم الى مستوى رقم ثلاثة حيث توضع في صهاريج كبيرة تحتوي على مادة كميائية كي تنزع عنها غطاء الألومينيوم. هذه العملية تترك أسطوانة من معدن اليورينيوم محتوية على بعض البلوتونيوم. وكما كان فعنونو يعرف تمام المعرفة فان مهمة الفصل بين الاثنين تعد عملية معقدة وخطرة تنطوي على طرق فنية متقدمة من الهندسة الكميائية. فبعبارة بسيطة تتحلل القضبان في حامض ثم تضخ من خلال شبكة من الأنابيب المعقدة الملتفة أو أوعية ضخمة للسوائل تراقب كل منها من

حوامل على مستوى رقم. ٢ وقال ان كان يعمل في كل وحدة وأصبح عضوا موثوقا به في الفرق التي كانت تعمل على نوبات كي تحافظ على العمل في حالة تشغيل مستمر.

ربما كان مورد فنيا غير أنه بدا عليه أنه شاهد مرتفع الذكاء يتمتع بسهولة تذكر تفاصيل معدلات التدفق وكميات الكيماويات المستخدمة في مراحل مختلفة في عملية فصل البلوتونيوم. وكان يعرف على وجه الخصوص كمية البلوتونيوم المنتجة وكان من الواضح أن هذا أكثر بكثير مما خمنه أي أحد.

كما قال ان التريتيوم والليثيوم ٦ كانا يصنعان وهما مكونان للأسلحة النووية الحرارية ذات عائد أكبر بكثير؛ وهي امكانية لم تخطر ببال أحد في قراءتي لما سبق نشره. فهذه أسلحة في امكانها محو أي مدينة كبرى دون الدخول في أي معركة معقولة.

في نهاية اليوم الثاني غط جيريرو في النوم على الفراش في الفندق. وكان من الواضح أن فعنونو قد توصل الى أني لست عميلا بالموساد ذلك الجهاز الاسرائيلي المسؤول عن التجسس الخارجي الذي قد يكون عازما على اغتياله.

فبدأ يشعر بالاسترخاء أما أنا فكان ذهني مستغرقا في وفرة التفاصيل التي كان فعنونو قادرا على امدادي بها. ففكرت أنه من الواجب التحقق من مزاعمه وذلك عن طريق فحص قصته فحصا جيدا بالاستعانة بمساعدة علمية. فمن المحتمل أن تكون قصة كبيرة جدا. اذ أنه عبر السنين كانت هناك تقارير تفيد بأن ديمونة قد أنتجت عددا من القنابل الذرية. غير أن فكرة تكديس عدد كبير منها وأنه قد تم تطوير قنابل نيترونية وهيدروجينية كانت فكرة جديدة تماما. والأكثر من ذلك أنه لا يوجد أي شخص قد روى قصة ديمونة من الداخل - فهو شاهد عيان معه صور تبين أقصى ما يمكن الوصول اليه من المجمع. ومع ذلك هناك أسئلة مهمة كانت في حاجة الى التناول. اذ أنه في خلفية ذهنية

كانت ما زالت تتردد امكانية أنه أفّاق انطلق كي يزرع رواية زائفة. لقد أهينت الساندي تايمز حين أجبرت على أن تقر بأنها اشترت مجموعة مزيفة من يوميات هيتلر وليس في امكانها أن تجازف بتحمل هذا الخزي مرة أخرى.

في ذلك المساء أرسلت بفاكس الى لندن لخصت فيه ما أخبرني به فعنونو حتى يمكن لأعضاء فريق البحث والتقصي أن يقوموا بعمليات التحقق. ترك هذا موضوع ما اذا كان فعنونو يمكن أن يثبت لنا حقيقة شخصيته وأنه كان يعمل حقا في أكثر الأجزاء حساسية في أكثر منشآت اسرائيل سرية. وبوجه خاص - اذا كانت اجراءات الأمن محكمة الى هذا الحد - وكيف استطاع أن يهرب بفيلمين التقطتهما آلة تصوير استطاع تهريبها الى داخل المصنع.

وهذه هي القضية التي واجهته بها في اليوم الثالث. وكالمعتاد لم تكن لجيريرو أية فائدة، من المؤكد أنك تستطيع أن ترى أنه حقيقي يا بيتر. فهو يخاطر بحياته بالتحدث اليك. صدقني اني أعرف هذا الرجل معرفة جيدة.

فهو صديقي ويمكنك الثقة به، ولحسن الحظ لم تكن المدة التي يستطيع فيها الكولومبي أن يواصل الانتباه مدة طويلة. اذ سرعان ما كان على التليفون يخاطب خدمة الحجرات وهو غارق في أحلام اليقظة التي تداعبه عن الثروة التي وقعت في طريقه. من ناحية أخرى فهم فعنونو أني يجب أن أكون حريصا، اني أحاول الاجابة على جميع أسئلتك، ذلك أنك اذا لم تصدقني فلن يصدقني أحد، قال هذا وهو يرفض البيرة التي عرضها عليه الصديق الذي بدأ في عدم الثقة به كما كان واضحا. اذ قال له، أنت تعلم يا أوسكر أني لا أشرب لذا أرجوك أن تجلس في هدوء حتى يتمكن بيتر من توجيه ما يريد من أسئلة. كانت هناك رنة صدق في شرح مورد للصور. ففي أحد أيام سبتمبر من عام ١٩٨٥ كان قد وضع آلة تصويره من نوع بينتاكس مف في حقيبته مع

بعض الكتب الجامعية بعد أن اخترع عذرا يتذرع به اذا ما ضبط عند تفتيش الأمن عند مدخل البوابات. اذ قال، كنت سأقول لهم لقد نسيت أنها موجودة. كنت على الشاطئ في اليوم السابق وتركتها في الحقيبة بطريق الخطأ. وتركت الفيلم في الخارج حتى لا أثير شكوكهم. كل ما كانوا سيفعلونه هو تجريدي منها ثم يعلقونها على شماعة حتى أخذها عند الخروج. وبعد ذلك ببضعة أيام أدخلت الأفلام بنفس الطريقة. أما المخاطرة الحقيقية فكانت اخراج الفيلم خارج المصنع؛ اذ كان من الممكن أن يقوموا بتحميضه وعندها كنت سأقع في متاعب كبيرة غير أنه لم يكتشف. اذ وضعته في جيوب بنطلون الجينز. كنت قد عملت هناك فترة طويلة؛ فكان الكثير من الحراس أصدقائي. وكانت هناك ثقة بيننا. وقال فعنونو انه في النوبات الليلية كان هناك القليل جدا من الأشخاص في ماخون ٢ ولم يكن يوجد أي شخص في الطوابق السفلى أثناء تغيير النوبات. في أحد الأوقات قبل ذلك كان قد ذهب الى قسم التعدين في مستوى أربعة تحت مصنع فصل البلوتونيوم. وعرف أن البلوتونيوم النقي الذي كانوا ينتجونه يتم تجهيزه الى أجزاء قنابل. كان أحد المشرفين من شدة الكسل بحيث أنه لم يتبع النظام فترك مفتاحا فوق الخزانة الصغيرة الخاصة به وبذلك دخل فعنونو.

فاستطاع تصوير المهاجع أو الحجرات الصغيرة الزجاجية التي كانت تشكل فيها المخارط مكونات القنابل.

في مناسبة أخرى تمكن من أن يتسلق الدرابزين الى سطح ماخون ٢ والتقط بضعة صور للمفاعل وغيره من المباني. على أية حال تم التقاط معظم الصور في مصنع البلوتونيوم مستوى اثنين وثلاثة اللذين كان مسؤولا مرارا عنهما وحده ليلا. كما صور أيضا حوامل التحكم لأنها كانت تضيء رسوم التدفق في العمليات الموجودة فوقها. وقال، لقد بنى الفرنسيون هذه فلم يكن لديمونة أن يبنى بدون الفرنسيين.

ومرة أخرى قال مورد انه لم تكن لديه أية نوايا واضحة لاعطاء

الصور لأية صحيفة، كنت أريد سجلا. شيئا ما أتذكر به المكان. اذ كنت غاضبا لأنهم كانوا يريدون مني أن أترك العمل بسبب أنشطتي السياسية وكنت غاضبا لأنهم كانوا يسدلون ستارا من الظلام على ما كان يتم انتاجه. ولكني كنت أريد فقط أن أفر من اسرائيل أي الذهاب في اجازة طويلة. أي أني لم أكن أتجسس، أخرج فعونو من حقيبته بضع صفحات بالعبرية كانت على ما يبدو تحوي خطاب توفيره من العمل واشهادة باللغة الانجليزية عليها الأحرف الأولى للمفاعل.

وقال، يمكنك أن تتقصى كي تعرف اذا ما كنت موجودا ولكن من فضلك كن حريصا. ذلك أن كل شخص في اسرائيل مهوس بالأمن، كما أخرج جواز سفره وعليه تأشيرات دخول الى البلاد التي مر بها في طريقه الى أستراليا. فبدا على جيريرو الاحساس بالرضا عن النفس، لقد قلت لك يا بيتر هذا الرجل هو الشيء الحقيقي. فكل ما يقوله هو الصدق. وهذه القصة كبيرة تماما مثل ووترجيت.

في لندن كان الاهتمام والشعور باثارة القصة يتنامى. وأخذت تصدر شيكات بمبالغ كبيرة تصدر. وأرسل مخبر صحفي أخر من فريق التقصي والبحث وأرسل مخبر صحفي أخر هو ماكس براجنل الى اسرائيل كي يبحث عن أشخاص يعرفون فعنونو ولكي يستوثق من حسن نواياه. بينما عرض أخرون الملحوظات التي كنت أرسل بها الى لندن على علماء نوويين يمكنهم أن يقيموا مدى صحة التفاصيل التي وصفها فعنونو عن عملية فصل البلوتونيوم.

أثناء ذلك كان الوقت قد حان كي أكون حلو المعشر اجتماعياً. فعلى سبيل التخفف من جلسات استطلاع المعلومات اقترحت أن أستأجر فعنونو وسيارة الأجرة التي يعمل عليها للذهاب في رحلة الى الجبال الزرقاء الى الداخل من سيدني. في طريقنا توقفنا بجانب أحد الشواطئ كي نلتقط بعض الصور لفعنونو وبدون علم منه أرسلت بصورة الى لندن نشرت منذ ذلك الوقت في كل أنحاء العالم.

كما قمنا برحلة الى احدى الحدائق الوطنية تقع على طول الساحل المؤدي الى جنوب سيدني موقفين السيارة بالقرب من أحد شلالات المياه يتدفق عبر أحد الشواطئ الى البحر.

كنت أشعر برغبة حادة في أن أتحدث حديثا خاصا مع فعنونو دون وجود جيريرو المزعج. تطلعت أنا والاسرائيلي الى القيام بنزهة على الأقدام لصعود المنحدرات الصخرية ولكن لحسن الحظ رفض الكولومبي أن يذهب معنا. اذ قال بلهجة رجاء، سوف أنتظر هنا يا بيتر وأستريح. فأنت تعلم أني لست بحالة جيدة منذ الجرح الذي أصبت به، كنت قد علمت من قبل أن جيريرو سقط سقوطا مروعا أثناء القيام بطلاء الكنيسة ذلك أنه سقط من فوق السطح متهاويا فوق سطح أدنى ثم هوى بكل ثقله في الحديقة. ولحسن الحظ أو عندما أراجع الأحداث ربما أقول لسوء الحظ تم شفاؤه بعد قضاء بضعة أيام في المستشفى في الوقت المناسب للقيام برحلته المخططة الى مدريد بحثا عن الثروة.

بينما كنت أسير بمشقة بين الزواحف في ممر مطروق أوضح فعنونو على الفور بأنه غير سعيد بصديقه أوسكر. وقال، يمكنني أن أرى أنك أيضا لست سعيدا به غير أني يجب أن أكون ممتنا له لأنه ذهب الى أوربا ووجدك. يجب أن تعطوه شيئا ولكني كنت أفكر. ماذا لو أعطيتك الصور وجميع المعلومات دون أن تنشروا اسمي. سوف أكتفي بالاختفاء. اذ لست مهتما بكسب أي مال من هذا الأمر. كل ما أريده هو أن تعلم الدنيا عن وجود ديمونة.

لم يفاجئني هذا الاقتراح. ففعنونو كان رجلا مقتصدا غير مهتم بالوجبات الفاخرة أو المشروبات الكحولية أو الملابس مرتفعة الثمن. اذ كانت الأوبرا هي حبه الوحيد وكنا قد ذهبنا الى دار أوبرا سيدني في احدى الليالي وقد عشقها بينما غفت عينا جيريرو. لقد طلب نقودا كي يستقر من جديد ربما في نيو زيلاندة ووافق على هذا ليس كثمن لقصته وانما كجزء من صفقة لكتاب واعداد مسلسل. فلم يكن من طلاب

الثروة أو على ما يبدو من طلاب الشهرة - فكما بين اقتراحه كان رجلا ذا ضمير وصاحب قضية.

كما تناقشنا عدة مرات لم يكن قلقه من ناحية الأمن على غير أساس. فكان من المعروف جيدا أن المخابرات السرية الاسرائيلية الخارجية الموساد تتسم بالقسوة اذا لم تكن تتمتع دائما بالكفاءة. في عام ١٩٧٣ قتل فريق تعقب ما ظن أنه أحد أفراد سبتمبر الأسود في مدينة ليلهامر بالنرويج أمام زوجته الحامل. ثم اتضح أنه نادل مغربي وتم القبض على ستة من فريق الاغتيال اذ انهم استأجروا سيارات بأسمائهم الحقيقية. كما تم الكشف عن عمليات اغتيال الفلسطينيين في كل أنحاء أوربا وافتضح أمر المنازل السرية الخاصة بالموساد في النرويج وفرنسا.

في وقت ما أصبح فعنونو عصبيا حين رأى اسرائيليين يتكلمان العبرية أمام مائدة مجاورة في كفيتيريا الهيلتون. ولكنه سرعان ما أقنع نفسه كما كان يفعل في مناسبات أخرى بأنهما لن يهاجما شخصا اسرائيليا. لو أنه كان يعلم أن جيريرو قد ذهب بالفعل الى القنصلية الاسرائيلية في شارع يورك بحثا عن المزيد من المال كما كشف عن ذلك فيما بعد الصحفي الأمريكي لويس توسكانو لكان شعوره بالناحية الأمنية أكثر شدة. فطبقا لرواية توسكانو في يوم ١٢ أغسطس تقريبا اتصل جيريرو بالبعثة الاسرائيلية والتقى بآفي كليمان وهو ضابط مخابرات في منطقة قريبة. وقدم كليمان نفسه باسم يوسف دار وأبدى الرفض حين عرض جيريرو المساعدة على الايقاع باسرائيلي، خائن، يخطط للكشف عن القنبلة الاسرائيلية. ومع ذلك كان لزاما على كليمان أن يأخذ المعلومات مأخذ الجد فدون اسم فعنونو ورقم جواز سفره. وحين يجيء الوقت الذي سيلتقي الاثنان مرة ثانية كان كليمان سيعرف أن فعنونو عاملا سابقا بالمفاعل النووي غير أنه ليس من العلماء. فأخبر جيريرو أنه يريد أكبر قدر ممكن من المعلومات. ولكن الديبلوماسي فوجئ حين سلمه جيريرو أربع صور فوتغرافية منسوخة بشكل غير

متقن. اذ انه في خلال ساعات كانت المعلومات في يد الموساد.

ولن يكون هذا هو الاتصال الأخير الذي يجريه جيريرو مع من خططوا ونفذوا سقوطه التراجيدي اللاحق. بعد هذه اللقاءات مع كليمان في أحد مركز التسوق بسيدني وضعت الأختام على مصير فعنونو. فبينما استمر ببراءة يقود سيارة الأجرة كانت احدى أقوى وأقسى المنظمات تقيم غرفة عمليات في مقرها وتشكل فريقاً من العملاء لاعدامه اذا لزم الأمر.

استدراك: قد يجادل مجادل قائلا: كان من الممكن أن أقبل فكرته وهي أن أبذل كل ما في وسعي كي أستكمل التحقيق القائم على شهادة شاهد مجهول الاسم. الا أني رفضت الفكرة لسببين رئيسين وما زلت أرفضها. اذ قلت له، لو أنك اختفيت يا مورد ونشرنا نحن القصة فلا يوجد أي ضمان بأن الموساد لن تتعقبك. ولو اختفيت بعيدا في بلد آخر وفقدت الاتصال بي فقد لا نعرف قط هل فعل بك عملاء الموساد أي شيء. لكن من التناقض المثير للعجب أنك تكون أكثر أمنا اذا نشرنا اسمك باعتبارك مصدرها وملأنا الصحيفة بالقصة. فاذا حاولوا الانتقام فسيكون العالم بأجمعه مشاهدا وسوف تحدث ضجة كبرى. وسوف نكون قادرين على أن نضع أعيننا عليك ونحميك الى حد ما ولكن يا مورد هناك عامل آخر. فبدون أن تكون لدينا القدرة على ذكر اسمك لن تكون لدينا قصة في الحقيقة. ذلك أننا في حاجة الى شاهد عيان حتى لا يهاجمنا أحد أو يكذب القصة. وحين نقوم بنشرها يمكننا أن نعقد مؤتمرا صحفيا ويمكنك الظهور في التليفزيون. وهذا يعطيك الفرصة بأن تنادي بدعوتك من أجل شرق أوسط خال من الأسلحة النووية وأن تشن حملة حتى تذعن اسرائيل لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. سوف يصدق الناس قصتك لأن الجميع يمكنهم أن يروا أنك صادق. ان شيمون بيرس هو أبو البرنامج النووي. وهو ملتزم به بكل كيانه وملتزم بأن يبقى سريا. وباعتباره رئيس الوزراء فلسوف

يقول ببساطة لقد اخترعنا القصة كلها أو أن الصور مزيفة أو أننا يقصد الصحيفة قد وقعنا في فخ الاحتيال. والبلاد الأخرى تريد أن تصدقه فهي لا ترغب في وقوع مواجهة، توقف فعنونو وجلس على لوح خشبي مطل على الشاطئ. وفكر مليا في هذه النقاط واتخذ قراره بسرعة، بيتر كنت فقط أجرب الفكرة حتى أرى حقيقة شعورك. يمكن بالطبع استخدام اسمي. لقد كانت هذه هي نيتي دائما. أريد من كل انسان أن يقبل هذه القصة. اذ أريد لها أن تكون قضية كبيرة في اسرائيل، وبعد هذا الكلام لم يثر الموضوع مرة أخرى. وكانت المشكلة الرئيسة منذ ذلك الوقت فصاعدا هي كيفية التعامل مع جيريرو.

كان مكتبي في لندن يلح علي بأن أحضر فعنونو لمزيد من الاستطلاع العلمي التفصيلي. وبما أن جيريرو لم يقم سوى بوظيفة واحدة ذات فائدة وهي احضاري بادعاءات زائفة الى أستراليا وتقديمي الى الاسرائيلي فبامكانه البقاء في سيدني حيث اكتشفت أن لديه شقة مع اعطائه وعدا بالدفع اذا نشرنا القصة.

حين عدنا الى الهيلتون شرحت هذه القصة وبدا أن جيريرو قد قبلها وأنه سوف يتلقى ٢٥٠٠٠ دولار مما يكسبه فعنونو من كتابه أو تحويله الى مسلسل بمجرد أن تخرج القصة في السندي تايمز. وكتبت تعهدا بهذا المعنى على أن يكون ملزما قانونيا ملحقا أياه بتعهد أكثر عمومية يقدمه له روبين في لندن. على أي حال في اليوم التالي تغيرت سحنته، كيف لي أن أعرف أنكم لن تغشوني فأنتم مسافرون بدوني. ولن أعرف ماذا يحدث، فشرحت له بصبر أن الساندي تايمز لم تغش الناس؛ فهي لا تستطيع أن تخاطر بالتسبب في الضرر لسمعتها. ولدينا اتفاق مكتوب وملزم فعليه أن يكون صبورا. ومرة أخرى بدا أن جيريرو راض ولكن بعد مرور بضع ساعات اتصل تليفونيا بحجرتي قائلاً: بيتر اني آسف. لقد اختفت جميع الصور. ذلك أنها كانت في حافظة أوراقي وسرقت في مترو الأنفاق. فأنا آسف جدا ولكنكم لا تستطيعون نشر القصة. لما كنت

أشعر بالحيرة والغضب أبلغته بأن يحضر فعنونو الى حجرتي في خلال ساعة. وصل وعلى وجهه امارات الوداعة ومعه مورد وقد أخذت منه الحيرة كل مأخذ. وقال أوسكر، اني آسف يا بيتر. لقد كان ذلك خطأ كبيرا اذ لم يكن يجب أن آخذها معي. ان الشيء الذي أصابني بالحيرة والذهول أنه كان يستحوذ على الأدلة الثمينة. اتضح أنه من وراء ظهري نقلت الصور من أمانات الهيلتون حيث رتبت أن يحتفظ بها فعنونو. كانت نبرة فعنونو اعتذارية، اني آسف. لقد أقنعني أوسكر بأن أفعل ذلك. هل هناك ما يمكننا عمله، أخذ غضبي يتصاعد حين قلت، هناك شيء يمكن عمله يا مورد. ان أوسكر حاول أن يغشك.

ذلك أنه يكذب في ما قاله بخصوص الصور لقد خبأها في مكان ما، فنظر فعنونو الى جيريرو نظرة أسى، أين الصور يا أوسكر، فهي ليست من ممتلكاتك. اذ أني خاطرت بالتقاطها وأخرجتها من اسرائيل. فهز الكولومبي كتفيه، اني آسف لقد فقدت. اذ وضعت الحقيبة أمامي في مترو الأنفاق فأخذها شخص ما. حين قال ذلك انتابني انفعال عصبي. فأمسكت بأوسكر من ياقة سترته وجررته عبر الحجرة. وفتحت الباب وكومته في الممر خارج الحجرة.

أوسكر أمامك ساعة كي تعود بالصور والا فسأكون على الطائرة في طريقي الى انجلترا غدا - ولكن بدون مورد، وصفقت الباب. ونظرت بيأس الى الاسرائيلي. فهز كتفيه بانكسار كما هز رأسه. ولم يكن لدى أيِّنا شيئا يقوله. وتعلقت القصة لما يزيد قليلا عن ساعة غير أن جيريرو عاد بالفعل - بدون حافظة أوراقه. كان ذلك في أوائل مساء يوم الأربعاء العاشر من ديسمبر. ومن المقرر أن نطير أنا ومورد الى لندن في ظهر اليوم التالي ولكن بدا أن الاثنى عشر يوما التي قضيتها في سيدني كانت كارثة. تلعثم جيريرو قائلاً، أنا آسف اذ لم آقل الصدق. ذلك أني كنت أشعر بالذعر من أنكم سوف تغشونني. يمكنني أن أعيدها غدا صباحا أعد بأني سأفعل ذلك، لم يكن أمامي من بديل سوى أن آمل أنه

الآن يقول الحقيقة. يبدو أن الشجار الذي حدث في ممر الفندق قد بعث بعض الاحساس في نفسه. فأخبرته أن يحضر الى الهيلتون في العاشرة صباحا ومعه الصور جميعا بلا نقصان بما في ذلك الصور المعكوسة النيجاتيف والشرائح. أما اذا لم يفعل ذلك فلسوف أنفذ تهديدي بالسفر وحدي في نفس اليوم. اتصلت بلندن تليفونيا وأبلغت روبين مورجان بالنكسة التي حدثت كما أبلغته بسلوك جيريرو المجنون. في تلك الليلة لم أنل سوى قسطا قليلا من النوم ولكن في العاشرة صباحا كنت أنا ومورد ننتظر في المطعم. وما أن انتهينا من تناول الافطار حتى وصل جيريرو والإنشراح والاسترخاء باديان على محياه. ومد مظروفا عبر المائدة، تفضل يا بيتر كل شيء هنا. صدقني هذه أحسن قصة صحفية منذ ووترجيت.

حبيس لندن

افترقنا أنا وفعنونو بعد أن سلم جيريرو الصور في صباح ١١ سبتمبر واتفقنا على أن نلتقي في المطار. وصلت حافلة صغيرة مكتظة بالأصدقاء من كنيسة سان جون بمن فيهم نيافة القس جون مكنايت جاؤوا لوداع مورد وليعبروا عن أحسن أمانيهم. ومما أدهشني أن جيريرو أيضا ظهر ونحن ندردش دردشة ودية في قاعة السفر - اذ كان قد وصل أيضا في الحافلة الصغيرة وهز يدي بقوة. ولما كنت أتوقع أنه قد يكون لا يزال متوترا قلت له، لا تقلق يا أوسكر. فسوف تحصل على نقودك بمجرد نشر القصة. وشعرت بالراحة لما بدا على الكلومبي من علامات الرضا. وبعد أن لوحنا مودعين توجهت أنا رمورد الى بوابة السفر.

بعد ذلك بست سنوات في عام ١٩٩٢ سوف يروي جيريرو قصة هذا اللقاء في المطار بشكل مختلف تماما وذلك باتهام صحيفتي بالخيانة في قضية مشهودة.

وكما سيتضح فيما بعد قام الكولومبي بعدة محاولات كي يغش فعنونو بعد أن طرنا الى لندن. اذ حاول بحماقة أن يبيع القصة للندن سندي ميرر دون موافقة فعنونو خارقا بذلك ما اتفقا عليه من الحصول على ٢٥ ألف دولارا من السندي تايمز فانتهى به الحال بأن خرج صفر اليدين من، أفضل قصة صحفية منذ ووترجيت. وبعد هذه الهزيمة المنكرة ظل يعيش في أستراليا يلعق جراحه لعدة سنوات حين رفع فجأة قضية مدنية ضد صحيفتي مدعيا فيها أنها قد أخلت بالعقد. فتوجه الى المحكمة العليا في لندن اذ ليس على المرء أن يكون مقيما

في المملكة المتحدة كي يصبح ذلك من حقه وقدم رواية من ابتكار خياله عن معاملاتي معه في أستراليا مما كلف دافع الضرائب البريطاني ما يزيد عن ٣٠٠ ألف جنيها على سبيل المساعدة القانونية. زعم في القضية أنه تلقى وعدا بـ ٤٠٠ ألف دولارا وكذلك نسبة خمس وثلاثين في المائة من حقوق القصة غير أني كنت أزمع منذ البداية أن أدلس عليه. كما قال اني أقنعته بأن يعطيني نسخته من الأوراق المكتوبة واني أيضا أخذت الصور ضد رغبة فعنونو.

في الليلة السابقة على رحيلنا الى لندن كان فعنونو قد تسلل الى حجرتي في الفندق متأثرا بمحنة جيريرو واسترد كل شيء بينما كنت في الحمام استحم.

وأبلغ المحكمة بأن هذا العمل قد أنقذ الكولومبي من نوبة حادة من نوبات اليأس والتفكير في الانتحار. في اليوم التالي توجه الى البنك الذي يتعامل معه فاكتشف أن مقدما قيمته ١٠ آلاف دولار يفترض أني وعدته به لم يودع في رصيده. واسودت الدنيا مرة أخرى في عيني جيريرو المسكين. فتوجه الى المطار ليواجهني ونشبت على أثر ذلك مشادة عنيفة. اذ صار يتميز غضبا من سلوكي المزدوج حتى أنه ارتد الى الحديث بالأسبانية. فجررت فعنونو الى بوابة السفر بعد أن أجبت بعبارات ساخرة وتركته أي جيريرو خال الوفاض.

وأما عن كونه استطاع أن يكون من حقه التقاضي ويضيع حوالي أسبوعين من وقت المحكمة في تتبع تلك القصة الملفقة التي لا تصدق فهذه نقيصة في النظام القضائي البريطاني. كما أن انعكاسها بالغ السوء على المحامين من مختلف الدرجات الذين وافقوا على تمثيله بما في ذلك محام رفيع المستوى بروس كولز. فمنذ البداية سخر القاضي هوفمان الذي كان يرأس الجلسات من الغدر الذي يتسم به جيريرو. اذ علق قائلا انه لا يوجد شيء واحد مما قاله أوسكر في منصة الشهود له ما يؤيده وعلى الأخص قصة الشجار بيننا في المطار: ذلك الشجار

الذي لم يره أحد. بل تذكر مكنيت أن جيريرو ظل يتفاخر في الحافلة الصغيرة بكمية المال التي من المقرر أن يكسبها وأنه كان رقيقا وديعا. أما ادارة فندق الهيلتون فقد قالت ان فعنونو كان سوف يحتاج الى مفتاح خاص كي يتمكن من دخول حجرتي.

رفض القاضي القضية وأثناء حكمه أدلى بعدد من التعليقات اللاذعة اذ قال من الواضح تمام الوضوح أن ميستر جيريرو يعيش في عالم من الخيال. وليس لديه أية موانع من اختراع أي نوع من القصص يعتقد أنها سوف يكون لها قدرة التأثير في هذه القضية. أحضر ميستر جيريرو معه طرقه كصحفي الى منصة الشهود. اذ أدلى بأكاذيب في الكثير من الأمور سواء كانت مادية أو غير مادية حتى أني لا أعتقد أن لدي القدرة على قبول الأدلة المدعمة بشأن أي شيء.

لقد داهن هوفمان المدعي حين وصفه بأنه صحفي لأن ذلك الكولومبي لم يكن أكثر من مغامر خداع. فمن بين، نجاحاته، الصحفية أنه باع صورا عن الصراع في تيمور الشرقية عام ١٩٨٣ لاحدى الصحف البرتغالية، أو جورنال. ثم اتضح أنها صور قديمة موجودة في المكتبات عن حرب فييتنام. وباءت قضيته ضد السندي تايمز بالطبع بالفشل الذريع. ولم يكن أمامه سوى العودة الى أستراليا ولكن هل كان من قبيل المصادفة أن يرفع القضية في ذلك الوقت اذ أن فعنونو الذي كان قد قضى بالفعل في اسرائيل فترة من حكم بالخيانة والتجسس مدتها خمس سنوات ونصف يحاول أن يستأنف أمام المحاكم الاسرائيلية ضد الحكم عليه بثماني عشرة سنة. فقضية لندن الهزلية ألقت في العلن بقدر كبير من الكتابات من السندي تايمز عن لقاءاته معي في أستراليا مما كان من شأنه أن يغرق قضاته في القراءة.

بينما كنت أنا وفعنونو نطير عائدين الى لندن من سيدني كان كلانا يحس بالاسترخاء. اذ كان من دواعي الراحة أن نخلف أوسكر وراءنا ولم يخطر ببالنا قط أنه سوف يأتي في اثرنا أو يتسبب في كل هذه

المتاعب. ولم تكن تخالجنا مظنة أن الموساد أو المخابرات البريطانية السرية سوف تتعقبنا.

تناقشت أنا ومورد بشأن الشخصين الاسرائيليين اللذين اكتشفهما في كفيتيريا الهيلتون غير أننا اتفقنا على أنهما قد يكونا من رجال الأعمال؛ اذ كان المنظر عاديا. فبقدر ما كان يتعلق الأمر بنا لم يكن فعنونو معرضا لأي خطر مباشر.

أثناء تناولنا وجبة الغداء في درجة رجال الأعمال في الطائرة شرحت لفعنونو أننا حين نصل الى مطار هيثرو سوف يأخذون مورد الى أحد الفنادق كي ينال قسطا من الراحة غير أن تساؤلات مضنية معدة له. ذلك أن قصته تحتاج الى الفحص في تفاصيلها الدقيقة كما أن معرفتي بالموضوعات النووية غير كافية. بعد أن توقفت بنا الطائرة ٧٤٧ غادرناها جنبا الى جنب دون أن نلاحظ أن رجلين كانا يقفان عند باب الطائرة يراقباننا.

كان من دواعي المفاجأة أن حجرة حجزت لفعنونو في فندق برج ثيسل بجانب كبري تور بلندن وهو أقرب فندق من مقر السندي تايمز ومن الجلي أن هذه محطة في الرحلة. عموما بعد تناول وجبة في بار فينيارد المجاور وبعض الراحة نقل فعنونو في يوم الجمعة ١٢ سبتمبر الى مكان أكثر أمانا. اذ قاد السيارة روجر ويلش وهو مخبر صحفي آخر من فريق التقصي الى فندق هيث لودج بالقرب من ويلوين في حزام لندن الأخضر وهو الريف المحمي في ما وراء حدود العاصمة. لقد كان مكانا ممتازا حيث يصعب العثور على طريق ضيق.

لو أنه بقي هناك يراقبه أعضاء فريق التقصي ليل نهار لكانت التطورات اللاحقة مختلفة جد الاختلاف.

كان ماكس براجنيل قد عاد من عمليات الاتطلاع التي كان يجريها في اسرائيل حيث استوثق من أنه يوجد حقا شخص اسمه موردخاي فعنونو تطابق أوصافه أوصاف مورد. من الواضح أن صديقة من تل

أبيب كانت قد أرسلت بسمها عن طريق الفاكس تعرفه. للأسف لم يستطع براجنيل أن يخفي شخصيته كمخبر صحفي بريطاني مما عرضه للخطر المتمثل في أنها ربما تحذر الأمن. كان هناك صديق آخر هو يورام بازاك يقضي عطلة في أوربا لذا تقرر أن الجري وراء المزيد من التأكيد ينطوي على مجازفات جمة. في يوم السبت بعد وصول مورد الى بريطانية بيومين تولى براجنيل في ذلك الوقت مهمة القيام بدور الجليس بالنسبة له. في ذلك اليوم لم يكن من الممكن استخلاص أي معلومات ولما كان فعونو يشعر بالقلق فقد أخذ براجنيل على عاتقه أن ينطلق به من هيث لودج في نزهة الى مدينته. هنا كان القدر يخبئ مفاجأة أخرى زجت بنا في المزيد من الحيرة. اذ كانا يتجولان وسط زحام المتسوقين في شارع ريجنت وبراجنيل يتأخر عنه ببضع ياردات حين ألفى فعنونو نفسه وجها لوجه مع يورام بازاك وصديقته دوريت. فاضطربت ضربات قلب فعنونو وفكر لبرهة أن يتصنع أنه لم يرهما غير أن ذلك كان مستحيلا اذ كانت عينا كل منهم تنظر مباشرة في وجه الآخر. كان براجنيل هو أيضا لا يصدق نفسه فتخفى في باب أحد المحال مما جعل فعنونو يحييهما بحرارة وتناقشوا في أمر اللقاء لتناول وجبة بعد بضعة أيام. بدت هذه مصادفة عجيبة غير أن فعنونو لم يعطها أكثر من هذا الحجم. في يوم الأربعاء التالي الموافق ١١ سبتمبر اتصل بيورام ودوريت في فندق رويال سكوت حيث كانا يقيمان وقال انه سوف يذهب اليهما لتناول وجبة.

في فريق التقصي والبحث جرت مناقشات مطولة عن كيفية التعامل مع الموقف.

من الممكن أن يكون فعنونو متجها نحو شرك غير أنه من المهم اكتشاف أكبر قدر ممكن. كانت ويندي روبينز متدربة صحفية يهودية على خبرة عملية مع السندي تايمز. وكانت قد التقت بفعنونو عدة مرات فنشأ بينهما وئام.

ووافقت على اصطحابه في هذا الموعد. بعد ذلك وبعد أمسية مطربة قدمت رواية تفصيلية عن المواجهة التي تفجرت بين الرجلين قبل أن نصعد الى حجرتهما أخبرني مورد بسرعة أن صديقيه لا يعرفان أي شيء عن سبب وجوده في لندن لذا كان علينا أن نتصنع أننا التقينا عرضا في الشارع وأني أزور لندن من شمال انجلترا. كان يورام يريد أن يأخذ دشا سريعا فأخبرنا أن ننتظره في حجرة نومه. لم يرد مورد أن يفعل ذلك وقال له اننا سوف ننتظره هو ودوريت أسفل في البار. فاعترض يورام وبدا أنه شديد الاهتمام بأن يبقي مورد في الحجرة. فظل مورد يضحك وهو يقول لا. فسألت دوريت لماذا لا يريدان لن ننتظر في أسفل فردت بأن مورد قد يحاول الفرار.

لقد ذهبا على أي حال الى بار الفندق وقالت روبينز، صاح بازاك وهم في الطريق، لا بد أن تكونا هناك، بعد ذلك وهم يحتسون القهوة في أحد المقاهي ازداد النقاش احتداما. وحين تحول النقاش الى تعادل اسرائيل العسكري مع جيرانها العرب حاول بازاك باصرار أن يجر فعنونو كي يتحدث عن شعوره بالنسبة لسياسة بلاده الدفاعية. وظل فعنونو يحاول أن يغير الموضوع مضيفا، لن نتفق أبدا. وسنبقى هنا طوال الليل، وقالت روبينز في روايتها ان بازاك اتخذ موقفا متشددا في تأييد الصهيونية اذ قال، لا ينبغي أن يسمح للعرب بأن تكون لديهم مواقع نفوذ بما أنهم، يريدون القاء اليهود في البحر، واستمرت روبينز قائلة، لم يستطع فعنونو مقاومة هذا الطعم فاتخذ موقفا شديد اليسارية قائلا انها أرض الفلسطينيين واننا اغتصبناها. فظل يورام ينظر الي في يأس وقال في عدة مناسبات، ماذا بوسع المرء أن يعمل معه لقد أصابته أفكاره الشيوعية بالجنون. وسوف يظل دائما هكذا. اذ كانت بيننا دائما هذه المناقشات، احتدم النقاش. ولكن يورام هو الذي كان أكثر استثارة وصياحا بينما مورد مستندا على المائدة وهو شديد الهدوء يضحك باستهزاء طوال الوقت. تناقشنا في من بدأ حرب يوم الغفران.... ومن

هو الطرف الذي ارتكب فظائع أكثر من غيره أهم الفلسطينيون أم الاسرائيليون. كان مورد يعتقد بوجوب حظر الخدمة العسكرية في اسرائيل...

تجادلنا في المادة ٦٦ في ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية التي تنص على أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين. وتساءل يورام كيف استطاع الاسرائيليون أن يتحدثوا الى جماعة من الناس تضع هذا في ميثاقها ولم تعترف باسرائيل. فجادلت أنا ومورد بأنكم لا بد أن تبدؤوا من مكان ما اذ لا بد لأحد أن يعترف بالآخر ويتفاوض. وقال مورد انه من مصلحة اسرائيل أن تحصل على السلام. واتهم يورام والاسرائيليين بأنهم لا يريدون أن يتقاسموا بلادهم. وارتدت المناقشة الى الوراء الحرب العالمية الثانية وماذا كان يحدث في ذلك الوقت لليهود.

وبدأ فعنونو يجادل بأنه لم يكن من الواجب أبدا شحن اللاجئين اليهود الى فلسطين. واستذكرت روبينز قائلةً، لقد قفز يورام مرحا لدى سماعه هذا الكلام وقال، وماذا كنت تريد منهم أن يفعلوا «أيُغرقوا!» ليس في استطاعتك الاجابة على هذا السؤال، فقال مورد، بلى لا أستطيع غير أني متأكد من أنه كانت هناك الكثير من الأراضي الخالية، فربط يورام بين وجود اسرائيل والدفاع عنها واحترام ذكرى ستة ملايين من الموتى. ومرة أخرى اتسم اتجاه مورد بالتهكم والسخرية.

كان يورام يزداد انفعالا وقال لا يمكنني النقاش مع شيوعي، فقلت لمورد، هل أنت صهيوني؟ فأجاب بالنفي. فقلت: هل أنت معاد للصهيونية؟ سادت فترة صمت قصيرة وقال نعم. عندئذ علت الحمرة وجه يورام. واستند الى الأمام وقال شيئا بالعبرية لمورد. قال يورام، انك لمجنون، فرد مورد، ان ويندي على سبيل المثال تعمل في احدى الصحف. فماذا تراه سيحدث لو أني أبلغت صحيفتها أو أي صحيفة أخرى كل ما أعرفه عن اسرائيل، رد يورام، لا يوجد أي شيء له أهمية

في ما يمكن أن تقوله، وماذا لو أبلغت الصحيفة عن المكان الذي كنت أعمل فيه، أنت تعرف ذلك المكان، بدت على وجه يورام القليل من الصدمة. واستند الى المائدة نحو مورد وقال له بهدوء، بالرغم من أنك صديقي كنت سأجد وسيلة أعيدك بها الى اسرائيل وأضعك في السجن، فهز مورد رأسه. كان الجو مشحونا بالتوتر عند هذه النقطة من الحوار فاقترحت أنا ودوريت أننا يجب أن نبحث عن مكان ما كي نتناول الطعام، فاتجهوا رأسا الى مطعم للبيتزا في مكان مجاور؛ كان كلا الرجلين بالكاد يتحدثان. أثناء تناول البيتزا تشاجرا بطريقة صبيانية عن جودة اللحم الاسرائيلي وعن أصل وصفة الفلافل. واستطردت روبينز قائلة، حين ذهب مورد الى الحمام هز يورام رأسه، سألته أنا ودوريت هل كان مورد دائما يعتنق هذه الآراء. فأجاب يورام، كلا لقد أصابه الجنون فجأة في الجامعة. وقالت دوريت، أجل. غير أنه لم يكن على هذه الدرجة من السوء.

كان يقرأ مختلف أنواع الكتب وكان على علاقة ودية مع الكثيرين من العرب. فرد يورام، انه لا يعني حقا ما يقول. كل ما هنالك أنه يحب أن يصدم الناس. فهو ليس في الحقيقة معادياً للصهيونية. ولا يعتنق حقا هذه الأفكار المجنونة. وكل ما يريده مورد هو أن يحصل على رد فعل لما يقول.

حين عاد فعنونو الى المائدة شرع يورام في استجواب روبينز وفعنونو عن الكيفية التي تعارفا بها وعما اذا كانا في ناد للجاز معا كما أخبراه كذبا. في ذلك الوقت كان فعنونو متلهفا على الإبتعاد. واستذكرت روبينز قائلة، ان الوداع كان قلقا جدا. اذ كان مورد يشعر بالسأم لأني كنت أقول وداعا بالعبرية. فحين قلت شلوم لأصدقائه قال، سلام، بطريقة تهكمية. وكان من الواضح الجلي أن يورام ودوريت يشعران بالاهتمام ازاء الاتجاه الذي أبداه.

تبين فيما بعد أن اجابة بازاك المتوعدة على تهديد فعنونو بأن

يكشف عن تفاصيل عمله اجابة تنبؤية. اذ كان من المقدر لفعنونو بأن يجر بسرعة الى اسرائيل بالقوة ويوضع في السجن. وعلى أية حال ليس من المؤكد اذا ما كانت هذه الاجابة تحمل معنى أكثر شرا أو خبثا وأن بازاك كان يتصرف بناء على تعليمات من فريق تتبع واصطياد تابع للموساد. اذ بينت التحريات اللاحقة أن المقابلة التي حدثت في شارع ريجنت تمت في الحقيقة حين كان يقضي عطلة.

من المحتمل جدا كما زعم أحد التقارير فيما بعد أنه اتصل تليفونيا في اليوم التالي للقاء مطعم البيتزا بضابط الأمن في السفارة الاسرائيلية في لندن وروى له المناقشة. وسوف تنتقل الرواية في الوقت المناسب الى الموساد التي كانت تعلم بالفعل ماذا كان فعنونو يفعل بالضبط وهو ما سوف يصبح أكثر جلاء فيما بعد حين يجيء موضع ذلك من القصة. اذ كانت هناك عملية مراقبة تجري لبعض الوقت. لقد بعث اللقاء مع بازاك شعورا من عدم الاستقرار والارتياح في نفس فعنونو اذ أنه أسر فيما بعد لروبينز بأنه قلق على سلامته. وقال أنه كان يحلم بالاستقرار على احدى الجزر ومعه زوجة وأطفال.

واستطرد قائلا بحزن، قبل أن يحدث هذا سوف ينتهي بي المطاف في السجن. ومع ذلك كان غارقا في جلسات الادلاء بالمعلومات التي كانت قد بدأت في ذلك الأسبوع مع مورجان وأنا وآخرين من السندي تايمز ود. فرانك بارنبي وهو الرجل الذي كلف بالمهمة الشاقة المتمثلة في الايقاع بالاسرائيلي في حبائل معرفته الفنية التقنية.

كان اختيار بارنبي اختيارا مثاليا باعتباره قد عمل في البرنامج النووي البريطاني قبل أن يصاب بخيبة الأمل بسبب ما تحدثه الطاقة النووية من أخطار وقبل أن يرأس سيبري وهي الأحرف الانجليزية لمعهد الأبحاث السلمية الدولية في ستوكهولم. وهو الآن من كبار الكتاب في مجال الأسلحة وتصميمها كما أنه مستشار للعديد من المنظمات بما فيها منظمة السلام الأخضر. كان تجسيدا نموذجيا للعالم البريطاني

حيث كان دائما يرتدي ملابس عادية غير رسمية كما كان طويلا وذا لحية بيضاء. اعتاد الجلوس لساعات وهو يستجوب مورد ويسجل الملاحظات بينما كان الآخرون يستمعون الى مقابلة فاتنة.

وكان بين الجلسات يتصل بزملائه من العلماء لفحص بعض الحقائق ويغوص في المراجع. فتم الحصول حثيثا على التفاصيل المطلوبة للوصول الى استنتاجات على درجة عالية من الأهمية.

كانت اجراءات الأمن الصارمة داخل المفاعل تعني أن امكانية وصوله الى أجزاء أخرى من الموقع محدودة غير أنه استطاع أن يصف وظائف أماكن ماخون الأخرى ملقيا الضوء على مدى المرافق الأخرى الخفية ومجالها الفني. وكان شأنه شأن غيره من العاملين قد قرأ كثيرا من القليل الذي كان قد نشر عن المكان الذي يعملون فيه محاولا فهم السبب في وجوده.

بدأ العمل في انشاء ديمونا في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي تحت مشروع سري أعطى الاذن به رئيس الوزراء دافيد بن غوريون وقام بتنفيذه بصفة رئيسة شيمون بيرس الذين كان حين ذاك موظفا كبيرا - مديرا عاما وزارة الدفاع.

في مذكراته الصراع من أجل السلام يزهو بيرس باللحظة الحرجة في أواخر كتوبر عام ١٩٥٦ حين كان يحضر أحد المؤتمرات في مدينة سيفر بفرنساأقنع رئيس الوزراء الفرنسي جي موليت بتزويد اسرائيل سرا بمفاعل وما يكفي من يورانيوم لامداده بالوقود. وعلى عكس الروايات الأخرى حدث هذا قبل هزيمة السويس المزرية ولم يكن كما يقال كثيرا نتيجة للكارثة التي قضت في النهاية على السمعة السياسية لرئيس الوزراء البريطاني سير أنطوني ايدن. وبعد عقد الصفقة النووية في سيفر تم توقيع بروتكول اتفق فيه على أن تغزو اسرائيل مصر للتخلص من جمال عبد الناصر وأن تلحق فرنسا وبريطانية باسرائيل في وقت لاحق. وبدأت حرب السويس بعد ذلك ببضعة أيام ولكن كما هو

معروف الآن جيدا أجبر الضغط الدولي وبشكل ملحوظ من الولايات المتحدة الدول الثلاث على الانسحاب انسحابا مذلا. على أية حال أخذت الصفقة طريقها دون أن تمس ذلك أن الفرنسيين بلا شك شعروا بالأسف على المتاعب التي وضعت فيها اسرائيل. ورغم أن الصفقة كانت سرية الا أن نطاق عملية البناء الذي سرعان ما تبع ذلك في الموقع المختار في صحراء النقب بالقرب من ديمونة جعل من المستحيل اخفاء ما كان يتم بناؤه بالنسبة للرصد الجوي. اذ أن طائرات التجسس يو تو قد التقطت صورا من الجو لأعمال الحفر وانكشف الأمر في ديسمبر عام ١٩٦٠ حين أجبر دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة بن غوريون على اصدار بيان. فطلع بكذبة نكراء بالنسبة لرجل يقال عنه أنه يبغض الكذب. ذلك أنه كان يعرف أن المفاعل سوف يفتضح أمره مع مرور الوقت عند اكتماله بقبته البارزة التي يبلغ قطرها ١٨ مترا. لذا فلن يكون من المستطاع انكار وجوده. فقال ان مجمع ديمونة قد تم تصميمه لخدمة الصناعة والزراعة والصحة والعلوم.

فأقر بأن مفاعلا بقدرة ٢٤ ميجاوات من الطاقة الحرارية يتم بناؤه ولكن هذا فقط للأغراض السلمية. في عام ١٩٦٣ أعيد تقدير طاقته ب ٢٦ ميجاوات. والهدف منه كما وعد هو وضع أساس لبرنامج للطاقة الذرية بعد ١٨ سنة من الآن. بالطبع لم يكن هناك أي ذكر لأن الفرنسيين كانوا يمدون المفاعل بالخبرة الفنية وبالكثير من المعدات لديمونة أو كما سينكشف فيما بعد أن الأمريكيين وغيرهم من البلاد متورطة أيضا. ذلك أن بن غوريون كان يأمل في أن يستطيع تبديد قلق الرئيس الأمريكي مع ابقاء الفرنسيين الى جانبه. وتنفس الصعداء حين عبرت واشينطون عن سرورها من صراحة بن غوريون وأن المشروع لا يحمل أية نوايا عسكرية. ومنذ ذلك الحين فصاعدا استمرت البلاد بدون عائق في برنامجها النووي باستثناء بضعة احتكاكات صغيرة مع رؤساء الولايات المتحدة الراغبين في أن تلتزم اسرائيل بمعاهدة عدم الانتشار النووي.

طبقا لفعنونو تم توسيع المفاعل المعروف بماخون ١ بسرعة الى ٧٠ ميجاوات بعد الانشاء في الستينيات وربما تم توسيعه الى انتاج أعلى. وتم تركيب نظام جديد للتبريد خفي غير أنه ملحوظ بالنسبة لطائرات التجسس مهمته تبديد أو تشتيت الحرارة الاضافية الناتجة عن مستوى أعلى من الانشطار النووي.

وأكد فعنونو كما كان يشك الكثيرون لوقت طويل أن المفاعل لم يكن المقصود منه قط انتاج الطاقة الكهربية كما قال ذلك بن غوريون ضمنا - وانما فقط قنابل نووية فقط.

وقال فعنونو انه كان من الواضح من واقع ملاحظاته أن الفرنسيين لعبوا دورا لا غنى عنه ولم يكن قاصرا على مد اسرائيل بالمفاعل. بل قدموا أكثر الفرنسيين خبرة في صناعة المعدات النووية سان جوبان النووي الى حد كبير مصنع فصل البلوتونيوم عن اليورانيون في ماخون. ٢ ظهر فيما بعد أن العقد تم توقيعه مباشرة بين اسرائيل وسان جوبان ولكن لم تترك قطعة ورق واحدة متبقية كي تسبب حرجا. وكانت شركة وسيطة هي التي قدمت الصلة وهي الجمعية الصناعية للدراسات والانشاءات الكيميائية.

وبعد تساؤلات من بارنبي أوضح مورد أن كل شخص متورط في تشغيل مصنع ديمونة كان على وعي بل ويبتسم ابتسامة خفية من التفكير في أن الفرنسيين لا بد أنهم دائما كانوا على علم بخطط اسرائيل لصناعة أسلحة نووية. أما بالنسبة لاسرائيل - التي لم يكن لديها صناعة نووية أقل - فان فصل البلوتونيوم بكميات كبيرة نسبيا لا يمكن أن يفسر الا بأن لها غرضا عسكريا. وكرر قائلا ان ديمونة هي أكثر منشآت اسرائيل أمنا. فبين كل سور من الأسوار الأمنية المكهربة كان يوجد خط عرضه ثلاثة أمتار من الرمل الذي يحيط بالمجمع تلمع في كل يوم بعناية بواسطة أحد الجرارات. لذا فان أي شخص ليس مسموح له بعبور هذا الخط سوف يخرج عن المسارات.

وكان الاعتقاد هو أن أكبر تهديد سوف يأتي من الجو. وكشف فعنونو عن أنه كانت توجد بطاريات صاروخية أرض جو من طراز هوك وشابريل منصوبة داخل المجمع وبالقرب منه وكانت هذه لديها أوامر بأن تسقط أي جسم دخيل غير مخطط له مسبقا. وتم عرض هذا قبل ١٩٦٧ قبل حرب الأيام الستة حين حلق عرضا ملاح من القوات الجوية الاسرائيلية متعديا المسار فتم اسقاطه على الفور. أجهد الاسرائيلي ذهنه لتذكر أكبر قدر من المعلومات يمكنه تذكره فأعطى بارنبي والأعضاء المشاركين معه من قسم الاستقصاء والبحث وصفا لجميع المباني المهمة داخل حدود المنطقة. وقال، عليكم أن تتذكروا أني لم يكن من المسموح لي الدخول الى بعضها. من الواضح أن الناس من الممكن أن يدردشوا في الكنتين المقصف غير أن أحدا لا يخوض في التفاصيل. ولم يكن من الحصافة أن يسأل المرء أسئلة أكثر مما ينبغي.، كما قال انه كانت لديه معرفة مباشرة بمصنع كميائي مقام في ماخون ٣ يتلقى بقايا اليورانيوم السائلة من البلوتونيوم بحيث يمكن عمل قضبان وقود جديدة. كما ينتج يورانيوم من أكسيد اليورانيوم-, الكعك الأصفر، كما يجعل الليثيوم ٦ في حالة صلبة وهو ما يتم عمله في ماخون ٢ حتى يمكن استخدامه في صناعة الأسلحة النووية.

كان ماخون ٤ هو مصنع معالجة البقايا كما كان مخزنا طويل المدى للبقايا ذات المستوى العالي كي يسمح لدرجة اشعاعه المرتفعة بأن تتلاشى. وكانت المواد ذات المستوى المنخفض تمزج بالقطران وتوضع في أوعية محكمة الاغلاق للدفن في موقع بصحراء النقب. كانت عملية صناعة قضيب الوقود تستكمل في ماخون ٥ وتغطى قضبان اليرانيوم بالألومينيوم بغرض الحماية. أما ماخون ٦ كما سبق أن ذكرنا يقدم الخدمات للمجمع - الكهرباء وبخار الماء والمواد الكميائية المتخصصة مثل النيتروجين.

لم يكن فعنونو يعلم بوجود ماخون ٧ وافترض أنه لم يتم بناؤه قط.

أما ماخون ٨ فكان معملا جيد التجهيز لاختبار نقاء عينات البلوتونيوم الى جانب وظائف أخرى. الأهم من ذلك أيضا وجود وحدة سرية تشبع اليورانيوم على نطاق صناعي.

ان اليورانيوم الطبيعي لا ينشطر لذا فلا فائدة منه في حالته غير المجهزة في صنع قنبلة ذرية. الا أنه يحتوي على كمية صغيرة من نظير اليورانيوم ٢٣٥. ولكنه شأنه شأن البلوتونيوم اذا ما فصل عن معدن اليورانيوم فهو ينشطر وينفجر اذا تم تجميع كمية كبيرة بقدر يكفي لتعدي كتلتها الحرجة.

لذا فان أبسط نوع من القنبلة الذرية، وسيلة البندقية،. وتدفع قطعتان من اليورانيوم ٢٣٥ دون الدرجة الحرجة معا بسرعة شديدة بحيث تطلق واحدة على الأخرى أسفل برميل كالمدفع. وفي لحظة الالتحام يظهر انفجار انشطاري معادل للقوة الانفجارية لعدة آلاف الأطنان من مادة التي ان تي. كان هذا التصميم هو الذي استخدم لتدمير هيروشيما في اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية. ومن الصعب استخلاص اليورانيوم ٢٣٥ بشكل مخيف من اليورانيوم العادي غير أنه مع ذلك سلعة قيمة بالنسبة لأي دولة أو أي جماعة ارهابية عازمة على احداث الدمار الجماعي وبالنسبة للكثيرين يحد الثمن جدير بأن يدفع. وكشف فعنونو عن أن المزيد من الكميات من هذا النظير تم انتاجها باشباع الليزر في ماخون ٩ وهي طريقة فنية تقنية رائدة على ما يبدو أن الاسرائيليين يزهون بالمهارة التامة فيها. فاليورانيوم الذي أزيل منه عنصر ٢٣٥ يعرف باليورانيوم المفرغ غير أنه ما زالت له استخداماته العسكرية. وبما أنه أثقل بكثير من الرصاص فكان ينقل الى ماخون ١٠ حيث يصنع ويتحول الى تلك القنابل الصغيرة المضادة للدروع بقدرة أكبر بكثير على الاختراق. هذه القنابل تباع الى قوات الدفاع الاسرائيلية أو يتم تصديرها بعضها يذهب الى سويسرا المحايدة.

ألح بارنبي على فعنونو أن يتذكر المزيد عن فصل اليورانيوم ٢٣٥

كي يجري تقييما عما اذا كانت اسرائيل قد بنت أسلحة قائمة على اليورانيوم ٢٣٥ بالاضافة الى النوع الذي أقامته على البلوتونيوم. واعتذر فعنونو بأنه يعرف القليل جدا عن هذا الجانب. قائلاً، كان هذا سريا جدا ولم يكن من المفترض لي أن أعرف. يمكنني أن أصف ماخون ٢ بالكثير من التفصيل لأني كنت هناك لفترة طويلة جدا. وكنت أعرف كل عملية بكل دقة اذ كنت جيدا في العمل الذي كنت أقوم به فوثقوا بي. ولكن ليست لدي أية فكرة عما اذا كانت لديهم وحدات أخرى تنتج أنواعاً أخرى من الأسلحة النووية. بعد أخذ فترة راحة لتناول السندويتشات والقهوة انخرط في وصف وحدات ماخون ٢ التي يبلغ عددها ٣٣ ولكن كانت هناك بعض فجوات وكذلك مواقعها في المستويات أو الطوابق تحت الأرضية. بينما كان يخط رسومات على أحد الدفاتر ظل يشرح أن المبنى كان ٦٠ في ٢٤ مترا محاطاً بجدران يبلغ سمكها مترين أو ثلاثة أمتار في بعض المواضع - للحماية من الهجمات الجوية ولعزل مناطق الاشعاع العالي.

في مستوى الطابق الأرضي كانت هناك أربعة أبواب للدخول من الاتساع بحيث تسمح بمرور دفعات من الدلاء من قضبان الوقود المعالج اشعاعيا عن طريق الشاحنات. وكانت هناك أيضا غرف للتخزين وورش يتم فيها صنع أجهزة الانتاج.

ودرجات سلم تؤدي الى الطابق الأول الذي ليست به نوافذ ويضم المكاتب الادارية لماخون ٢. وكان يوجد أيضا كنتين مقصف وجناح للحمامات وقسم كبير لتنقية الهواء. وهناك ممر يؤدي الى الوحدة ٤٠ به وسائل تبريد الماء ومكانس كهربية وأجهزة لاعداد الحامض والقلويات. كذلك يوصل الممر الى المستويات تحت الأرضية عن طريق مصاعد بضائع وركاب وكذلك يوجد درابزين آخر.

ويتذكر قدامى العاملين برضا كيف أن هذا الممر كان يغلق على فترات لبضع ساعات في الستينيات، بعد أن حددت طائرة التجسس

موقع البناء أصر الأمريكيون على ارسال فريق تفتيش للتأكد من أن ديمونة يستخدم في البحث النووي السلمي، قال مورد، وقبل وصولهم تم سد هذا الممر - طريق الوصول الوحيد الى الطوابق السفلى - تم سده بالطوب القرميد ووضع عليه البلاستر وتم تزيينه. فحين يسير الزوار في الممر لن تكون لديهم أدنى فكرة أن ماخون به أكثر من طابق. فتم خداعهم واللعب عليهم بالكامل.

كان المستوى الأول تحت الأرض مستوى واحد يقدم خدمات أخرى للمصنع الكميائي الشاسع الموجود في أسفل. اذ كان كتلة من الأنابيب الكبيرة والصمامات بعضها يدخل الى المبنى من ماخون ٦ – الكهرباء وبخار الماء ومصنع المواد الكميائية. ومستوى اثنين يحتوي على المكاتب ومخزن لقطع الغيار غير أن غرفة التحكم المبهرة التي يبلغ طولها ٣٠ مترا كانت تشغل أكبر حيز فيه. وهذه الغرفة كانت تراقب معظم عملية الفصل. وبينت الصور التي التقطها فعنونو لهذه المنطقة لوحات مفاتيح مغطاة بالأضواء والأكر والروافع والعدادات والرسوم. في أحد الأطراف كانت هناك شرفة جولدا وهذه لالقاء النظر على المنطقة الرئيسة للانتاج بكاملها ارتفاعا من مستوى ٤ الى مستوى ٢. ذلك أنه حين كانت جولدا مائير رئيسة للوزراء كانت تحب أن تصطحب الزوار الى هذا الموقع وتعرض عليهم الصورة الشاملة.

وكان مستوى ٣ يتلقى دلاء قضبان الوقود المعالج اشعاعيا فتجردها الوحدة ١ كميائيا من الألومينيوم. وكان مستوى ٤ هو المركز الرئيس للنشاط اذ تلحق به غرفة فرعية صغيرة للتحكم ومعامل لمراقبة العمليات. كما خصصت منطقة محددة لقسم التعدين حيث كانت تصنع بعض أجزاء الأسلحة أما مستوى خمسة فكان مخصصا بالكامل لهذا العمل اذ يعزل البلوتونيوم والليثيوم والبيريليوم وتتم معالجتها آليا في مخارط وماكينات طحن داخل صناديق قفازية ضخمة. بينت الصور التي التقطها فعنونو هذه المعدات على نطاق كبير. هناك أيضا الوحدة

٩٥، مصنع ٤ لانتاج الليثيوم اذ ترتفع أعمدته الزجاجية العمودية من خلال أربعة مستويات من خلال فتحة مصعد قديمة. أما مستوى ستة فنادرا ما كان يدخله أحد. اذ كان يضم صهاريج كبيرة فارغة للبقايا اذ يتم فيها دفن المواد الكميائية من أعلى في حالة الطوارئ.

وظهرت الآن رواية منهكة روى فيها فعنونو عن العمليات الكميائية بفضل تحفيز بارنبي وتم تدوين صفحات من الملحوظات التفصيلية. هذه التفاصيل هي التي ساعدت بارنبي على التأكد من التماسك الفني للقصة التي رواها الاسرائيلي. اذ تبين بضع مقتطفات من تلك الملحوظات التي دونت في ١٨ سبتمبر ١٩٨٦ كيف أن شذرات المتاهة المختلفة آخذة في التوافق معا، الوحدة ١٧ – هنا يتم تركيز السائل الى ٤٥٠ غرام في اللتر من اليورانيوم ب ١٧٠ الى ١٨٠ ميليغرام في الغرام من البلوتونيوم. ثم يتم ارساله الى وحدة ١٥. هنا يكون معدل التدفق ١٥٠ الى ١٧٥ في المائة من معدل الانتاج القياسي ٢٠٩ - لتر في الساعة، وحدة - ١٥ ينظف السائل مرة أخرى واليورانيوم المحتوي على نسبة من البلوتونيوم يصبح ممزوجا بالمذيب ويرسل الماء المشع المتبقي للمعالجة.

وحدة - ١٦ في هذه العملية يتم فصل اليورانيوم والبلوتونيوم. ويتم مزج المذيب المحتوي على اليورانيوم بالهيدرازين واليوررانيوم الذي سبق وضعه من خلال خلايا الكتروليتية منحلة بالكهرباء كي تجعله أيونات زائد. ٤ وتنتقل الوحدة المحتوية على بلوتونيوم الى وحدة ٣١ ويذهب المذيب الذي يحمل يورانيوم الى الوحدة ١٧، أعطى مورد أوصافا مشابهة لعشرين عملية تنفذ على وقود اليورانيوم المحلول أثناء مروره الذي يستغرق ٣٠ ساعة من خلال نظام الفصل. وكان يتم التعامل مع المواد عالية الاشعا ع وكذلك يتم حفظ جميع الشبكة المكونة من أنابيب زجاجية وما يصاحب ذلك من معدات في صناديق قفازية - وهي عبارة عن غرف صغيرة مضادة للاشعا ع بها نوافذ زجاجية وثقبان

بهما قفازات مطاطية سميكة لحماية من ينفذون التعديلات. وهذه الوحدات التي ينقى فيها البلوتونيوم بالتدريج تعد على أعلى درجة من الأهمية. وكان بالسائل الواصل الى وحدة ٣١، ٣٠٠ ميليغرام في اللتر وكان مركزا في ٢٠٠٠ ميليغرام ٢ (غرام) وهنا يجب أن يتخذ عمال الانتاج عناية أكبر كما شرح مورد، كان السائل يوضع في ما كان يسمى حقائب من الصفيح لمنعه من أن يصل الى حالة حرجة أو خطرة. وكانت هذه الحقائب ترسل الى وحدة٣٦. كل منها كانت تحتوي على ٢٠٠ لتر من السائل بعبارة أخرى ٤٠٠ غرام من البلوتونيوم ٢٣٩. وحذر مورد من أن مجرد بضعة كيلو غرامات يمكن أن تتسبب تلقائيا في حدوث انفجار ذري.

كانت الوحدة ٣٦ تزيل المزيد من الاشعاع من السائل ويتم تركيزه بدرجة أكبر. ثم تذهب الى الوحدة ٤٠ ٣٣ لتر من الماء النظيف تحتوي على ما نسبته ٩ الى ٩ غرامات في لتر البلوتونيوم، وقليل من الحامض، تذكر فعنونو الرضا الذي كان يستشعره هو وزملاؤه حين كان البلوتونيوم يصبح مرئيا في هذه الدرجة من التركيز يكون البلوتونيوم مثل المسحوق المعلق في الماء. وتوضع ٢٠ لتر في أحد الصهاريج وتسخن بالأوجزالات و H^2O^2 ماء ثقيل لأربع ساعات مما يجعل المسحوق أكثر نعومة ونقاء. وبعد التبريد لمدة ٨ ساعات ينتقل هذا السائل الى وعاء زجاجي كبير في صندوق قفازي. في قاع الوعاء الزجاجي يوجد عمود زجاجي يوضع فيه طبق زجاجي على شكل طبق الفنجان. وتضاف المواد الكميائية من خلال أنبوب ويتكون المسحوق في السائل ويسقط كالجليد في الطبق. وتنتج العشرون لتراً طبقاً ونصف الطبق من المسحوق. وتنتج العشرون لتراً الأخرى طبقا ونصفاً أخرى قال ان كومة البقايا كانت تشبه الكعك. ويترك المسحوق لبضع ساعات بحيث ينفخ فيه الهواء كي يجففه ثم يتم ارساله الى الوحدة ٣٧.

كشف فعنونو عن أن هذه هي المرحلة النهائية. وكانت كل، كعكة،

توضع في موقد لمدة ست ساعات. في الصندوق القفازي التالي يمرر فلوريد الهيدروجين خلال المسحوق لمدة ساعتين. ويمزج هذا بالكلسيوم ويوضع في اناء أشبه بالطباشير.

وترسل شحنة كبيرة من المغناطيسية من خلال المسحوق لمدة دقيقتين. فينتج عن هذا، زر، من معدن البلوتونيوم زنته ١٣٠ غرام تقريبا، كنا نصنع تسعة من هذه أسبوعيا في المتوسط، وقال انها كانت تؤخذ الى مستوى ٥ وتشكل في كرات وزنها ٤ كيلوغرامات وهي الجوهر المركزي للسلاح النووي.

كانت هذه معلومات مهمة لأنها تعني أن الناتج الكلي للمصنع يمكن حسابه. وكذلك أفصح فعنونو عن أن عملية المصنع الذي يقوم بالفصل ظل يعمل بلا انقطاع لمدة ثمانية أشهر من أكتوبر الى يوليه من كل عام ليس بعد وقت طويل من افتتاح المصنع في الستينيات من القرن الماضي فلو أن تسعة أزرار، وزنها ١٣٠ غرامات كانت تصنع كل أسبوع يكون المصنع قد أنتج بشكل منتظم حوالي ٤٠ كيلوغرام تقريبا سنويا - عشر قنابل بقوة تفجيرية تعادل قنبلة هيروشيما أو ناجاساكي.

لم يكن البلوتونيوم هو المادة الوحيدة التي يتم صنعها في ماخون ٢ والتي لها أهمية استراتيجية. اذ كان بارنبي يرى أن انتاج الترتيوم والليثيوم ٤ يعد اكتشافا حيويا. كما قال فعنونو ان مصنعا استرشاديا لصنع الليثيوم ٦ قد تم انشاؤه عام ١٩٧٧ وانه قد عمل في مصنع يعمل على نطاق صناعي والذي افتتح في الوحدة ٩٥ من ماخون ٢ عام ١٩٨٤. أنتج في تسع سنوات ١٧٠ من الكيلوغرامات قبل أن يتم الاستغناء عنه لأنه قد تم تكديس ما يكفي حاليا.

وبعض من الليثيوم ٦ تم اشعاعه بالنيوترونات في المفاعل منتجا غاز التريتيوم بالاضافة الى الهيدروجين والهيليوم. فكان التريتيوم يمرر من خلال اليورانيوم المغطى بالمسحوق الذي يمتص الغاز فيجعله قابلاً للتخزين بسهولة ولاطلاقه يجب ببساطة تسخين المسحوق.

وكان القائمون على هذا المفاعل يزهون زهوا شديدا بهذه العمليات حتى أنها دائما ما كانت تعرض على كبار الزوار. فلا شك في أنهم كانوا يشيرون بفخر شديد الى أن الترتيوم يمكن استخدامه كحافز نووي كي يبدأ سلسلة من التفاعلات من الانشطار القوي في القنبلة الذرية وأن ليثيوم ٦ مادة انصهار تستخدم في الأسلحة النووية الحرارية.

ليس من طبيعة بارنبي أن يميل الى ردود الأفعال الفورية فأخذ ما يكفيه من وقت لتقييم ما علمه من فعنونو. فأنفقت الكثير من الساعات لدراسة الصور الفوتغرافية التي أخرجها فعنونو والنظر بدقة في الشرائح المشعة على جدار الحجرة بفندق هيث لودج. وفي وقت من الأوقات سيطر على عقله الشك. ذلك أن وصف فعنونو للعملية التي تتم لتدوير بقايا اليورانيوم لم تكن معقولة.

فانتحى بروبين مورجان. وقال بهدوء، أظن أنه مغامر. اذ توجد نقاط ضعف في ما يصف. فهذا ليس كلاما علميا، فكانت هذه ضربة موجعة لمحرر الموضوعات الخاصة بالسندي تايمز الذي كابد بضع ساعات من اللهفة الى أن تدارس بارنبي الأمر مع زملائه. وعاد بأخبار مطمئنةٌ، لقد نسينا أن هؤلاء هم الاسرائيليون. اذ عليهم أن يجدوا طريقة للحفاظ على أكبر قدر ممكن من اليورانيوم والعملية التي يصفها فعنونو يمكن أن تحقق هذه النتيجة. أعتقد أنه يقول الحقيقة.

لقد فات على بارنبي أن مطلق صفارة الانذار ربما يكون عن غير قصد يقوم بما يريده الاسرائيليون بالفعل - وهو تقديم تحذير لأعداء بلاده من العرب مؤدّاه أن اسرائيل قوة شديدة يجب أن يعتد بها. عموما كان يعتقد أن القصة يجب أن تنشر. سواء أعجب ذلك الاسرائيليين أو لم يعجبهم. في نهاية جلسات الاستقصاء وضع بارنبي كتابة تقييمه لما تنطوي عليه، لقد أتيحت لي فرصة لقاء ميستر فعنونو في عدد من المناسبات وناقشت بالتفصيل كل العمليات التي تستخدم في ماخون ٦ وهو المبنى الذي يصنع فيه البلوتونيوم والليثيوم ٦ والترتيوم.

وباعتباري عالم في الفزياء النووية اتضح لي أن التفاصيل التي أدلى بها دقيقة من الناحية العلمية وتبين أنه لم يعمل في هذه العمليات فحسب ولكنه يعرف تفاصيل الطرق الفنية. كما أن معدلات التدفق من خلال المصنع التي يذكرها بالتحديد تؤكد بالضبط كمية البلوتونيوم التي كان يتم صنعها. ان كميات ٤٠ كيلوغرام في السنة كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لي اذ انها تعني أن مفاعل ديمونة أكبر بكثير - ربما كان أكبر بست مرات عن الحجم الذي كثيرا ما يعلن عنه رسميا.

السبب الوحيد الذي يجعلنا نغير تقييمنا لسياسة اسرائيل النووية بعد سماع شهادة ميستر فعنونو التي تبدو مقنعة اقناعا تاما هو مجرد حجم ترسانتها النووية. ذلك أنه يمكن لاسرائيل أن تنتج ١٠ أسلحة نووية في السنة بمعدل انتاج يبلغ حوالي ٤٠ كيلوغرام من البلوتونيوم في السنة. اذ انه من الممكن أن يكون لدى اسرائيل الآن ما يربو على ١٠٠ سلاح نووي وهذا معناه أن اسرائيل ليست القوة النووية القزمة حسب ما كنا نظن ولكنها ذات قوة نووية في مكانة تقترب من مكانة الصين التي تمتلك حوالي ٣٠٠ سلاح نووي وفرنسا حوالي ٥٠٠ سلاح نووي والمملكة المتحدة حوالي ٧٠٠ سلاح نووي أما الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية فهما في درجة تخصهما بالطبع. فلدى كل منهما حوالي ٢٥٠٠٠ سلاح نووي.

وثمة سبب آخر يجعلنا لا نغير تقييمنا لوضع اسرائيل النووي هو انتاجها لهيدريدات الليثيوم والترتيوم. حتى الآن كان الافتراض العام هو أن اسرائيل أنتجت أسلحة نووية وهي تسمى أسلحة نووية من، الجيل الأول، القائمة على تصميم ناجاساكي. والمادة الحرجة في مثل هذا السلاح هي البلوتونيوم، وينطوي استحواذ اسرائيل على الليثيوم على أنها أصبحت قوة تنتج السلاح النووي الحراري - أي صانع للقنابل الهيدروجينية مثبتة وضعها في نفس النادي النووي على قدم المساواة مع الصين وفرنسا والمملكة المتحدة. اذن فان الأدلة التي

تؤدي اليها اكتشافات السندي تايمز هي أن اسرائيل لديها القدرة على اعداد وانتاج الأسلحة بحاصل يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ كيلوطن. وهذه تعادل من حيث الحجم أحدث ما تم التوصل اليه الصواريخ الباليستية العابرة للقارات التي توزعها صواريخ شفالين المركبة الآن في غواصات أسطول بولاريس البريطاني.

ثم أضاف بارنبي بطريقة درامية «لقد بينت اسرائيل أنه من الممكن لبلد نام صغير أن يصبح قوة نووية حرارية تقريبا دون عون من الآخرين.»

أين فعنونو؟

كان قرار فضح ازدواجية اسرائيل وما تمارسه من خداع على من حالفوها لما يقرب من ثلاثين عاما قرارا كبيرا بالنسبة لمورد. فلقد خدم باخلاص في قوات الدفاع الاسرائيلية كما نشأ وفق أفضل التقاليد اليهودية - وهي أن يكون المرء صادقا ووطنيا. حدثت احدى نقاط التحول حين ذهب الى الجامعة وبدأ يهتم بالأفكار السياسية المتطرفة. فاعتنق بشدة منذ ذلك الوقت الاعتقاد بأن بناء ترسانة نووية سرية يعد عملا غير أخلاقي. ولكن مع تمحيص فريق الاستقصاء بعمق فيما كشفه عن ديمونة أصبح من الواضح أن هناك عوامل أخرى أسهمت في أن يتحول الى مطلق صفارة الانذار. اذ كان أصلا يهوديا مغربيا.

لذا أحس بأن اليهود الأشكيناز الذين تلقوا تعليما أوربيا والذين كانوا يديرون المفاعل يعتبرونه عن غير حق مواطنا من الدرجة الثانية.

كان التعمق في دوافع مورد جزء مهما لعملية البحث المستفيض وذلك لأن امكانية أنه كان، نبتة، مزروعة أمامهم احتمالا من المستحيل استبعاده. لذا كانت التفاصيل التي تتحدث عن بواكير حياته على درجة كبيرة من الأهمية ولقد روى لنا طواعية بعض ذكرياته. ولد فعنونو في مراكش في ١٣ أكتوبر عام ١٩٥٤ وكان والداه شلومو سليمان ومزال يديران محلا صغيرا في حي الملا.

وكان هو ثاني أكبر الأبناء من بين أحد عشر أخا وأختا، الآخرون هم ألبيرت مبير ونيذبت وبروياش وأشر وشوللميت وأفيفا وموشي وروتي وأخيرا دانيل الأخ الأصغر. نشأ مورد في حي يهودي غير أنه كان يذهب الى مدرسة تعلم أيضا اللغة العربية واللغة الفرنسية. في بعض الأحيان

كان يشعر بوجود مشاعر سيئة بين العرب واليهود كما كانت تقع من حين الى آخر بعض المشاجرات في الشارع.

«كانوا أحيانا يلقون علينا الحجارة» واستطرد قائلا وهو يسترجع ذكرياته «في أحد الأيام فررت من احدى الهجمات ودخلت مقهى عربيا وكانوا ودودين معي. ففي تلك الأيام لم تكن العلاقات بالغة السوء.»

شعر مورد بالخجل من أن يقر بأنه في احدى المرات سرق نقودا من أبيه - حوالي .شرة جنيهات - وعانى من جراء ذلك معاناة مؤلمة. «لقد طلب مني أن أعتني بالمحل حيث كان ذاهبا الى مكان ما. وحين عاد اكتشف أن ورقة نقدية مفقودة. فجاء وسألني اذا كنت أخذتها. ثم ضربني على رأسي ونزفت قليلاً من الدم.»

«كانت الكدمات تغطي وجهي فحين ذهبت الى المدرسة كنت أخشى أن يسألوني عما حدث. فأخبرتهم بأن بعض العرب ألقوا علي الحجارة وأنا في طريقي الى هناك.

فأخذوني الى مدير المدرسة كي أبلغ عما قلت أنه قد حدث.» كان مورد ملتصقا بجده الذي كان يبلغ من العمر ثمانين عاما كما كان كفيفا. وكان ابنه وجميع بناته قد هاجروا الى اسرائيل عام ١٩٥٢ فصار وحيدا. «كنا أنا وهو صديقين اذ كان يسكن في نفس الشارع في حجرة مظلمة واعتدت أن أزوره وآخذ الطعام له. ولم يكن شديد التدين اذ أتذكر أنه كان يدخن السجائر.» شعر فعنونو بكدر عظيم حين مات. «أخبرتني أمي بأني لا أستطيع حضور الجنازة اذ ليس من اللطيف أن أكون هناك حين يأتي كل الناس لدفنه. فأخذت أخوتي وأخواتي الى منزل أحد الجيران. وأدهشني أنهم لم يسمحوا لي بأن أذهب.»

كان ذلك الوقت هو الوقت الذي تنامى فيه الشعور المعادي لليهود فقرر أبو فعنونو بتردد أن يبيع محله ويلحق ببقية العائلة الى أرض الميعاد. كنا في عام ١٩٦٣ وكان مورد قد بلغ الثامنة. انه يتذكر الرحلة وكأنها حدثت اليوم. «ركبنا قطارا الى الدار البيضاء ثم أخذتنا سفينة

كبيرة الى مرسيليا» كان بها قاعة كبيرة فيها الكثير من تلك الأسرة التي عادة ما توجد على السفن. وكان البحر أثناء الليل عنيفا جدا. فشعر الكثير من الناس بالمرض وألقوا بكل الطعام الى الخارج. «في مرسيليا أخذونا الى مخيم لليهود حيث مكثنا لمدة شهر. كان أحد معسكرات الاعتقالات الجماعية الألمانية. وخرج أبي واشترى الكثير من الأشياء من أجل بيتنا الجديد مثل الثلاجة والغسالة الآلية. ثم ركبنا سفينة كبيرة الى اسرائيل. فتناولنا طعاما جيدا واستمتعنا بحمام سباحة. ثم أتينا الى حيفا وشاهدنا الجبال وجميع العمال يحصلون على الطماطم. طلب أبي أن نذهب الى تل أبيب فأخذنا في سيارتي أجرة (تاكسي) ومعنا حقائب ملابسنا الى بئر سبع.»

تلقت أسرة فعنونو صدمة كريهة. اذ كانت تتوقع أن تجد نفسها في أرض تتدفق بالمن والسلوى وشقة مريحة فاذا بها في مدينة صحراوية بائسة. وتتذكر مورد خيبة الرجاء التي شعروا بها، خرجنا من سيارة الأجرة وأعطونا كوخا صغيرا مصنوعا من الخشب. كان يوجد مرحاض بالخارج. فشعر أبي بالضيق الشديد.

وانزوى صامتا في ركن الكوخ ولم يتحدث مع أي شخص ومكثنا يومين دون أن ندري أين نحن. لم تكن هناك كهرباء كما كانت المعدات الجديدة عديمة الفائدة. فتركت لا تقيها سوى الملاءات حتى وجد شلومو مشتريا لها.

كانت السنة الأولى قاسية غير أنه أمكن الحصول على شقة أفضل وبدأ شلومو يكيف نفسه مع هذه الحياة الجديدة اذ اشترى محلا صغيرا للبقالة وكرس وقت فراغه لدراساته الدينية. وكان الناس ينظرون اليه باعتباره حاخاما واكتسب احتراما كبيرا في منطقة السوق.

أما فعنونو فقد بدأ الدراسة في المدرسة الابتدائية حديثة البناء. ثم أرسله أبوه حين بلغ التاسعة الى يشيفا تيخونيت وهي مدرسة داخلية دينية تقع على أطراف البلدة. كان يقضي الصباح في ترتيل الكتب

المقدسة بينما كانت ساعات ما بعد الظهيرة مخصصة للدروس التقليدية. ويتذكر أنه كان سعيدا في البداية مع وجود الكثير من الأصدقاء. كان يستمتع بالرياضيات بصفة خاصة ولكن استظهار التوراة وحفظها دون فهم جعله رويدا رويدا يفقد حماسه للدين.

في سن السابعة عشرة حين غادر المدرسة كانت تخيم على قلب أبيه خيبة أمل عميقة بسبب علمانية ابنه. فقال له بحزن «يمكنك أن ترتل التوراة. فهو كامن بداخلك.» ومع ذلك كان فخورا لأن موردخاي تخرج بدرجات علامات ممتازة.

وكان فعنونو يشعر بطموح عارم وحيد وهو أن يصبح ملاحا. وبعد التغلب على العقبات المعتادة التي توضع في طريق اليهود العرب الذين يحاولون الالتحاق بالقوات الجوية سمح له بالتقدم لامتحان الفحص ولم تكن تنتظره أية نتيجة سوى الرسوب. فاختار الجيش وسرعان ما صار قائد فرقة صغيرة وقام بجهد جيد في حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ كان كخبير ألغام يفجر التجهيزات الموجودة فوق مرتفعات الجولان عام ١٩٧٤ قبل تسليم الأراضي للسوريين. وأصبح رقيبا وطلب منه أن يتخذ من الجيش مستقبله العملي غير أنه رفض العرض وقال لوحدته «أريد أن أكمل تعليمي.»

لذا التحق مورد قبيل عيد ميلاده الحادي والعشرين عام ١٩٧٥ بجامعة رمات افيف بتل أبيب لدراسة الطبيعة. ولم يوفق في هذا اذ رسب رسوبا بشعا في امتحانين مهمين. وعندما عاد الى بئر سبع كسير الخاطر مهزوما علم من أحد أصدقاء مبير أخيه أنهم يعلنون عن وظائف بمرتبات جيدة للعمل في حجرة المراقبة في المفاعل بالقرب من ديمونة أي مركز الأبحاث النووية. فوقع في الخية. اذ كان يعرف الوصف الرسمي لديمونة كما التقط بعض الشائعات بأن لها، غرضاً آخر، فلربما بخلفيته العلمية تتاح له فرصة الحصول الى ما بدا أنه وظيفة براتب جيد مع احتمال التقدم في المستقبل. وكان للمركز فرعا للتعبئة في بئر سبع

وبعد أن ملأ استمارة موسعة أخذت ضابطة أمن تسأله بالتفصيل عن عاداته. وتعمقت على وجه التخصيص كي تعرف ما اذا كان له سجل جنائي أو ارتباطات سياسية تدعو للريبة. سارت المقابلة على ما يرام ولكن كما كان هو الحال مع غيره من الذين يملأون استمارات ممن يأخذهم المركز في ذلك الوقت كان لا بد من مرور تسعة أشهر قبل أن تنتهي فترة الاختبار والمراقبة. انضم الى كشف المرتبات كمتدرب في ٢ نوفمبر عام ١٩٧٦ وهو نفس الشهر الذي كانت فيه ديمونة لفترة قصيرة محط نظر الجمهور في اسرائيل وفي الولايات المتحدة. اذ طلبت مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ في واشينطون تقوم ببعثة الى القدس لتقصي الحقائق طلبت زيارة المركز وهي مهتمة بشائعات بأنه ليس كما ينشر دائما منشأة أبحاث مكرسة للاستخدامات السلمية للطاقة النووية. فرفض الطلب رفضا قاطعا مما تسبب في بعض التململات الدبلوماسية وبعض التعليقات الانتقادية في بعض الصحف في أمريكا وأوربا.

أيا كان الأمر فان فعنونو كان أكثر انشغالا من أن يهتم اهتماما كبيرا بشيء كهذا. اذ قضى الأسابيع العشرة الأول في الوظيفة في دورة دراسية منهكة درس فيها الكمياء والفزياء والرياضيات واللغة الانجليزية - كانت الدروس تتم في حجرة دراسية في بلدة ديمونة. في يناير ١٩٧٧ حضر هو وأربعة وأربعون من المتقدمين امتحانات مضنية في هذه المواد الدراسية ولكن ستة أبلغوا بأن يغادروا دون ذكر أية أسباب. وافترض الآخرون أنهم قد تم رفضهم على أسس أمنية. ويتذكر مورد أنه كان مبتهجا ومزهوا. اذ أنه تمكن ولو على نحو بسيط من أن يعوض فشله في جامعة رمات آفيف: فحق لأبيه أن يكون فخورا به. وظلّت الحال هكذا حتى فبراير حين ألقى مورد نظرته الخاطفة الأولى على المجمع العلمي الكبير الذي قدر أن يصبح هو حياته على مدى السنوات الثماني التالية. في احدى حافلات الفولفو ذات اللونين الأزرق والأبيض وصل

هو وزملاؤه من المتدربين عند أولى نقطتي تفتيش تابعتين للجيش في المنطقة المحيطة بالمجمع للتوقيع بالحضور وليزودوا بتصاريح أمنية وكان تصريحه رقمه ٨-٩٦٥٧. وطلب منه أن يوقع على قانون الأسرار الرسمية الذي يمنع الكشف عن الأمور الأمنية الحساسة على أن يتعرض من يفعل ذلك لمدة سجن تبلغ ١٥ سنة. كما كان عليه أن يعد بعدم زيارة أي دولة شيوعية أو عربية لمدة خمس سنوات على الأقل بعد تركه للوظيفة.

تلت ذلك فحوص صحية ثم وجه الى الداخل - من أجل القيام بالمزيد من الدراسات. فانخرط في دورة دراسية لمدة شهرين كان التعليم بها أكثر تركيزا - في الفزياء النووية والكمياء مع اهتمام خاص باليورانيوم والبلوتونيوم والاشعائية واللغة الانجليزية المتعلقة بالمصطلحات الفنية والهندسة الكميائية ومبادئ الاسعافات الأولية وكذلك التدريب على الحريق. أخفق عدد من الطلاب في اجتياز الامتحانات التي تلت ذلك في ابريل وقسم أعضاء الصف المتبقين الى فرقتين تتكون كل منهما من. ١٤ كلفت احداهما بفحص النشاط الاشعاعي وأصبحت مجموعة مورد مراقبي عمليات عمل ستة منهم في ماخون ٢ وبدأت الآن دورة اكتساب الألفة مدتها عشرة أسابيع وصلت الى ذروتها باقامة حفل انتهت الدورة. في هذه المرحلة أُعطي مورد رقم تصريح آخر لدخول ماخون ٢- ٣٢٠ خزانة رقم ٣ وأبلغ بأن يستخدم حمام ١٤. واجتاز سلسلة من الاختبارات النهائية والامتحانات قبل أن يتم ابلاغه بأنه سوف يعمل في النوبة الليلية من ٣٠.٠١ ليلاً الى ٠٨,٠٠ صباحا. وارتفع راتبه من ٣٠٠ دولار الى ٥٠٠ دولار شهريا وهو معدل مرتب جيد بالنسبة لفني في الصناعة الاسرائيلية.

وكان هو وزملاؤه محددين الى حد كبير على المبنى ولكن كان مسموح لهم بالذهاب الى المقصف أو الدردشة مع غيرهم من العاملين. «كنا نشجع على أن ننظر الى أنفسنا كمجتمع قائم بذاته» واستمر يقول

«وجدت أن العمل سهل جدا - فكل شيء كان يحدث بطريقة أوتوماتيكية على مدار الساعة وكان يتطلب مني فقط أن أقدم تقارير روتينية.»

في مارس عام ١٩٧٨ انتقل الى قسم مختلف من مصنع عملية الفصل وفي أغسطس ١٩٧٩ انتقل مؤقتا الى ماخون ٤ حيث كانت تعالج البقايا الاشعاعية الأكثر خطرا. ويتذكر أنه كان سعيدا بهذه التنقلات؛ اذ كانت تعني أن تنوع العمل تحسن. ظل الوضع هكذا في ذلك العام حتى نوفمبر حين انتقل مرة أخرى الى الوحدة ٩٥ من ماخون ٢ وهو مصنع الليثيوم ٦ الذي كان يتخلق وفي هذا الوقت بدأت أفكاره تتغير تغيرا طفيفا. والتحق بجامعة بن غوريون في بئر سبع لدراسة الهندسة. وفي خلال أسبوع انتقل لدراسة الاقتصاد وبدأ في دورة دراسية قصيرة لدراسة الفلسفة اليونانية وبدأت الأفكار تتقاذفه بين صحة ما كان يفعله في ديمونة وخطئه ووجد فعنونو أن من السهل عليه تجاهل هذه الأفكار بما أنه الآن يخدم مصلحته بشكل جيد. اذ كان على درجة مالية رفيعة أكثر بكثير من ذي قبل كما كان سجل عمله جيد جدا؛ حتى أنه قدم طلبا بمصروفات هاتف وسيارة. ولم يكن لدى مورد أي اهتمام بأيهما لذا جعل الهاتف يركب في منزل والديه في بئر سبع وسجل سيارة أخيه مير باسمه.

في خريف ١٩٨٠ بدأ في عطلة مكلفة ذهب أثناءها الى أوربا وكانت هذه هي المرة الأولى التي يغادر فيها وطنه الذي اختاره. وبعد قضاء أوقات ساحرة في لندن وآمستردام وألمانيا والبلاد الاسكندنافية تجول جولة قصيرة حول الجزر اليونانية مع صديق كندي التقى به يدعى تري. وبعد عودته بوقت وجيز اشترى شقة في بئر سبع مستخدما المدخرات التي كان من السهل عليه ادخارها.

كانت الحياة رائعة كما تذكر غير أن الشكوك كانت ما تزال موجودة. ويتذكر أنه سأل أحد كبار المهندسين فيما يستخدم ليثيوم ٦ مع أنه كان يعلم مسبقا أنه يستعمل من أجل الأسلحة النووية الحرارية. وقيل له «ان

عملنا هو انتاجه وليس طرح الأسئلة» مع مقدم عام ١٩٨٢ كان يتقاضى ٨٠٠ دولار شهريا وانتقل الى استخلاص البلوتونيوم من الوحدة ٩٥ وبذلك نجا من حادثة كان من الممكن أن تكون مدمرة. اذ هرب الهيدروجين من خلية الكتريكتية فانفجر ملقيا كبير المهندسين الى الجدار - غير أنه نجا بمعجزة دون أن يلحق به أي أذى.

في ذلك الصيف حانت فترة الاغلاق واشترى لنفسه سيارة جديدة من طراز أودي ٨٠ سرعان ما باعها بعد ذلك معتقدا أنها «مبهرجة أكثر مما ينبغي.» كان الآن يدرس للحصول على شهادة جامعية في الفلسفة والجغرافية ويتنامى لديه اهتمام بالسياسة في الجامعة. «في ذلك الوقت كنت أحس بشكل خطير بأني قد خاب رجائي من عملي. كنت أكره الحرب في لبنان شأني شأن الكثيرين من أصدقائي وبدأت أفكر في ترك المفاعل وأن أفعل شيئا آخر.»

استمر في العمل على أي حال الا أنه أصبح أكثر فضولا بشأن ألغاز ماخون ٢ كما أخذ اهتمامه بالسياسة يزداد. ومما جلب السرور على قلب والديه أنه حصل على درجته العلمية في الجغرافية والفلسفة وبدأ الدراسات العليا. في صيف ١٩٨٣ ذهب مع أحد أصدقائه من الكيبوتز في رحلة استغرقت ثلاثة أشهر الى الولايات المتحدة وكندة أخذا رحلة جماعية خاصة تشارتر من مطار شانون.

وحين عاد الى عمله وجد أنه واقع في المتاعب. اذ كان قد أبلغ الا يسافر الا عن طريق الخطوط الجوية المبرمجية مباشرة الى أمريكا الشمالية وهو احتراز معروف توقيا لحدوث اختطاف للطائرة بواسطة الارهابيين. فهدد مكتب الأمن بعقد محاكمة انضباطية الا أن شيئا لم يحدث بعد ذلك.

ولما كان عمله بصفة رئيسة خارج ساعات العمل المعتادة فقد ألقى فعنونو بنفسه تماما في خضم الحياة الطلابية وتم انتخابه ممثلا لقسم الفلسفة في مجلس الطلبة في ديسمبر من عام ١٩٨٣. حسب ما يتذكر

كانت هذه نقطة تحول فكرية «دخلت الانتخابات على تذكرة مستقلة غير أني كنت منحازا الى الجناح اليساري الذي كان يشتمل على حزب العمل والعرب. وأصبحت منخرطا أكثر وأكثر في السياسة في الجامعة. في ذلك الوقت كان الطلبة العرب في الجامعة لديهم مشكلة معينة اذ كانت الشرطة قد أوقفت أربعة من الطلبة العرب اشتباها في أنهم يحملون كتابات تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وأطلق سراحهم بعد يومين ولكن أحدهم أبلغ بأن يبقى في قريته لمدة ستة أشهر. حاولنا تقديم المساعدة عن طريق توقيع شكوى لاطلاق سراحه أو محاكمته.»

«وفي مارس ١٩٨٤ كونت أنا وخمسة من الطلبة العرب وأربعة من اليهود جماعة عمل لتناول الصراع العربي الاسرائيلي بصفة خاصة داخل الجامعة. كانت الجماعة يسارية وكانت هناك أفرع أخرى في الجامعات مع أنه لم تكن لدينا أية اتصالات بها. ولم يكن رئيسنا يعترف بها. في نفس الوقت رفض أستاذنا د. افرون بولاكوف الخدمة في الجيش في لبنان لذا سجن لمدة ٢٨ يوما.

فأيدناه وقمنا بزيارته في السجن. حينئذ كان معظم أصدقائي من العرب وكان الكثيرون من الطلبة اليهود الاسرائيليين يتجاهلونني.» في يونيه من ذلك العام طلبني رجل الأمن في المجمع كي أذهب الى مكتبه. وكان هناك رجل واحد لم يكن من ديمونة - من الممكن أن يكون من الشين بيت الأمن الداخلي المترجم - وسألاني عما اذا كنت أعرف سبب وجودي هناك أي في المكتب. السبب هو نشاطي السياسي في الجامعة. وسألاني عن العرب الذين كنت أقابلهم. وحين حاولت تبرير أنشطتي. قلت «أخبرتموني بأن أضع حدا لصلاتي. أدركت أنهم يعلمون كل شيء عني فقلت اني سأحاول أن أكون حريصا مدققا في من أختلط بهم..» من الواضح أن مورد لم يكن ينوي أن يفعل ذلك بجدية شديدة. في يوليو طار الى باريس مع مجموعة طلابية لمدة أسبوعين ليقابل طلبة من اليهود

الفرنسيين. بعد ذلك بشهر تعرض لمزيد من الضغط. اذ كان قد أرسل الى مدرسة المجمع للتدرب مع تسعة غيره كي يكون رئيسا للعمال.

وفي أحد الأيام طلب المجمع الاطلاع على بعض مقالاته الفلسفية. واسترجع فعنونو «لا بد أن جهاز الأمن هو الذي طلب ذلك.» في ديسمبر كان مرشحا مرة أخرى لانتخابات الطلبة مدافعا عن القضايا العربية ومرة أخرى دفع به للمثول أمام أمن المجمع وسئل عن السبب الذي جعله ينقض وعوده «فقلت لهم ربما أتوقف في المستقبل القريب. فضايقهم ذلك غير أن شيئا لم يحدث. أظن أني كنت مفيدا لهم فائدة هائلة.» واستمر في أنشطته الطلابية داعيا متحدثين من منظمات مؤيدة للفلسطينيين تسمى حركة تقدم السلام وكذلك حضر تجمعا عربيا كبيرا في كفار رهت وهي قرية بالقرب من بئر سبع.

كان فعنونو في ذلك الوقت في أوائل عهده بالحياة المزدوجة من ناحية شخصاً فنياً مدققاً كفؤاً مسؤولاً عن عمليات كميائية معقدة ومن ناحية أخرى طالباً متطرفاً ناشطاً خارج ما درج عليه معظم الطلبة اليهود في الجامعة التي ينتمي اليها. من ذلك الوقت لا يتذكر أحد أنه كانت له صديقة ثابتة لأنهم استشفوا أنه يتسم بالحياء الشديد مع النساء. لقد أعطاه حييم مارانتز أستاذ الفلسفة الذي كان يحاضر له وظيفة مساعد معلم - وهو شيء كان يجب أن يصفي علاقته مع المجمع. اذ وجد مرانتز فيه عونا كبيرا غير أنه شك في غيرته الأكاديمية. اذ قال «أتذكر أنه قد اتضح لي في أحد الأوقات أن معرفته بماركس كانت معرفة متواضعة. وأتذكر أني ناقشت ورقة امتحان وتناقشنا في كيفية وضع الدرجات العلامات سؤال معين وكانت معرفته شديدة البدائية. فأدهشني هذا.»

لم يكن الوحيد في اطار أسرته الذي كان يحس بعدم الرضيا أو الارتياح. فأخوه مير عاد الى اسرائيل من رحلة الى الولايات المتحدة حيث كان يكمل دراساته القانونية. وبعد بضعة أشهر نهض وغادر مرة

أخرى قائلا ان الحياة في اسرائيل لا تطاق وتغص بالاتجاهات السياسية الرجعية. شعر مورد بالحزن وقد رآه يذهب - لقد كان هو ومبير دائما على علاقة وثيقة بل كانا توأمي روح - غير أن آراء مبير ساعدته على أن يرى الأمور على نحو أكثر وضوحا. فاحتاج الى معرفة المزيد عن ماخون ٢. اذ لا يمكن لهذا المرفق الضخم غالي التكلفة أن يقوم فقط بانتاج حفنة من الأسلحة النووية، كقنبلة في أسفل أحد المباني، - أي رادع يستخدم كملجأ أخير. وكان قلقا من أن الهدف منه أداء أغراض أكثر مدعاة للتساؤل الى حد بعيد - تزويد اسرائيل بوسائل شن الحرب ضد بلاد الشرق الأوسط الأخرى وربما أبعد من ذلك.

في أوائل عام ١٩٨٥ قام مورد بزيارته المتكتمة المستترة الأولى الى قسم التعدين في مستوى خمسة الذي أشيع عنه أنه منطقة تصنيع الأسلحة. فوق احدى الخزانات بالقرب من الدش ترك أحد رؤساء الأقسام الكسالى مفاتيحه. فكان الدخول والتجول أمرا بسيطا مع ما به من ارهاق للأعصاب. كان المكان مهجورا الى حد كبير أثناء تغيير النوبات كما قال فعنونو. وشعر بالذهول من هول ما رأى من تعقيد في المعدات المركبة في الحجرات المنفصلة على طول الممر.

لم تكن السلطات تعرف أي شيء عن مغامراته. غير أن هيئة الأمن داخل المجمع كان قلقها يزداد. وكان للشين بيت أي وكالة الأمن الداخلي مخبروها في كل مكان والمعلومات تنتقل بشكل منتظم الى زملائهم في مجمع ديمونة. فأبلغوا أن فعنونو يصبح يوما بعد يوم أكثر تجاسرا على التكلم في تأييده ومساندته للاستقلال الفلسطيني. فتم استدعاؤه وتحذيره مرة أخرى من أنه يزداد حمقا وتهورا اذ يزج بنفسه في المعتقدات السياسية للجناح اليساري.

في تلك الفترة كان قد أصبح أكثر سخطا على النظام الطبقي البغيض القائم داخل المصنع؛ اذ شعر بأنه ينظر اليه من عل بسبب أصوله السفاردية كونه من أصول شرقية. فضاعفت التحذيرات من

مشاعر السخط التي كانت تعتمل بداخله وأخذت القضية النووية تلح على عقله الحاحا اذ يملؤه القلق من القوة المدمرة الهائلة الكامنة في السلاح الذي يساعد هو على انتاجه. وراح يقول في نفسه «كيف يمكن أن يحل السلام في الشرق الأوسط اذا كانت اسرائيل تجعل من نفسها كيانا لا يمس.»

فخطر بباله أنه ليس أمامه اختيار سوى الرحيل. وكتب في يومياته يقول «تبدأ الآن صفحة جديدة. فبعد أن كانت الأفكار تختمر في ذهني الآن تبدأ الرحلة. اني مقبل على الرحلة. لقد وقعت على الأوراق لبيع الشقة وبعد هذا الاتفاق سوف تقع تغيرات أخرى. سوف أترك وظيفتي ودراستي وتلك المنطقة التي عشت فيها طويلا - بعيدا عن عائلتي وربما بعيدا عن اليهودية. تطلع جديد وعالم جديد. أمامي حياة مليئة بالاختيارات أتمتع فيها بتكوين آرائي الخاصة بجهدي وحدي.»

مرة أخرى ذات صباح مبكر في ١ مايو استدعاه مكتب الأمن وأخذته السيارة للاستجواب في مكاتب وزارة الدفاع في أكيريا في تل أبيب. وتم سؤاله بطريقة غاضبة بواسطة رئيس مكتب الأمن في المجمع وذلك في حجرة للمقابلات كما كان هناك محام ربما كان من الشين بيت وكان الاستجواب عن الاحتجاجات المؤيدة للعرب التي حضرها وكان أحدها ضد أريئيل شرون قائد القوة التي تغزو لبنان. كانوا يعرفون السبب الذي جعله يلهو بفكرة أنه عضو في الحزب الشيوعي الاسرائيلي اذ تم التحقق من وجوده في مكتب الحزب في بئر سبع. فرد على سبيل الشرح «كنت هناك فقط لشراء الكتب» أدرك فعنونو أنه لا بد أنهم صوروه في اجتماعات مختلفة. لذا فان محاولة انكار تورطه تعد محاولة عديمة الجدوى ولكنه صمد في وجه عاصفة الأسئلة.

فأقر بأنه يعلم أن بعض العرب مؤيدون للناشطين. فأبلغ المحققين قائلا «لقد تحدثت اليهم ولكن ليس عن منظمة التحرير الفلسطينية. بل تحدثنا فقط عن الشؤون الطلابية.»

ارتكب من حققوا معه خطأ فادحا أثر فيما بعد تأثيرا فظيعا على مستقبلهم العملي وذلك بأن حذروه بصرامة وجعلوه يقرأ بصوت مرتفع مقتطفات من نظم الأمن التي تتحدث عن كشف معلومات غير مسموح بها وكذلك مقتطفات عن عقوبة السجن. غير أنهم قصروا في اقناعه بتوقيع وثيقة يقر فيها بارتباطاته بالعرب وتركوه يذهب لحال سبيله. وعاد ليعمل في الوحدة ٩٣ في ماخون ٢ التي تنتج التريتيوم.

كان فعنونو قد باع شقته في ابريل بمبلغ ١٩٠٠٠ دولار مما دعم مدخراته التي كانت تبلغ ١٠٠٠٠ دولار واستأجر مسكنا صغيرا مؤقتا. وظل يعد خططا للسفر غير أنه قد اتضح أن ما كتبه في يومياته يعطي صورة مبالغاً فيها عن عزمه على الرحيل. اذ بقي في المجمع لمدة طويلة وكون العديد من الصداقات. وشعر بالغضب والألم حين بدأت حركة كي تجعله فائضا عن حاجة العمل. ذلك أنه كان يعلم أن الاقتصاد الاسرائيلي في حالة من الاضطراب مع تعاظم التضخم واستطاع تفهم وتقدير الحاجة الى فقد ١٨٠ عاملا.

لكنه في ذلك الوقت كان من قدامى العاملين ويمكن فصل العمال الأحدث قبل فصله هو. فاحتج الى نقابته وقام مسؤول النقابة بالدفاع عنه. فأبلغ بأنه يمكنه أن يبقى غير أنه لا بد أن ينتقل الى ماخون ٦ حيث يتم انتاج الكهرباء. حين يعود المرء الى الوراء يجد أن تصرفات المجمع لم تكن في محلها. اذ كان لديهم أحد العاملين يعرف عنه تعاطفه مع القضية الفلسطينية وعليه فهو غير راض عن السياسة الصهيونية. ولم يعرفوا أنه قد عانى من أزمة ضمير بسبب انتاج الأسلحة النووية بل والأدهى من ذلك أنه اطلع على قسم التعدين من الداخل ولكن كان عليهم أن يتوقعوا أنه يشكل مجازفة أمنية كبرى محتملة. والآن سددوا ضربة لكرامته وكبريائه حين طلبوا انتقاله الى وظيفة لا مستقبل لها. فرفض الذهاب الى ماخون ٦ قائلا لهم «دعوني هنا والا فسوف آترك المجمع.» وللمرة الثانية طلب تدخل النقابة. فتراجعوا للمرة الثانية وفي سبتمبر

وضع آلة التصوير الخاصة به من نوع بينتاكس في حقيبته وهربها الى ماخون ٢. في ذلك الحين كانت قد أجريت معه مقابلة مع مجلة طلابية كأحد الناشطين في الحرم الجامعي. ولم يخف عندئذ حقيقة تعاطفه. «من البداية كنت أظن أن اليهود يجب أن يعثروا على طريقة للعيش مع العرب وليست الطريقة هي فقط دفعهم الى الخارج وشراء الأراضي واحتلالها وبقية هذا المسلسل. فهم لم يكونوا يبحثون الا عن طرق لاستغلال العرب وليس البحث عن طرق لمساعدتهم، بمجرد أن يسود السلام الحقيقي مع الخارج لا أظن أنه ستكون هناك أعذار وسوف يكون على الدولة أن تعطيهم حقوقا كاملة متساوية وسوف يشعر العرب آنهم جزء من الدولة وجزء من هذا المجتمع.»

ومع أنه بالطبع لم يكشف عن المكان الذي يعمل فيه الا أنه قال أنه يعمل كفني كي ينفق على دراسته للفلسفة. وأعطى تلميحا قويا عن نواياه في المستقبل «أود أن أقول انه ما لم يسود السلام فان هذه الدولة لن يكتب لها البقاء. وسوف تسقط تماما كما سقطت المسادا - موقعة حربية قديمة في التاريخ اليهودي القديم، المترجم - والناس لم يحضروا الى هنا كي يقاتلو ويموتوا ويصارعوا معانين من الوضع الاقتصادي الذي يعد نتيجة مباشرة لما ينفق على الأمن. فهذا الانفاق مدمر للبلاد. ويمكنني أن أخبركم بأني أحاول مغادرة البلاد ربما بلا عودة... اذ من الصعب على المرء أن يعيش حين يوجد قلة قليلة تفكر كما تفكرون...»

ارتجاف القلب: مع وميض آلة تصويره وهي تغلق زحف على درجات السلم المؤدية الى باب خروج معد للطوارئ على السطح واختطف لقطتين. وكانت غرفة المراقبة ومصنع فصل اليورانيوم مكانا أسهل أما قسم التعدين فكان مجازفة ضخمة. وحين عاود الدخول والمفتاح موضوع على الخزانة التقط صورا للصناديق المطاطية دما فيها من قفازات مطاطية تتدلى من أبواب الدخول وركز العدسة على الأجهزة من خلال نوافذ التطلع. في الداخل وعلى أحد الرفوف كانت

توجد حاوية نواة بلوتونيوم وعلى احدى المخارط كانت هناك كرة من الليثيوم ديوتريد اتخذت الشكل السليم بدقة. تم التعرف على هذه فيما بعد كجزء من سلاح نووي حراري.

أخيرا تمكن من دخول أحد المكاتب كان يرتب عدداً من الصناديق المكونة من الخشب المضغوط، التي تتخذ الشكل المكعب على الرفوف. فرفع الأغطية واكتشف أنها تحتوي على نماذج كروية. وحين باعد بينها وجد أنها مبنية كما تبنى الدمى الروسية أي سلسلة من الأصداف المجوفة بها كرة فضية صلبة في الوسط. وامتلأ شعوره بالاثارة حين أدرك أنها نماذج لأنواع مختلفة من القنابل أما الكرات الفضية فتمثل نواة البلوتونيوم. الآن وقد امتلك ٥٧ صورة أصبح لديه الدليل الذي يجعل رؤساءه السابقين في حالة من الارتباك والخبل اذا شاء.

غادر مورد ديمونة في يوم الأحد ٢٧ أكتوبر عام ١٩٨٥ . وتسلم شيكا لانهاء خدمته بمبلغ ٧٥٠٠ دولار وشهادة جيدة تثني على عمله شارحة رحيله باعتباره اجراء للاستغناء عن العمالة الزائدة. ولكن أحدا لم يفكر في تنظيم حفل وداع كما كانوا يفعلون لكل عامل آخر يغادر العمل فشعر بالحزن والغضب.

حين كان يشرح ما أحس به في الاستقصاء الذي تم له مع فريق البحث وبارنبي قال انه لم يشعر بالرغبة في الانتقام كما أن فضح أسرار اسرائيل النووية لم تكن فكرة محورية في ذلك الوقت. اذ قال «خطر على ذهني بالطبع غير أني كنت أريد أن أفر فحسب كي أقلب النظر بشأن مستقبلي وأضع خططا كي أرى العالم بشكل أوسع.»

بعد أن تصدر أسره ومحاكمته العناوين في ١٩٨٦ بالغت الصحف الاسرائيلية في كتابة قصص عن أنه كان غير مستقر في تلك الفترة. وأقل ما يقال عن هذا ان الأدلة عليه كانت ضئيلة. فبعد أن غادر ديمونة بدأ في حضور اجتماعات الحزب الشيوعي غير أنه لم يشارك وسرعان ما توقف عن الذهاب ذلك أن مستوى المناقشات لم يبهره. واستجاب لاعلان عن

مدرسة دولية للمودلات العارية في بئر سبع ودفع له ٣٣ دولار لجلسة مدتها ثلاث ساعات غير أن أحدا لم يحجزه مرة أخرى - قائلين انه شديد العصبية وكثير الحركة. وكان يقيم حفلات على الشاطئ مع أصدقاء من العرب - وهو ما لا يكاد يعد اساءة في معظم بلاد العالم الا أنه علامة على الغدر للتيار العام الاسرائيلي. وفي احدى الحفلات وربما بعد تناول بضعة كؤوس نهض وخلع ملابسه كي يرى كما قال هل يستطيع فعل ذلك. ومرة أخرى فسرت الصحافة ذلك بأنه يسعى للشهرة المبتذلة.

لقد أبلغ بعض الذين عرفوه أنه يحمل وصمة على كتفه. وعلق د. زيئيف تساخوف أستاذ التأريخ في جامعة بئر سبع بالقول «انه يعكس احساسا عميقا بالحرمان. اذ افترض سيطرة اشكينازية في اسرائيل تحيط بكل الطبقات الاجتماعية واجماعا أشكينازيا يغلق جميع امكانيات التقدم في وجه اليهود الشرقيين.» وقالت الجيروزاليم بوست «لقد أصبحت مشاعر فعنونو المعادية للأشكيناز مشاعر معادية لليهود ومعادية لاسرائيل. فأصبح المتحدث الرئيس بالنيابة عن العرب في حرم جامعة بئر سبع. يدافع عن قضيتهم بانفعال متزايد رأى زملاؤه من اليهود أنه يتخذ حدة غير عقلانية.»

لا شك في أن الجيروزليم بوست عكست الرأي العام ولكن غير الاسرائيليين سوف يحسون بالدهشة من أن يكون الدفا ع عن قضية أقلية عرقية عملا غير وطني في حد ذاته. ولا يمكن عموما المجادلة في أن فعنونو كان ابتدأ من منتصف ١٩٨٥ فصاعدا رجلا في حالة اضطراب روحي. ومن حسن الحظ أن فعنونو وجد شيئا جديدا يلهيه. اذ قابل امرأة هي جودي زيميت تتبع المذهب الأنجليكاني وتعمل طبيبة توليد في مركز سوروكا الطبي في بئر سبع. وانتقل الى شقتها في نوفمبر ١٩٨٥ وانطلق في جولة عبر البلاد مع جودي وأختها. بعد ذلك في أستراليا أخبرني أن الأمر كان مزاحا ومرحا غير آنه كان يشعر نحوها بمشاعر مختلطة. اذ كانت بينهما خطط قبل أن يغادر اسرائيل بآن يلتقيا في أمريكا بعد أن

يقوم بجولته العالمية لكنه بعد ذلك لم يكن على يقين من أنه يريد أن يستمر في هذه العلاقة التي يبدو أنها كانت غير مكتملة.

في يوم الأحد ١٩ يناير ودعها واتجه رأسا الى حيفة في شمال اسرائيل كي يلحق بسفينة متجهة الى أثينة. وكان معه القليل من الملابس في حقيبته الصغيرة بالاضافة الى آلة التصوير وحقيبة يمكن أن تعد للنوم وأربعة آلاف دولار نقدا وشريطا الفيلم غير المحمض. واستشعر الحرية ما أن ركب السفينة. وبعد أن قضى بضعة أيام في أثينة اشترى تذكرة رخيصة الثمن على طائرة ايروفلوت متجهة الى بانكوك متوقفا لمدة ليلة في أحد فنادق ما بين الرحلات الترانزيت في موسكو. ظل في تايلاند حتى ١٢ مارس وزار حدود كمبودية والمثلث الذهبي حيث أقر بأنه جرب الأفيون والحشيش وأنواعاً من الكوكتيل قبل أن يطير الى بورما. وهناك قابل وصادق زميلة سفر أخرى هي فيونا جول ابنة قارئة الأخبار السابقة في محطة أي تي ان ومحررة الشؤون الأجنبية سانديغول. وسافرا معا الى ماندالي ولكنه سافر الى نيبال وحده في ١٩ مارس. وعاد الى بانكوك في ٥ مايو حيث اشترى تذكرة الى سيدني ولوس أنجليس. ووصل الى أستراليا في ٢٠ مايو وهو مليئ بالفضول عن العالم الخفي.

وحجز فعنونو مكانا في دار للضيافة رخيصة رغم أنه كان في امكانه أن يدفع ايجارا لمكان أفضل. كلفه هذا المكان ثلاث جنيهات وخمسين بنساً في الليلة وكان في كينجز كروس وهي منطقة من المدينة شبيهة بحي سوهو في لندن حيث محلات الجنس والعاهرات والأندية الليلية والمطاعم ومجتمع من كل جنس. كان حيا يؤمه المتسكعون والمتشردون حيث كانت تكاليف المعيشة منخفضة نسبيا وان كانت لا تقارن بتكاليف المعيشة في اسرائيل. وكتب في خطاب لزيميت يقول «هنا يبدأ الشتاء الآن مع أن الجو ليس باردا جدا شيء يشبه اسرائيل. سوف أحاول أن أجد عملا ما. فمعظم السائحين يعملون ومن السهل الحصول على عمل. خاصة اذا كان الشخص يجيد التحدث بالانجليزية... والناس ودودون.

وهم يشربون كثيرا من البيرة.» وشعرت زيميت بالسرور لأنها عرفت أخبار مورد ولكن ضايقها أنه بدا بارد المشاعر قليلا - اذ لم تجد تعبيرا يدل على أنه يحبها. قضى عشرة أيام يتنزه زائرا دار أوبرا سيدني وهاربر بريدج وعمل عملا مؤقتا كغاسل صحون في فندق مينزيس في منطقة وسط المدينة. وبدت مشاعر الضيق لمغادرته لديمونة وتركه للمعارك الطلابية بسبب القضية الفلسطينية شيئا ينتمي الى الماضي. وأحس بأنه على ما يرام.

جف معين العمل في الفندق بعد عشرة أيام ولكنه انتقل الى حانة يونانية مما أعطاه وقتا أثناء النهار ليدرس من أجل الحصول على رخصة لقيادة سيارة أجرة. في احدى الأمسيات وبينما كان يتمشى في كينجز كروس لفتت انتباهه لافتة خارج كنيسة سينت جون في طريق دارلينجهيرست. اذ بدا أن الزائرين بما فيهم المتسكعون يلقون الترحيب.

بينما كان في طريقه للرحيل من اسرائيل أقام في معتزل لناسك هندي وزار بعض الأديرة محاولا أن يصل الى تصالح بين شكوكه والديانة اليهودية.

والآن اذ كان وحيدا ويملؤه الفضول بدت له كنيسة سينت جون فاتحة ذراعيها له. وكانت اللافتة في الخارج تعلن عن العملية نيكوديموس وهو مشروع لفتح المبنى للمشردين ممن هم دون العشرين. كان الناس يجلسون الى موائد منصوبة في الخارج يضحكون ويحتسون القهوة. ودخل مورد على استحياء فاذا بصاحب النيافة القس جون ماكنايت يستقبله بوجهه السمح - بقوامه الطويل ولحيته وهيئته التي تشبه الذئب. كان رجل الدين هذا وجها مألوفا في سوهو وما حولها. حيث كان يساعد مدمني المخدرات بطاقته التي لا تعرف الكلل أو تعدم الحيلة كما كان يعين الشباب الفارين من والديهم. وعلى الفور وجد فيه مورد صديقا يستطيع أن يناقش معه شكوكه - الخاصة بالديانة وكذلك محنته النووية.

فأخذ يواظب على الحضور في كنيسة سينت جون - مما جعله يتعرف

على زميلي ماكنايت من رجال الدين - مثل ديفد سميث الذي ستكون له معه فيما بعد مراسلات طويلة من زنزانته في عسقلان وكذلك ستيفن جري. وهم بدورهم قدموه الى أناس آخرين ممن ترعاهم هذه الكنيسة فجروه الى جماعة مناقشات كانوا قد كونها. وكانوا في ذلك الوقت وبمصادفة خارقة للعادة يناقشون مسألة هل يجب أن تتخذ الكنيسة موقفا فعالا ضد الأسلحة النووية.

كان فعنونو يحضر ويصغي باهتمام غير أنه ظل لبعض الوقت غير مشارك يفكر في حيرة بينه وبين نفسه هل يقول شيئا عن عمله السابق في المجمع. وعليه على أية حال أن يكتشف أن سميث لديه اهتمام بالفلسفة فانخرط في مناقشات مطولة عن كيركغارد ونيتشه.

واعتاد في جلسات دراسات الكتاب المقدس أن يتناقش في النزعة العسكرية. كما يتذكر سميث. لم يرد الاسرائيلي العودة الى اسرائيل اذ كان عليه القيام بمزيد من الخدمة العسكرية. وأضاف سميث يقول «تحدث عن الوقت الذي قضاه وهو يعمل في مصنع السلاح. ولست أدري هل كلمة اشمئزاز كلمة عنيفة غير أنه كان يحس نحو ذلك احساسا سلبيا الى حد ما وأثار مسألة فعل شيء بخصوص ذلك أي الأسلحة النووية وقال ان العمل كان غاية في التكتم وانه يشعر أن ما يفعلونه خطأ ". وكان التزامه بالسلام بالمعنى السياسي واضحا جليا منذ البداية. كنا نتحدث عن ذلك باعتباره واجبا مسيحيا أيضاً.» ويعتقد سميث أن تحول فعنونو التجريدي يقوي من عزمه على أن يفصح بما يشعر به.

وأتذكر أني ناقشت الأمر معه حتى حين لم تكن لدي أدنى فكرة عن خطورة المعلومات التي كانت لديه قلت انه ربما يكون في وضع متميز يمكنه من أن يفعل شيئا في مجال السلام وهو ليس متاح سوى للقلة القليلة منا وقلت ربما كانت هذه فرصة منحها الله. وأظن أنه حمل هذا الكلام محمل الجد ولم يكن هذا لأني قائله ولكنه هو أصلا ملتزم بالسلام ثم أصبح ملتزما بتعاليم المسيح واثنان سيكون بينهما ارتباط وثيق. وقال

ماكنايت ان فعنونو اقترب منه ذات يوم وعرض أن يرأس جماعة نقاش حول السلام والأمن وانتشار الأسلحة النووية كجزء من سلسلة عنوانها «اتباع يسوع في عالم تسوده المعاناة قد يمكنني أن أقدم عرضا بالشرائح» كما قال والغموض يغلف حديثه.

في تلك الفترة كان قد انتقل من دار الضيافة الى شقة تملكها الكنيسة في طريق دارلينجهيرست وكان يعمل على سيارة أجرة يملكها أحد سكان المنطقة التي تقع ضمن اختصاص الكنيسة. وكان يشاركه في الشقة ويليام كينباخر وهو عضو آخر من جماعة الكنيسة الذي يتذكر أن فعنونو لم يتحدث قط عن ديمونة أثناء مرات الدردشة الطويلة عن الدين والفلسفة في الأمسيات الطويلة. وقال كينباخر ان مورد كان يتحدث في يأس عن وحدته واخفاقه مع النساء. اذ يزعم عنه قوله في احدى الليالي «لم أستمتع بالجنس أبدا مع امرأة.»

تتعارض حياته كأعزب مع ما يبدو أنه كان علاقة غرامية مع جودي زيميت قبل رحيله من اسرائيل بفترة قصيرة. ومن الواضح على أية حال أنه كان يتوق الى الاستقرار وانجاب الأبناء - ربما كما قال لويندي روبينز فيما بعد انه كان يحلم بالحياة على جزيرة بعيدة نائية.

أعاد فعنونو النظر في فكرته في أن يقدم عرضا بالشرائح ووافقه ماكنايت على قراره اذ أنه كان يعلم بما يستتبعه ذلك. فالتحدث عن ديمونة شيء ولكن كشفه لوجود أدلة مصورة شيء آخر اذ أن هذا أمر يعد من قبيل المجازفة الباهظة. عموما كان كلا الفيلمين مخبأ دون تحميض في حجرة نومه وقد لا ينجم عن هذا أي شيء. ومع ذلك كانت رغبته الملحة في أن يشاركه أحد في بعض أسراره رغبة طاغية. لذا ففي شهر يوليو ١٩٨٥ تجمعت مجموعة صغيرة في كنيسة سينت جون وبدأ فعنونو يشرح بحياء السبب الذي دفعه الى التعبير عن مثل تلك المشاعر القوية في ما يتعلق بالتهديد النووي. كانت هذه اللحظة بالنسبة لفعنونو هي لحظة اللاعودة. فبينما كان يصف ماخون ٢ المفاعل ومرافق صنع

السلاح في مستوى خمسة كان قد نقض التعهد الذي أعطاه بأن يلتزم بالقانون الاسرائيلي الخاص بالأسرار الرسمية. وقال أولئك الذين كانوا يشاهدونه فيما بعد انه كان عصبيا ومترددا. ولم يكونوا باعتبارهم أستراليين يقدرون فداحة ما كان يقر به كما لم يقدروا ذلك القدر من الشجاعة الذي يتطلبه التحدث بصوت مرتفع. وظن ديفد سميث أن ما دفعه الى ذلك هو اهتمامه بأفكار كيركجارد - أي مبدؤه بأن الفرد لا بد أن يقف وأن يعمل له حساب وأن يعمل لصالح الانسانية أمام الله.

أصبح الآن عشرة أشخاص أو أكثر يعلمون بالسر الاسرائيلي والمحنة الأخلاقية التي كان يتخبط في لجتها. وسرعان ما انتشر الخبر بأن لديه صوراً رغم أن الأفلام لم تكن قد مست. فكان أمرا حتميا أن يسمع بالأمر ذلك الكولمبي غريب الطباع الذي يقوم بالطلاء في الخارج. وكان محبا للاستطلاع دائم الحرص على التوقف من أجل دردشة أو نكتة. بعد ذلك في يوليو التقى جيريرو وفعنونو وقال جيريرو «احك لي عن ذلك المكان المسمى ديمونة. فأنا صحفي دولي ويجب أن تنشر قصتك في احدى الصحف الكبرى.» قال ذلك وهو يفتح حافظة أوراقه بسرعة مخرجا منها صورا كبيرة باللونين الأسود والأبيض.

قائلاً «انظر هذا هو أنا مع ليخ فاليسا. وهنا تراني وأنا أقابل شيمون بيرس. يمكن أن ترى يا مورد اني شهير جدا جدا ومحترم. ويمكنني مساعدتك. فهذه القصة أكبر من ووترجيت.»

هناك شك في أن فعنونو قد التقى من قبل بشخص مثل جيريرو. أما أنا فبالتأكيد لم ألتق بشخص مثله حين التقيت به في لندن. وكان الفرق بينهما شاسعا لا يمكن تصوره. فأوسكار المحب للمرح والثرثرة يخرج عن المألوف كي يبهره ويجعله يلقي سلاح الحذر وذلك بالانطلاق بعد العمل الى الحانات والملاهي الليلية. وكان الاسرائيلي يشعر بالدهشة من أن صديقه الجديد كان منفلتا الى هذا الحد بلا أي شعور بالحياء على ما يبدو. اذ كان يقيم دردشة مع أي امرأة جذابة بدرجة معقولة تقترب منه

بأية حال وكان مندهشا من احجام مورد الظاهر مع الجنس الآخر. واعتاد أن يقول له «أنت يا مورد في حاجة الى امرأة. وسوف أدلك على المكان الذي يمكنك فيه العثور على واحدة.»

واكتشف فعنونو أن الفكرة هي أن يذهبا الى أحد بيوت الدعارة فشعر بالبغض لهذه الفكرة وأخبر جيريرو بذلك. فألح الكولمبي قائلا «هذا شيء عادي يا مورد. والجميع يفعلون ذلك.» غير أن جيريرو تراجع. اذ أنه في ذلك الوقت أدرك أن فعنونو يعد مصدر ثروة محتملة وأنه يجب أن يرعى مصدر الثروة بحرص.

وأخذت المكاسب المحتملة تتضح أكثر فأكثر مع اكتشاف وجود فيلمين لم يمسا في شقة فعنونو. غير أن فعنونو لم يبدو في عجلة من أمره كي يقوم بتحميضهما. وقال لأحد الأصدقاء انه سئم القلق بشأنهما بل وأحس بالرغبة في حرقهما. في النهاية وصل جيريرو الى ما يريد عن طريق تكثيف الضغط. فأخذ فعنونو الفيلمين الى أحد محال التصوير في ٢٩ يوليو وطلب تجهيزهما.

كان سقوط جيريرو المهول من قمة كنيسة سينت جون بالكامل خطأه هو وحده. اذ لم يكن هناك أي داع لأن يتواجد هو وشريكه في الطلاء رولاند سيليكوس سوى أن واحدا كان يلطخ بالألوان دون أن يراقبه الآخر فوضعا سلما أمام شرفة كبيرة وسلما آخر يؤدي من الشرفة الى السطح. تسلق سيليكوس وزحف على الألواح بينما كان أوسكار يمسك بأسفل السلم الثاني. وبينما كان يهم كي يلحق بسيليكوس انزلق السلم من تحته فهوى وهو ما زال ممسكا باحدى درجات السلم تاركا صديقه معلقا على ارتفاع ٢٠ مترا.

ونقل أوسكار الى المستشفى على عجل وهو يئن تألما ولكن لم يصب بكسور في العظام ان هي الا بضع كدمات. وكعهده كان لديه تفسير جاهز للحادثة. اذ قال انها محاولة قام بها الاسرائيليون لقتله. اذ أنه رأى

شخصا يزيح السلم ويفر بعيدا. وبعد ذلك تغيرت قصته وانخرط في قضية عديمة الجدوى ملقيا اللوم على الكنيسة بسبب الاهمال.

لم تفعل هذه الحادثة شيئا سوى أنها أخرت خططه في استغلال القصة الساخنة التي يملكها يبسط عليه يد الحماية لبضعة أيام. ومما أدخل السرور على نفسه أنه ألفى مورد متعاونا الآن ربما لأنه شعر بالأسف للمحنة التي ألمت بأوسكار. في ذلك الوقت كان سيليكوس يحاول أن يقتنص لنفسه نصيبا في العملية مدعيا أن له نصيبا في الغنيمة مع أنه وافق بكرم أن يكسب فعنونو النصيب الأكبر. فأخذ جيريرو سبع نسخ زوده بها فعنونو واتصل تليفونيا بكارل روبينسون مراسل الصحيفة الأمريكية الأسبوعية النيوزوييك قائلا «اسمي البيرتو برافا. لدي القصة السرية لديمونة مصنع اسرائيل للأسلحة النووية. وهذه القصة أكبر من ووترجيت.» كان روبينسون يحس بالغموض غير أنه التقى بمصدر، البيرتو، وهو، ديفد، - منفقا العديد من الساعات في توجيه الأسئلة اليه. ووجد أن مورد مستثار الأعصاب ومراوغ رغم أنه اعتقد أنه صادق. فاتصل روبينسون بمكتب صحيفته في نيو يورك مقترحا أن يغوص أبعد من ذلك غير أن فعنونو اتصل به ليقول انه قد غير رأيه. ذلك أنه كان يشعر بالقلق من أنه تحت المراقبة كما كان غير متأكد من أنه مستعد لأن يخطو الخطوة الأخيرة في أن يصبح مطلق صفارة الانذار.

ربما في هذه اللحظة اتجه أوسكار جيريرو الى القنصلية الاسرائيلية مدفوعا بغضبه من غدر فعنونو. وباع صديقه بكل قسوة. واتخذ فعنونو في غفلة منه خطوة أخرى كان لها أن تساعد على وضع الخاتم النهائي في تحديد مصيره. فتحت ارشاد ماكنايت كان فعنونو يدرس المسيحية ويحضر القداسات بانتظام. وفي ١٠ أغسطس فعل شيئا كان يدري أنه سوف يغضب أصدقاءه من اليهود في اسرائيل ويقضي على أبيه شلومو. اذ تنكر للديانة اليهودية وتم تعميده كمسيحي في الكنيسة الأنجليكانية

وهو محاط بدائرته الخاصة من الأصدقاء مثل جيريرو ومئات غيره من أتباع الكنيسة. بل قرر أن يتخذ لنفسه اسما مسيحيا جديدا - جون كروسمان.

أصبح فعنونو يسير في طريق التصادم مع أبناء وطنه الذين سوف يعتبرون أن من المسلم به حين اكتشفوا ذلك أنه يسخر عن عمد من اثنين من أكثر المعتقدات مكانة في بلاده - ديانتها وأمنها الوطني. وقال لسميث «سوف تقيم عائلتي جنازة من أجلي. وسوف يعتبرونني ميتا.» وتكفلت مواهب جيريرو في سرعة التحدث باقناع الاسرائيلي بأن يخطو خطوة أبعد من ذلك لبيع القصة.

وبدأ في الاتصال بالصحف الأسترالية ولكن بلا طائل. اذ كانت السيدني مورنينينج هيرالد على الأخص معبرة عن السخرية. حاول جيريرو مأخرا أن يبيع لهم صورة لمذبحة اندونيسية في تيمور الشرقية. بينما الصورة التي كانت لديه عن صراع فيتنام. كان فعنونو صبورا اذ كان يعتقد بسذاجة أن جيريرو هو صديقه الحميم ووافق على أن يعيره سبع صور كي يأخذها الى أوربا. وأخبر ماكنايت أنه يعتقد أن من واجبه فضح ما يحدث في المجمع. وقال «في أي الحالات لو كسبت القصة أية نقود يمكنني أن أعطيها لكنيستكم.» وودعه أوسكار واتجه الى المطار. وفي ٣٠ أغسطس دق التليفون في شقته في دارلينجهيرست. وقال صوت مألوف «أوسكار يتحدث. اني في طريق العودة الى سيدني مع صحفي اسمه بيتر هونام. لقد بعت القصة للساندي تايمز.»

الخروج للعلن

أدخل قرار فعنونو بأن يصبح أنجليكانيا الغبطة على قلوب جماعة المصلين في كنيسة سينت جون في سيدني. اذ شعر ماكنايت وزملاؤه بالسرور بأنهم فازوا بمعتنق جديد لمذهبهم وتأثروا بتقواه وحماسه الحار لأن يتعلم المزيد المزيد عن العقيدة. غير أنه سيكون من قبيل الخطأ افتراض أن ما يعتمل في نفس مورد من اضطراب بخصوص الدين قد استقر على حل حاسم تماما. فحين كنا في أسترالية أسر الي بأنه ما زالت تساوره الشكوك حتى في وجود الله وتساءل فيما اذا كان قد تسرع في أن يعمد. وأثناء الأسابيع الثلاثة التي قضاها في لندن لم يذهب الى الكنيسة على حد علمنا ولم يطلب أن يأخذه أحد الى هناك. كان الضغط النفسي الذي كان يرزح تحته شديدا بالطبع كما أن مسايرة مطالب فريق من الناس يستجوبونه لا بد أنه تركه مستنفرا من الناحية الانفعالية. أضف الى ذلك أنه كان وحيدا خاصة بالنسبة لصحبة نسائية. لم يكن هناك أحد في وضع يسمح له بالحكم على حالته المزاجية أفضل من ويندي روبينز الصحفية تحت التدريب في الساندي تايمز التي كلفت بأن تقترب من مورد وتعرفه معرفة أفضل. وزودها اللقاء الذي حضرته حين التقى مع يورام بزاك يوم الأربعاء ١٧ سبتمبر زودها هذا اللقاء بصورة حية عن نزعة مورد للتمرد. ولكن من الممكن أن تكون هذه الصورة شيئا لا يعول عليه. ذلك أن الجميع كانوا يشربون وكان هناك الكثير من الجدل للجدل في حد ذاته.

حين انفردا وحدهما أمكنها أن تقيم بشكل أفضل مدى قدرة مشاعره على أن يصبح مطلق صفارة الانذار كما استطاعت أن تتفهم المزيد من

الأمور الشخصية. وبعد أن افترقا عن بزاك وصديقته تمشى الاثنان في طريقهما الى احدى الحانات. كان ذلك قرب وقت الاغلاق وطلبت روبينز ثلاثة كؤوس من النبيذ لكليهما تسترجع هذا الوقت قائلة «كنا وحدنا في الحانة وتناقشنا في الجنس والعلاقات. كان يريد أن ينام معي وشكا من أني لا أريد سوى صداقته. وقال انه مشدود الي حقا وانه لا يستطيع أن تكون له علاقة بي بدون الجنس. فقلت له يستحسن أن يجد صديقة أخرى واعتذر قائلا انه لا يريد أن يفقد صداقتي. وكما أنه عاش بدون الجنس لمدة تسعة أشهر فيمكنه أن يستمر فترة أطول قليلا مع أنه كان من الواضح عدم رضاه عن هذا الوضع. واذا كنت ودودة معه من قبيل الشفقة أو بسبب ولائي للساندي تايمز اذن لكان من الخير ألا يراني مطلقا بما أنه يفضل الانفراد بنفسه على كل حال.»

«بينما كنا ننتظر سيارتي أجرة كنا طلبناهما قال انه يشعر بالبرودة في داخله. عانقته وقلت اني قلقة مما قد يقع له. فقال، ليقع ما يقع. لقد كان الأمر كله هو اختياري.» «سألته هل هو سعيد. فقال انه يشعر بالراحة لأنه بعد أن اتخذ القرار بأن يتكلم عن المجمع أصبح في وضع يمكنه من تنفيذ القرار. غير أنه قال انه غير سعيد وان لديه غرائز سيئة - يقصد الاثارة الجنسية. وسألته هل يعتقد ان الموساد تتعقبه. فقال ان هذا ممكن لكنه لا يظن ذلك.» في الليلة التالية خرجت روبينز وفعنونو مرة أخرى. كان قد تم تهريبه الى ووبينج في دواسة سيارة أحد المخبرين الصحفيين. أما الآن فغادر في سيارة أجرة لا شك تحت نظر أي شخص كان يراقبه بين المترقبين في الخارج. وقالت روبينز «اشتبكت أنا والسائق في نقاش عن النقابات والمتشددين الذين يحرصون على تنفيذ الاضرابات والاشراكية وكان مورد يشعر بالغضب. ولكي أحول الأمر الى نكتة اقتبست قول جورج بيرنارد شو، ان أي رجل لم يكن اشتراكيا في شبابه ليس له قلب وأي رجل لم يكن رأسماليا حين تخرج من الجامعة ليس له عقل، فتلقف مورد كلمة قلب وقال، أترين هذه هي المسألة.

اذا لم تؤمني بالاشتراكية فأنت بلا قلب. عليك أن تناضلي دوما من أجل ما هو مثالي حتى اذا كنت تعتقدين بأنك سوف تخفقين.» «نزلنا في ميدان الطرف الأغر وذهبنا الى احدى الحانات. كان الحوار متعلقا بالقصة. اذ قال انه كفّ عن تفاصيل قوة اسرائيل النووية جزئيا لآنه كان لا بد له من فعل ذلك. وجزئيا بسبب المثل وجزئيا لأن الأسلحة النووية شيء شنيع وهناك قدر قليل من الانتقام. فسألته ولم الانتقام. فقال لي انه كانت له علاقة حميمة بشخص عربي. ..وكان أعز أصدقائه وبعد حوالي عام اتضح أنه كان يتلقى نقودا كي يتجسس على مورد ويستكشف كل ما يستطيع عن أيديولوجيته.»

«شعر مورد بالصدمة الشديدة لهذا الأمر ولا أظن أنه فتح قلبه حقا لأي شخص منذ ذلك الوقت. وقال انه يشعر بالغضب لأن اسرائيل لم تقر قط بأنها تصنع مثل هذه الأسلحة الخطرة وأن الحكومة يجب أن تدفع الى موقف يجبرها على أن تقر بذلك. ذلك أن معرفة هذا الأمر تعد من المصلحة العامة للجميع.»

استمر الحوار الذي دار بيننا من القلب الى القلب في حانة أخرى. «وسألته اذا كان على هذه الدرجة من القلق فلماذا لم يشك من أن هناك بلاداً أخرى تمتلك هذه الأسلحة. فأجاب بأن اسرائيل أكثر حذرا من معظم الدول وتستحق أن يفتضح أمرها... كانت نظرته للعالم سلبية وسيئة بأكملها. فتحدث كثيرا عن الفقر والحروب والأثر المفسد للمال وعدم توازن القوة في العالم؛ أراء يسارية نموذجية.»

«بدا أنه يمقت الدين من كل نوع. ولم يؤمن بشيء وقال انه ذهب الى الكنيسة الأنجليكانية في أستراليا فقط لأنه كان يريد أن يرى بنية ديانة أخرى ولأنه كان في امكانه أن يكون صداقات في الكنيسة أثناء الاجتماعات. وقال انه لا يحس بأنه يهودي ولم يحس بأنه اسرايلي ولا بأنه مسيحي ولا مغربي ولا يحس بأنه ينتمي الى أية حضارة أو مذهب أو جنس.» «تحدث كثيرا عن الخلط بين الثقافة اليهودية والجنس والوطن

وقال ان كل ما يريده هو أن يكون كائنا انسانيا وحده بلا أية روابط مع أي جماعة. وقال لي أن أقرأ الفلاسفة الوجوديين من أمثال جان بول سارتر وسوف أفهم ما يعنيه. فهو يشعر بأن كل كائن انساني يجب أن يكون مستقلا له ثقافته الشخصية. فوجدت أن اتجاهه نحو العالم بأكمله ساذجا ومثاليا غير أني بشكل ما شعرت أنه بطولي الى حد ما لأنه كان يؤمن ايمانا صادقا بأنه يقوم بالقليل الذي يستطيع القيام به من أجل السلام العالمي في النهاية.»

وسألت روبينز كيف سيكون رد فعل عائلة مورد «لقد ذكر في عدة مناسبات أنه لا تربطه بعائلته علاقة وثيقة. اذ أغضبه أن والديه كلاهما محافظ وأن اثنين من أخواته تزوجتا في سن مبكرة من رجلي دين وأن كليهما تلبس الشيكلات – وهو الشعر المستعار الذي يتحتم ارتداؤه لأن زوجك وحده هو الذي يستطيع أن يرى شعرك الحقيقي. وقال انه لا يعتقد أن أي فرد من عائلته يهتم به على وجه الخصوص وانه يحس بأنه يبعد عنهم ابتعاد القطبين من الناحية الفكرية والأيديولوجية.»

«عموما بعد ذلك بقليل عبر عن القلق بخصوص أخيه من الممكن أن يكون يقصد ألبيرت الذي يمتلك محلا لبيع الأثاث وكذلك أخته وتمنى ألا يحدث لهما مكروه. فسألته عن نفسه. فقال، لا يهمني اذا كنت سأموت غدا، فسألته عما اذا كان قد أحب أي أحد في حياته. فقال ليس بالضبط كان على نحو ما يحب جودي زيميت وانها كانت تريد الزواج منه. غير أنه أحس بأن لديهما آراءً مختلفة عن اسرائيل وعن اليهودية وأن هذه العلاقة ما كان لها أبدا أن توفق. ذلك أن أهم شيء بالنسبة لأي اثنين كما قال أن يكونا متوافقين أيديولوجيا. غير أنه بالتأكيد كان يريد أن يتزوج. اذ قال، أريد أطفالا يمكنني أن أقبلهم وربما أحيا في جزيرة بسلام.»

«سألت عن الآثار طويلة المدى في اسرائيل. فكانت لديه فكرة ما مضطربة هي أنه بسبب العاصفة التي سوف تحدثها القصة في صحافة العالم وكل اللقاءات التليفزونية التي سوف يجريها سوف تجبر اسرائيل

في النهاية على أن تكون أكثر صراحة وانفتاحا بخصوص أمنها ودفاعها. فقد تقوم البلاد الأخرى ببحث قدرات اسرائيل النووية وربما تبدأ اسرائيل في التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية...»

لمست روبينز عصبا حساسا حين سألت مورد عما اذا كان ما يفعله قد يكون له أثر عكسي – وهو المساعدة في ردع أعداء اسرائيل من العرب عن مهاجمتها وذلك بنشر قوتها العاتية، وتتذكر فتقول... «أغضبه هذا بحدة؛ وكان يعتقد أن هذا لن يحدث ولكن اذا حدث هذا فليس ثمة ما يستطيع أن يفعله.» ثم بدأ في التحدث عن الفتيات «أخبرني عن علاقاته مع ابنة سانديغول فيونا وقال انه أيضا التقى بأمها أعتقد أن اسمها ليندا. ثم سافر لبضعة أشهر مع الابنة حول نيبال. في الليلة الأولى التي ضمهما فيها فراش وضع يده على فخذها فغضبت وقالت انها لا تريد هذا النوع من العلاقة. فلم يكترث لأنه لم يرد أن يفعل شيئا لن تستمتع به.»

«وفي ما تبقى من وقت لم تكن هناك أية علاقة جسدية. وقال انه يمقت من كل قلبه أن تجعله الفتيات يشعر أنهن يصنعن جميلا كبيرا بالذهاب للفراش معه. ينبغي أن يكون هذا شيئا يرغب شخصان في أن يفعلاه بنفس القدر. اذ أني لن أستمتع به استمتاعا حقيقيا اذا لم أحس بأن الفتاة ترغب في أن تفعله حقا. كما قال انه يفكر كثيرا في الجنس غير أنه يستطيع الحياة بدونه.» مع تقدم الليل افترق الاثنان وذهبت ويندي روبينز الى منزلها. وما أن وصلت حتى اتصل بها فعنونو رغبة في المزيد من الدردشة، استأنفنا مناقشتنا السابقة عن القصة. فقال، اسمعي لم أقرر فقط أن أفعل ذلك. هل تعرفين الشعور الذي يحس به المرء حين ينام في كل ليلة مع نفس الفكرة ويستيقظ كل صباح مع نفس الفكرة. هل أقول – أو لا أقول: «قال انه لستة أشهر تقريبا يتدبر بجدية كل زاوية وكل فكرة تتعلق بمستقبله. والآن وقد قرر النشر فلن يغير رأيه. وبدا أنه وحيد حزين.»

قالت روبينز انها في ذلك الحين أخذت تحس بالاعجاب بفعنونو غير

أنها لم تفكر فيه بشكل عاطفي. أما هو من الناحية الآخرى فكان من الواضح أنه ينجذب اليها وكان من الواضح أنه يسعى للدردشة معها. ولا شك في أن بعض الملحوظات التي كان يقولها كانت بقصد خطب ودها ولكن كما قالت روبينز انه فتح قلبها لها أكثر مما فعل مع صحفيي الساندي تايمز - بما فيهم أنا.

في اليوم التالي ١٩ سبتمبر كانا معا مرة أخرى. اذ أحضر فعنونو الى حجرة الأخبار في الساندي تايمز وكان قد انفلت زمامه «كنت أقوم بمساعدة ماكس في كتابة أجزاء من قصة حياة مورد في جهاز الكمبيوتر للساندي تايمز. ظل مورد يتصل بي عن طريق التليفون الداخلي من مكتب ماكس ويسألني عن حالي وعن رأيي في حياته. وحين نهضت للحصول على فنجان من القهوة كتب في أجزاء اضافية على ما كنت اكتب. كنت سأكتب عمره تسع سنوات وفعنونو يا الهي يا الهي...»

عدت فوجدت أنه كتب أشياء مثل، ثم التقيت بفتاة اسمها ويندي روبينز. «كان يسألني عن والدي وقناعاتهما الدينية. فقلت اننا لا نذهب الى المعبد سوى مرة في السنة في يوم الغفران وقال ان مرة تعد أكثر من اللازم. فقلت ان أبي ليس رجلا متدينا. فقال اذن أبوك رجل صالح. فالحمقى فقط هم الذين عليهم أن يؤمنوا بأي شيء. كما قال انه من الأصعب بكثير ألا يؤمن المرء عن أن يؤمن باله لأنه سيكون عليك أن تؤمني بنفسك أكثر.»

«غادرنا ووبينج في السادسة والنصف مساء كي نشاهد أوبرا زواج فيجارو في الكوليزيوم. قال ونحن في التاكسي انه يحس بالملل حقا وسئم المكتب لأن الأمر عبارة عن أسئلة تتلوها أسئلة فأسئلة أخرى ولكن في أوقات أخرى لا يتحدث أحد اليه مطلقا. وقال ان الجميع يسألونه نفس الأسئلة طول الوقت.

أثناء عرض الأوبرا كان يحاول طول الوقت أن يلمسني. وأثناء الاستراحة كان يعتقد أننا توافقنا الى هذه الدرجة ونتحدث كثيرا ومع ذلك

لم نستطع أن ننام معا. وظل يقول لي، انك شابة صغيرة جدا أليس كذلك»، وبدا أنه يرى أن الفتاة اليهودية الصغيرة الطيبة محبطة جدا – ان الفتيات اليهوديات الصغيرات الطيبات لا يفعلن وأن الفتيات الصغيرات الأغيار غير اليهوديات السيئات يفعلن.

«استؤنفت الأوبرا وقال انه غير مستمتع لأن الموسيقى ليست جيدة جدا وأنه لا يستطيع أن يفهم اللغة الانجليزية، لذا خرجنا قبل النهاية بساعة وركبنا تاكسي الى فندق تور. ركبنا المصعد وآدركت أني في الطريق الى حجرته فسألته ماذا يفعل. فقال انه يريد أن يأكل في حجرته لأنه لا يريد أن يأكل مع كل شخص في المطعم. فقلت اني لست ذاهبة الى حجرته فأخذنا نصعد ونهبط بالمصعد ونحن نناقش هذا الأمر. ظل يذكر المنظر اللطيف من حجرته أما أنا فقلت له اني أرتعد من الأماكن المرتفعة». «أخيرا تناولنا الطعام في المطعم أسفل. أثناء الطعام كان يتحدث عن الوقت الذي قضاه في أستراليا مع بيتر. روى لي ما كانا يفعلان وقال لي انه يحبه ويعتقد أنه صحفي جيد جدا. لم يعرف حقا ما هو رأيه في روجر أو روبين غير أنه بدا مغرما بماكس وان كان ماكس يغضبه أحيانا. حدثني عن الخبرات الصحفية المختلفة التي يتمتعون بها جميعا كما حدثني عن جيريرو. غير أنه لم يبد عليه آي اهتمام بأي شيء في الصحيفة أو الأفراد.»

«تحدثنا عن النقود فقال انها عديمة القيمة كان في امكانه أن يقول ما كان يقول بلا أية مكافأة. فلا آهمية للنقود. فلقد ادخر أربعين ألف دولار من وظيفته في ديمونة على آية حال فهو لا يعتقد آنه سيرى النقود. حين سألت عما يعني قال ان لديه توجسا من البداية، بأن شيئا سيئا، سوف يقع.»

«هل يعتقد أنه سوف يطلق عليه الرصاص» قال ربما. هل يظن أنه سوف يختطف «ربما. حاولت متابعة الموضوع غير أنه هز كتفيه وابتسم وقال، أنت لا تعرفين هؤلاء الناس.، فسألته عن رأيه في الفندق. فأجاب

بأنه ممل وموحش والطعام فظيع كما قال انه دائما متعب جدا بسبب الأسئلة الكثيرة.»

«هل يريد تغيير الفندق» كان غامضا مرة أخرى وكأنه لا يكترث. حصل لدي الانطباع بأنه غير عابيء بسلامته. يبدو أن لديه احساساً باقتراب الشر حتى أنه لم يعد يهتم بما يفعل.

«بعد العشاء ذهبنا الى أحد البارات كي نتناول كأسا. نادرا ما كان يريد أن يشرب الكحوليات غير أني كنت دائما قادرة على اقناعه - ولكن حتى عندئذ لم يكن يقبل أن يشرب أكثر من كوب أو كوبين من النبيذ. تناقشنا في موضوع الجالية اليهودية الأوربية. أعتقد أنه من المهم أن أشير الى مورد يماني أي أنه واحد من السفارديم أي أنه ليس أوروبيا» «بدا مترددا جدا في التحدث عن المحرقة ولم يعرف الكثير عن معاداة السامية في أوربة. ولكي أكتشف رد فعله كنت أحكي له عن الهجمات الأخيرة التي تعرض لها اليهود في فرنسا وانجلترا والاعتداء على حرمة المقابر ومهاجمة تلاميذ المدارس والمعابد. فبدا مندهشا اندهاشا حقيقيا ومنزعجا ثم قال ان جميع جماعات الأقلية يتم الترصد لهم.» لم يكن يشعر بالارتياح لدى أي ذكر للتاريخ والثقافة اليهوديين وبدا أنه فصم بقوة أي عرا تربطه بأي شيء يهودي. وقلت له أن بعض الناس يحلو لهم استخدام أي عذر ممكن للتهجم على اليهود وسألت عن شعوره اذا ما سببت الأمور التي يكشف عنها بالفعل مزيدا من العناء لليهود في أوربا بمعنى حدوث هجمات جسدية فقال انه لا يفكر في ذلك ولكنه لا يعتقد أن هذا سيحدث. غير أنه بدا غير مرتاح بصدق لهذه الفكرة.

لم أكن أقول هذا كله كي أحاول منعه من اذاعة القصة ولكني كنت أريد أن أكتشف المزيد عن الطريقة التي يفكر بها وما هي دوافعه. فاليهود هم سلالة موحدة وتميل الى أن تحمي نفسها ولديهم قانون صارم فيما يخص الشرف والاسرائيليون مغالون في الوطنية. فكنت متشككة جدا بشأن يهودي يخرج عن المألوف ليلحق الضرر باسرائيل.

«بالنسبة لموضوع اسرائيل بدا أنه مستاء حقا من السياسة الاسرائيلية. فقال انه لا يشعر بأي شيء نحو اسرائيل أو الاسرائيليين أو اليهود. فهذا ليس جزء منه وهو ليس جزءاً من هذا كله.»

«وكي أضع الطعم في فمه اتهمته بأنه جبان. وحين سأل عما أقصد قلت اني اذا كنت أعتقد أن هناك خطأ ما يخص بلادي كنت أبقى هناك ولم أكن لأفر.

كنت أقوم بتنظيم جماعات سياسية ومظاهرات وكتابة الشكاوى؛ وأحاول تغيير النظام من الداخل. لم أكن لأذهب الى الطرف الآخر من العالم وأبث شكاواي لصحيفة أجنبية. فقال ان هذا كله قد جرب في اسرائيل وان هناك أكداساً من الجماعات اليسارية المتطرفة وانه قام بتنظيم جماعات في الجامعة غير أنه لا سبيل له كي يستطيع تغيير معتقدات البلاد الأساسية.»

«وقال هناك ديمقراطية في اسرائيل بقدر ما يتعلق الأمر بالتلفزيون والصحف ولكن بما أن معظم الاسرائيليين يتمسكون بشراسة بأمن اسرائيل فلبس لديه أدنى أمل في اقناعهم بعكس ذلك. والسبيل الوحيد المتاح أمامه هو لفت انتباه العالم لما تفعله اسرائيل.»

«فكان سؤالي التالي هو ما اذا كان يحس بأنه بطل شجاع. وهل هو في رحلة لاثبات الذات والتفرد. فقال كلا فهو لا يشرع بأي شيء من هذا كل ما يشعر به هو البرودة في داخله وان هذا هو قراره ولن يسلبه أحد منه وانه لن يتراجع في ما فعل. ولا يكترث بما يعتقده الآخرون فكل ما يريده هو أن يحمل الحكومة الاسرائيلية على الاقرار بانها تملك تكنولوجية نووية متقدمة ذلك لأنه يحس بأن الأسلحة النووية شيء يجلب الشرور.»

«وظل يشكو من أنه يشعر بالسأم حقا من هذه القصة والأسئلة التي تلاحقه. وكل ما يريده هو أن يتمكن من نشرها وعندها سوف يبتعد. فأجبته بأنه لا يستطيع الذهاب بهذا المعنى المباشر ذلك لأنه سيكون عليه

أن يظهر في التلفزيون والراديو. فكل ما حدث أنه بدا غير مهتم. فقط هز كتفيه. فقلت لا داعي للقلق ذلك أنه في خلال أسبوع تقريبا سوف يحصل على نقوده. ويستطيع الرحيل بعيدا الى جزيرته. فرد قائلاً، ربما لن يحدث هذا. اذ أني أشعر بأني لن أحصل على هذه النقود أبدا. بل أحس بأن شرا ما سيقع»، «فسألته عما اذا كان يقلقه أن يجازف بحياته من أجل هذه القصة. فرد بأن هذا اختيار كان عليه أن يختاره وأنه فكر كثيرا في هذا. ولم يبدُ أن لديه أي حماس من أي نوع للحياة ذلك أنه لم يجن سوى القليل من مباهج الصداقة أو لعله لم يجن أي قدر ولا من الموسيقى ولا الطعام ولا التسلية ولا أي شيء كان.»

«تحدثنا عن حياته في أستراليا. فقال ان جيريرو يعيش مع امرأة مجنونة به ولكن جيريرو لا يحسن معاملتها. فهو يزور بيوت الدعارة في كل ليلة تقريبا وحاول اقناع مورد بالذهاب معه. وقال انه ذهب معه مرتين ولكنه في كل مرة لم يمارس الجنس لأنه لم يعجبه الجو المحيط أو النساء كما أنه لم يشعر بأنه جذاب جنسيا هناك.»

«توجهت الى التليفون كي أطلب سيارة أجرة كي توصلني الى المنزل. فطلب مني أن أصعد معه الى حجرته كي أثبت أني أثق به. فكرت في الأمر وقضينا هناك خمس دقائق تقريبا. اكتفى بالدوران حول الحجرة لبرهة وقطعنا عهدا بأن نظل على اتصال مهما حدث. اذ قال انه يريد حقا أن يكون صديقي. وحين وصلت الى المنزل اتصل بي تليفونيا في حوالي منتصف الليل وتناقشنا في امكانية أن ندبر أن يتناول العشاء معي في المنزل في الأسبوع التالي يوم الخميس ٢٥ سبتمبر.»

ظلت روبينز على اتصال بالتليفون مع فعنونو أثناء الأيام القليلة التالية غير أنها لم تتمكن من لقائه اذ انها كانت تستعد لأداء امتحان في الصحافة. تلقت عددا من المكالمات منه في المنزل حيث دردشا في الفلسفة والقصة التي قال انها تتقدم «على ما يرام.» كان يتطلع للقائها هي ووالديها وسأل بقلق عما اذا كان من المحتمل أن يسألا الكثير من

الأسئلة. وغمغم بأنه يشعر بالملل وأنه يقرأ كثيرا.

في يوم الأربعاء ٢٤ سبتمبر اتصل بها ثانية كي يسأل عن الطريق الى منزلها حين يذهب في المساء التالي. ومما يدعو للحزن أنها كان عليها أن تبلغه بأن حفل العشاء قد تم الغاؤه ذلك أنها مضطرة أن تحضر اجتماعا في الجامعة. وقالت روبينز لقد بدا على صوته «قليل من خيبة الأمل» غير أنه بدا متفهما. وقال انه «سئم ماكس براجنيل» وتعب من أن توجه اليه نفس الأسئلة عن المجمع مرات ومرات. وكشف عن أن براجنيل قد نقله الى فندق آخر في كوفنت جاردن فندق ماونتباتن غير أنه طلب منها ألا تقول ذلك لأي شخص بما أن الساندي تايمز جعلته يعد بأن يحفظ بصرامه سر المكان الذي يسكن فيه. ولا شك هناك في أن فعنونو لم يذكر أنه في وقت سابق من ذلك اليوم صنع مفاجأة لنفسه. فبينما كان يسير بالقرب من الفندق لاحظ وجود فتاة شقراء جذابة الى حد ما واَستجمع شجاعته ليقترب منها. وذهبا سويا لتناول القهوة ووضعا خططا أكيدة كي يلتقيا في اليوم التالي. قالت انها أمريكية واسمها سيندي.

الموساد تتحرك

لا تميل وكالات المخابرات الى التفاخر بما تحققه من نجاح كما أن تفاصيل الطريقة التي بدأوا بها استهداف فعنونو لا تكاد تعرف. فحين وصلت أنا وهو الى لندن في ١٢ سبتمبر من المؤكد أن الموساد كانت تقوم بعملها لمدة تتراوح من أسبوعين الى ثلاثة أسابيع. ولو صح كما يبدو أن أوسكر جيريرو حذر أفي كلايمان في البعثة الاسرائيلية في سيدني قبل وصولي الى أستراليا في ١٠ أغسطس اذن فان الموساد كان لديها متسع من الوقت بحيث تزرع عملاءها في مواقعهم وتثبت الأدلة أنهم تمكنوا من عمل ذلك. لا شك أن السلطات في اسرائيل كانت قد عرفت مع حلول ٧ سبتمبر بمناقشات فعنونو كما عرفت بعروض الشرائح التي قدمها لي في الهيلتون. في ذلك اليوم كان أخوه الأكبر ألبيرت يعمل في محل النجارة الخاصة به في بئر سبع حين وصل رجلان دون سابق انذار وعلى أكتافهم تلمع الشارات التي تميزهم باعتبارهم تابعين للشين بيت ادارة الأمن الداخلي والتي تعرف أيضا بالشاباك. فسألوا عن المكان الذي يقيم فيه موردخاي ولم تفت في عضدهم اجابة ألبيرت بأنه لا يدري. كانت عائلته قد تلقت بطاقات بريدية وكل ما كان يعرفه أنه من المحتمل أن يكون في الشرق الأوسط. فقال أحد مستجوبيه «انه في أستراليا» «ونحن نعرف أين هو وماذا يعتزم فعله.» بالطبع لم تكن لدى ألبيرت أدنى فكرة عما يقصدون غير أنه اشتم أن أخاه واقع في المتاعب. واستمر رجل الشرطة السري قائلاً «انه يتحدث الى صحيفة بريطانية عن عمله في ديمونة. وعليك أن تتصل به وتبلغه ان هذا ليس شيئا حسنا. عليك اذا اتصل بك أن تبلغه بأنه واقع في المتاعب.» عندئذ حمل ألبيرت على أن

يوقع اتفاقا يكمم فاه حتى لا يتحدث عن هذا الاجتماع تحت التهديد بقضاء ١٥ سنة في السجن.

من المعروف تمام المعرفة أن الموساد لديها صلات قوية بوكالات أمنية أخرى وتتبادل المعلومات بانتظام عن مثيري القلاقل. لقد علمنا أنه في الوقت الذي كنت أنا وفعنونو نطير الى لندن كان لسان جيريرو الطويل قد ارتكب حماقة أخرى. فحين حضر الى مطار سيدني كي يودع فعنونو التقى بأحد معارفه القدامى في المطار وتفاخر بالقصة الكبرى التي له ضلع فيها موضحا في هذه العملية الحمقاء تفاصيل عن عمل فعنونو في اسرائيل وكذلك زيارته للندن في صحبتي.

كان هذا الشخص في الواقع ضابط اتصالات سابق كان يعمل مع منظمة مخابرات الأمن الأسترالية وبعد أن أصغى لجيريرو فكر مليا ثم اتصل بمنظمة المخابرات الأسترالية في مقرها بسيدني. وطلب أن يتم ترتيب اتصال له مع ضابط بالفرع الخاص فروى له القصة المعقدة التي استمع اليها. ومن المعتاد بشكل روتيني أن تنتقل معلومات كهذه لأجهزة المخابرات في المملكة المتحدة والمعروف الآن أنه قد تم تحذيرهم على عجل. كما علمنا بعد ذلك حين هبطت طائرة البوينج ٧٤٧ التي كنا نستقلها في مطار هيثرو كان هناك في الانتظار ضابطا شرطة من الفرع الخاص عند باب الخروج كي يشاهدانا ونحن ننزل من الطائرة بعد أن استوثقا من مكتب الخطوط عن المكان الذي كنا نجلس فيه. فرجال المخابرات البريطانية كانوا هم أيضا في اثرنا.

ربما كان لقاء فعنونو، العارض، بيورام بزاك في شارع ريجينت بلندن مؤشرا آخر على أن خطط الاختطاف التي أعدتها الموساد قطعت شوطا كبيرا من التقدم في الوقت الذي وصلنا فيه أنا ومورد الى لندن. اذ أن سلوك بازاك بعد أن التقيا، صدفة، هو وفعنونو في شارع ريجينت في اليوم التالي ربما يعد مجرد لقاء محيرا اذا كان مجرد مقابلة مفاجئة. من الصعب التفكير في تفسير بريء لاصراره على أن ينتظر فعنونو في

حجرته بينما يأخذ هو حماما سريعا بدلا من الانتقال الى بار الفندق. وحين التقى به براجنيل فيما بعد في شقته في تل أبيب كان عصبيا كثير الحركة الأمر الذي أثار العجب. في البداية حاول أن ينكر أنه كان في لندن كما حاول أن ينفي أنه أحد أصدقاء فعنونو. وحين ذكر اسم الفندق الذي كان يقيم به في لندن أجاب، من أخبرك بذلك، أما بالنسبة لغير ذلك من الأسئلة فقد لزم الصمت الى حد كبير وعيناه تلمعان وهو يعتصر يديه.

«أخبرتك من بداية هذه المقابلة بأني ليس لدي ما أقوله. فأنا رجل أحيا حياتي الخاصة. واذا لم يكن لدي ما أقوله فلن يكون لديك ما تقول. ولا أريد أن أكون متورطا في هذا كله.»

اذا كانت الموساد قد قطعت شوطا في عملية جلب فعنونو، وذلك يبدو أمرا محتملا فقد كانت هناك فسحة من الوقت لوضع بزاك في مكانه في شارع ريجينت تماما في اللحظة المناسبة لحدوث، لقاء عرضي،. وليس ثمة شك في أن بزاك الاسرائيلي الوطني، كان مستعدا بكامل ارادته للتعاون. فهو الشخص المثالي الذي لديه قصة التغطية الملائمة التي تمكنه من اكتشاف دوافع فعنونو وربما يمنحه فرصة الوقوع في حبائل الشبكة.

وعلى ذلك فان الجدل الذي حدث في الفندق وفي مطعم البيتزا ربما كانا شيئا مرتبا. اذ من المحتمل أن تكون الموساد قد توصلت بحساباتها الى أن هناك فرصة ضئيلة في آن طريقة بزاك الاستفزازية ربما تدفع فعنونو للعودة الى الساندي تايمز فيسحب تصريحه بنشر قصته. لو آنه فعل ذلك لن يكون لدى الصحيفة من بديل سوى أن تضرب الصفح عن المال الذي أنفقته على البحث والتحقق. واذا ما آصبح مورد شاهدا عدائيا فان الصحيفة سوف تخاطر بأن تتحول الى موضع للسخرية اذا ما استمرت في خططها لنشر القصة. وعلى أي الحالات فان النشر رغم ارادته كان من شأنه أن يعرضه لخطر آعظم. وحتى اذا آخفق بزاك كما حدث بالفعل فلسوف تتمكن الموساد من آن تعلم الكثير عن مشاعره وعن

عزمه على احداث جدال هائل. وسواء كان الأمر مصادفة أو غير ذلك فان قرار فعنونو باللقاء مع بزاك والشجار معه والقاء التهديدات دون تفكير بأن يكشف عن تفاصيل عن عمله في ديمونة هو القرار الذي قاده الى مصيره.

في النهاية فان أكثر الحلول ارضاء بالنسبة للموساد كان هو ازاحة فعنونو - تاركة الساندي تايمز تتخبط دون شاهد رئيس يؤيد ما تقول. وفي ١٣ سبتمبر لا بد أنه كان من المغري اختطافه في التو واللحظة في شارع ريجينت وحزمه في سيارة والغرق في زحام المرور. ذلك أن أدولف أيخمان تم التخلص منه بكفاءة بهذه الطريقة عام ١٩٦٠. اذ تم اختطافه في الأرجنتين وأخذ الى اسرائيل وحوكم وأعدم - وهو نجاح باهر لم يستجلب أي تجريم دولي. عموما حين فكر فريق فعنونو مليا في هذه الفكرة في مقر الموساد في تل أبيب كان عليهم أن يأخذوا العوامل الأخرى في عين الاعتبار. ذلك أن صيدهم ليس شخصا نازيا أو شخصا متهما بالقتل الجماعي عرض الملايين للغاز كما هو الحال بالنسبة لأيخمان. بل هو في الحقيقة مواطن اسرائيلي قد يتعاطف معه الكثير من الناس. اضف الى هذا أن النجاح لم يكن مضمونا بأي حال.

وربما تذكر نحوم أدموني رئيس الموساد وشيمون بيرس بقوة حادثة أخرى في لندن كانت لها عواقبها المدمرة بالنسبة لسمعة اسرائيل. فقبل ذلك بعامين في يوليو عام ١٩٨٤ تم اختطاف عمر ديكو - عضو سابق في مجلس الوزراء النيجيري سابقا وعدو للنظام الجديد الذي كان مؤخرا قد قام بانقلاب.

اختطفه رجلان خارج منزله الفخم في بورتشيستر تيراس. فاستنفرت سكوتلانديارد وتم ارسال رسالة الى المخارج والمطارات. وفي مطار مانسشتر نحو شمال شرق لندن لاحظ أحد ضباط الجمارك اسمه تشارلز مارو شحن حاويتين في الامتعة الدبلوماسية على طائرة بوينج «٢» متجهة الى ليجوس. فأسرعت سيارة شرطة على المدرج وسدت

الطريق أمام الطائرة.

وعلى الفور تم استدعاء ممثل عن السفارة النيجيرية وبحجة أن الأمتعة الدبلوماسية قد وضعت عليها العلامة الخاطئة فتحت الحاويتين. وما وجدوه داخل الفراغ المكون من أربعة أقدام مربعة سبب حالة من الاثارة. ففي الحاوية الأولى كان يوجد ديكو مخدرا وفاقدا للوعي ومقيدا في أمان بأصفاد وحبال. ويقبع بجانبه د. ليف أريي شابيرو جندي احتياط اسرائيلي وكبير أخصائيي التخدير في احدى المستشفيات بتل أبيب. وكان معه حقنة وكمية من المخدر مصممة بحيث تهدئ ديكو لعدة ساعات. كان ديكو قد تقيأ فحشر أنبوباً للتنفس في حلقه. وفي الحاوية الثانية كان هناك اسرائيليان آخران هما أليجزاندر باراك وفيليكس أبيتول بقية، فريق الاصطياد، فحكم على باراك الذي عرف بأنه قائد الشبكة بخمس عشرة سنة في الأولد بيلي أما الآخرين فحكم عليهما بعشر سنوات. ولم يكن لدى القاضي مكوان أدنى شك في أن الموساد متورطة رسميا في هذه العملية.

أثناء عملية فعنونو لا بد أن الموساد أدركت أن المملكة المتحدة وهي صديق وحليف لاسرائيل مكان أكثر مجازفة للقيام بعملية اختطاف فيه من بوينوس أيريس. وكان فعنونو في كل مكان تقريبا يرافقه مخبرون صحفيون من الساندي تايمز. فاذا ما ضبطت وهي متلبسة بالامساك به فان هذا سوف يفجر القصة في سماء الاعلام. ويمنح فعنونو المزيد من القوة. وكان لا بد من القاء القبض على، الخائن، في أسرع وقت ممكن؛ كان هذا أمرا مباشرا من رئيس الوزراء.

على أي حال كانت هناك حاجة الى طرق تاكتيكات أكثر عمقا وقد يستغرق هذا وقتا أطول قليلا.

وحين جاء يوم الأربعاء ١٧ سبتمبر تم نقل فعنونو من عزلته في فندق هيث لودج خارج لندن. لقد مل الاسرائيلي البيئة الهادئة في هيرتفوردشير الريفية وطلب مكانا في وسط المدينة. فتقرر على سبيل

الحماية ألا يعرف المكان الذي تم اخفاؤه فيه سوى اثنين من فريق التقصي والبحث في الساندي تايمز لم أكن واحدا منهما. وللأسف أعادوه الى فندق تور ثيسل بالقرب من برج لندن وعلى مسافة سير قصيرة من مقر وابينج للساندي تايمز. وأمرا بأن يدفعا حساب الاقامة من بطاقات ائتمانهما الشخصية وحجزا لفعنونو حجرة باسم مستعار. عموما لم يكن اختيار الفندق في أقرب مكان من مكاتب الصحيفة اختيارا موفقا. اذ أن جيريرو أقام هناك حين كان في لندن قبل أن نطير معا الى أستراليا. فحتى اذا لم تكن الموساد في اثر مطلق صفارة الانذار كان من المحتم أن يضعوا المكامن الأكثر احتمالا تحت المراقبة. وكان من الممكن لأي شخص يجلس في منطقة الاستقبال في الفندق أن يضع عينيه على هدفهم في الحال. لا بد أن فريق الاصطياد قد تلذذوا بمذاق حظهم الحسن وهزئوا من سذاجتنا. كانت جلسات الاستفسار قد بدأت في فندق هيث لودج ولكن منذ وصول مورد الى فندق تور كان يتم احضاره بانتظام الى المكتب مختبئا أحيانا في دواسة سيارة. وكان متعاونا في الاجابة على الأسئلة التي كانت تطرأ كما كان متسامحا في معظم الوقت حين يطلب منه أن يروي قصة حياته وتجاربه في ديمونة لعدة مرات. وبذلت محاولات لجعله يشعر بأنه يستمتع بدرجة معقولة من التسرية كما كان يستمتع استمتاعا كبيرا بالأمسيات التي يقضيها مع ويندي روبينز ولم يحمل أي شخص - بمن في ذلك فعنونو - التهديد المحدق بسلامته محمل الجد بالقدر الكافي. واذا ما استرجع المرء الأمر يجب أن أقول انه لم يكن ينبغي أن يكون بالقرب من لندن في المدة التي قضاها في المملكة المتحدة. لقد صكت الصحف الشعبية اصطلاح، الجلوس مع الأطفال، للاشارة الى حراسة مصدر المعلومات الساخنة القيمة من المنافسين غير أن الساندي تايمز لم يكن لديها خبرة كبيرة بهذا الفن الأسود وكان ذلك على حساب فعنونو.

من ناحية أخرى ينبغي أن يقال ان مورد لم يكن، طفلا ، مطيعا . فمع أن

عقدا لنشر قصته قد تمت كتابته الا أنه لم يوقع أبدا لذا لم يكن ملزما بأي الزام قانوني بأن يتبع نصائحنا. وكما تظهر روايات ويندي روبينز كان يتردد على الحانات والمطاعم والمسارح بكامل ارادته. ومع اقتراب الوقت الذي بدأت القصة توضع فيه في المكان المناسب خفت الاحتياطات المتخذة ضد أي حيل قذرة تقوم بها اسرائيل. ثم حدث تعقيد آخر. فعلى العكس من الخطة المتفق عليها حين غادرت أستراليا وصل أوسكر جيريرو الى لندن مما أحنق فعنونو. جاءت الاشارات الخافتة الأولى بأن جيريرو قد وصل الى لندن مع مكالمات تلقاها مكتب الشؤون الخارجية بالساندي تايمز. يوم الثلاثاء ١٦ سبتمبر تطلب ويندي روبينز. كان جيريرو قد التقى بها أثناء زيارته السابقة للساندي تايمز ووافقت على لقائه يوم الجمعة ١٩ سبتمبر لتناول كأس ووجبة.

وكانت لديها معلومات بأن تتودد اليه وتكتشف السبب الذي جعله يأتي الى المملكة المتحدة دون سابق انذار. وقالت انه حانق على الساندي تايمز اذ تتسلط عليه فكرة ثابتة بأن الصحيفة سوف تغشه.

في مكالماته مع روبين مورجان محرر الموضوعات الخاصة كان أكثر تحديدا بل وأكثر تحدثا عن المطالب. ويتذكر مورجان قائلا «خلال عدة أيام ظل جيريرو يتحدث تليفونيا مرارا مصرا على إلغاء جميع الصفقات وأنه لم يعد راغبا في الإستمرار في ترتيباته معنا ويريد فعنونو وكذلك أبحاثنا حتى ذلك الوقت. ولم تكن لدينا أية أبحاث أعطاها هو لنا ورفض فعنونو أن تكون له أية صلة بفعنونو كما أن الصور هي ملكية فعنونو. فأخبرت جيريرو بأن يتوقف عن تلك التصرفات السخيفة وقلت له اننا صحيفة مسؤولة...» ثم تلقى مورجان مكالمتين من شخص مدعيا أنه يمثل فعنونو ويصر على أن، تقتل، القصة لأن صحيفة أخرى تقوم الآن باعدادها. جاءت المكالمات من فندق كومت في هاتفيلد على بعد بضعة أميال من فندق هيث لودج.

وبدون علم مورجان كان جيريرو متصلا بالساندي ميرر الذين كانوا

يسكنونه في فنادق رخيصة ريثما يتحققون من قصته الغريبة ومن صوره لديمونة وحقيبته التي توجد بها صور له مع سياسيين دوليين.

والصحيفة الشعبية هذه معروفة بكشف الأمور الشخصية، أكثر من اهتمامها بكشف مصانع الأسلحة النووية المدفونة. ولكن بينما كانت الساندي تايمز قد استكملت ما كانت تقوم به من أعمال الفحص والتأكد كانت عبقرية جيريرو في الحاق الأذى مستمرة. فكان لدى فعنونو سبب يجعله يشعر بالبلبلة والقلق.

كان نشر القصة في الصفحة الأولى والثانية والثالثة مخططا له أن يتم في ٢٨ سبتمبر وكان فعنونو يحس بالراحة في الأيام السابقة مباشرة على ذلك اليوم لأن أيام التأكد والتحقيق قاربت على نهايتها. وعلم بأن القصة سوف تخصص لها مساحة لم تحدث من قبل تقريبا. وكان قسم حجرة الأخبار الذي يشغله فريق الاستقصاء والبحث حافلا بالنشاط.

في يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمر كان الفريق مستعدا لمواجهة اسرائيل بملخص موجز ودقيق بالمعلومات التي ننوي ملء الجو بها. وكنا متلهفين لاختبار رد فعلهم. وكان الجميع يعرفون أن الكشف عن عناصر من القصة يعد مجازفة. فكما يعرف أي صحفي تحقيقات فان هذا يعطي، الجانب الآخر، فرصة كي يحصل على مهلة تحذيرية يستطيع من خلالها تخويف الشهود وينظم عملا مفسدا يستطيع به أن يفقد القصة مصداقيتها اذا ما ظهرت في النهاية المعلومات الضارة بالرغم من الجهد الذي يبذل من أجل منعها. ومع ذلك كان العدل يقتضي أن تمنح اسرائيل فرصة للتعليق كما كنا نرغب في استكشاف الطريقة التي سيتعاملون بها مع هذا النشر غير المرغوب فيه.

ولم يكن هناك أدنى شك في أنهم سيحاولون تحاشي الاقرار بأي شيء يضر بهم ولكن اذا ما خرجوا علينا بأدلة على أن فعنونو أفاق فلسوف يعفي هذا التصرف الصحيفة من حرج هائل.

بالطبع أخذنا رأي مورد على الأخص في مسألة كشف شخصيته غير

أنه لم يبد أي اهتمام من أن سلامة نيته سوف تكون موضع طعن. كما اطلع على ملف المواد التي نقترح تسليمها. فكان مؤيدا بل كان في الواقع راغبا في معرفة النتيجة. وقال بنظرة مستهزئة «أظن أنهم سيتلقون مفاجأة كبيرة» في ذلك الأصيل ذهبت أنا وبيتر ويلشر في سيارة أجرة الى السفارة الاسرائيلية في حدائق كينزينجتون بالاس ونحن مسلحان بأوراق منتقاة بعناية وبيان معد.

وبعد أن مررنا بمنطقة تفتيش أمنية عند المدخل وبجهاز للكشف عن الأشياء المعدنية تم توجيهنا الى مكتب في الطابق الأول حيث كان هناك الملحق الصحفي افيات مانور ينتظر وهو يقطع الحجرة جيئة وذهابا والتوجس باد عليه. لم يدل بأي تعليق حين قدمت له نسخا من صفحات جواز سفر فعنونو وخطاب الاستغناء عنه من المجمع وكذلك نسخا من بعض الصور التي التقطها فعنونو.

وقرأ الملحق الصحفي بعناية خطابا مرفقا من الساندي تايمز يطالب رسميا بتعليق اسرائيلي رسمي ثم هز رأسه هزا خفيفا واستدار كي يطلع على البيان الذي كان نصه نحن ننوي في يوم الأحد ٢٨ سبتمبر القيام بتحقيق وبحث كبير يؤكد أخيرا على وجود قدرة لدى اسرائيل على انتاج الأسلحة النووية التي كانت مثار ريبة لوقت طويل: واصفين المرافق المخصصة لهذا الغرض بما بها من تقدم وتعقيد وتطور متسارع. يبين هذا التحقيق

«أ. أنه يعتقد أن اسرائيل قادرة على انتاج ربما قنبلة ذرية سنويا بالرغم من أنها تنكر ذلك بانتظام وأنها منذ ١٩٧٠ أخذت تكدس باضطراد المواد اللازمة لمثل هذه الأسلحة بمعدل سنوي يتراوح ما بين ٦ و ١٠قنبلة وانه يوجد الآن ما يزيد على ١٠٠ وسيلة انشطارية في ترسانتها العسكرية.»

«ب. ان مصنع فصل البلوتونيوم المطلوب لهذا البرنامج والذي لم يتم تحديد مكانه أبدا ولم يثبت وجوده يحتل سبعة طوابق تحت الأرض تحت

مبنى من طابقين يبدو أنه لا ضرر منه في موقع مفاعل ديمونة بناه الفرنسيون، للبحث العلمي، في أوائل الستينيات.»

«ج. ان قوة المفاعل التي لم يعترف أحد بأنها أكثر من ٢٦ ميجاوات هي في الواقع أربعة أضعاف ذلك وربما أكثر أي عشرة أضعاف هذا الحجم وأن ناتجه مكرس كليا تقريبا لانتاج الأسلحة.»

«د. ان الفرنسيين قاموا بتزويد اسرائيل بهذا المفاعل وتركيبه بالرغم من القول الذي يكثر الاستشهاد به من مذكرات الرئيس ديغول بأنه عرقل بفاعلية جهود اسرائيل للحصول على التسهيلات، من أي يوم ساطع قد تأتي القنبلة الذرية.»

«هـ. ان اسرائيل بنت منذ عام ١٩٨٠ ملحقات محكمة متعطشة للقوة بموقع ديمونة تمكنها من انتاج كميات كبيرة من ليثيوم ٦ والتريتريوم. وهذان هما المكونان الجوهريان المطلوبان للدفع بقوة بمحصول الجيل الأول من القنابل الانشطارية وثانيا للتقدم اذا ما دعت الحاجة الى بناء وسيلة نووية حرارية – القنبلة الهيدروجينية أو النيوترونية. نحن لا ندري المدى الذي بلغته اسرائيل على هذا الطريق غير أنه لا يوجد الآن المزيد من العراقيل المادية التي تقف في طريقها.»

«ز. وأنه بالاضافة الى تصنيع جميع هذه المواد هناك قسم أكثر سرية وأمنا يعمل فيه فنيون على درجة عالية من المهارة لتحويل المواد الى أجزا للقنابل. بعبارة أخرى لا ينتهي خط الانتاج عند تكديس المواد اللازمة للأسلحة النووية وانما يتجه مباشرة نحو صناعة وسائل تقترب من الاكتمال والاستعداد.»

«سوف نضيف الى هذه الحزمة رسوما بيانية مفصلة لموقع ديمونة وتخطيط الطوابق والتقاطعات بالمصنع السري الذي تجري فيه عملية الفصل والكثير من الصور التي التقطت داخل حجرة المراقبة ومنطقة تطوير الأسلحة والشهادة الشخصية التي يدلي بها الرجل الذي قام بتهريب هذه الصور الى الخارج بعد قضاء أكثر من ثماني سنوات في

ديمونة وهو يعمل فنيا رئيسا في برامج البلوتونيوم والليثيوم والتريتريوم.»

تنفس مانور نفسا عميقا ورفع ناظريه. وقال «هل أنتما متأكدان من أنه من السلامة بالنسبة لي أن أرى هذا.» قال ذلك بهدوء ربما متأملا في الخطر الذي وقع فيه فعنونو ثم نهض وصافحنا مضيفا «يمكنكما أن تتفهما أني لا أستطيع أن أجيبكما فورا. سأرد عليكما بأسرع ما يمكن.» واتصل تليفونيا في الصباح التالي «لدي بيان قصير لكم ولن يكون هناك المزيد ليست هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها قصص من هذا النوع. وهي ليس لها أي أساس من الواقع ومن ثم فان أي تعليق من جانبنا لا لزوم له.» وكي أوفيه حقه يجب أن أقول ان مانور قد لا يكون على علم بأن هذه كذبة مكشوفة. ونحن عائدين بالتاكسي الى مكاتب الساندي تايمز أوقفنا أحد المارة لبرهة قبل أن نمر من خلال المدخل. فلفت انتباهي رجلان يقفان على الرصيف المواجه للبوابة يحمل أحدهما آلة تصوير فيديو من الحجم الذي يكون عادة مع السياح والآخر ينظر في حقيبة أوراق من الألومينيوم. وظلا هناك حين غادرنا المكان يصوران المركبات المختلفة والناس وهم يروحون ويجيئون.

لم يكن من الأمور غير المألوفة أن يرى المرء طواقم تصوير خارج مقر وابينج للساندي تايمز. اذ أنه في نهاية الأمر كانت المعركة مع نقابات عمال الطباعة ما تزال محتدمة وأحيانا تكون طرق المدخل غاصة بالجموع التي تهتف وهي تحمل اللافتات. عموما كان النشاط مركزا في فترة الصباح حين يصل الناس الى العمل وفي وقت متأخر من الليل حين تغادر الشاحنات المطابع حاملة الصحف الى كل أنحاء البلاد. أما في ساعات ما بعد الظهر فكان يوجد بضعة أشخاص وقليل مما يستحق الرصد لعدة ساعات طويلة. ناقشت الموضوع مع ادارة الأمن التي لديها آلة تصوير فيديو بصفة دائمة عند المدخل. فقالوا لي «لقد حيرنا أمرهما. فالتقطنا شريطا لهما.» أظهر رجلين بدا كلاهما اسرائيليا وعلى ما يبدو

أنه كانت هناك، عدة طواقم من اثنين من المصورين تعمل بالتناوب. فلم يعد هناك كثير من الشك في أن هذا جزء من عملية المراقبة التي تقوم بها الموساد غير أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك ما نستطيع أن نفعله. وكانت الأولوية هي استكمال القصة. وعلى أي حال تم نقل فعنونو ثانية هذه المرة الى فندق ماونتباتن في كوفينت جاردن. وبدا أن هذا اجراء احترازي متعقل اذا ما أخذنا في الحسبان أن جيريرو يبحث عنه وأن السفارة الاسرائيلية قد أخذت علما بقصته. كان هذا في واقع الأمر خطأ آخر. فمورد الآن يسكن في جزء من لندن يعج بالسائحين؛ حيث يمكن اغراؤه بأن يتجول وحده.

اذا كان ذلك الأسبوع حافلا بالنسبة لنا في الساندي تايمز فلا بد أنه كان مليئا بالتوتر والاجهاد لفريق الموساد المكلف بتحجيم الضرر الذي كان فعنونو على وشك أن يفعله. فالمادة التي سلمناها لافيات مانور دفع بها بالطبع الى اسرائيل حيث أدرك شيمون بيرس الذي كان وقتها رئيس الوزراء لأول مرة المدى الذي كان المرفق الأثير الى قلبه على وشك أن يفتضح. وكما علمنا فيما بعد حطمه هذا الخبر وكان يغلي غضبا مما يمكن أن تحدثه المعلومات التي كشفها فعنونو بالنسبة لوضع اسرائيل الدولي. اذ أن من المحتمل أن تعرض المعونة الأجنبية للخطر بما في ذلك الأموال الحيوية التي تأتي من الولايات المتحدة. كانت واشينطون دائما على الاستعداد لأن تغض الطرف عن تقارير وكالة المخابرات المركزية عن الحشد الذري لدى اسرائيل غير أنها قد تجد أن هذا التصرف صار أكثر صعوبة في حالة ظهور دليل مؤكد في الصحافة. فأمر بيرس قائلاً «لا بد أن تعيدوا فعنونو هنا فورا.»

في يوم الأربعاء ٢٤ سبتمبر وهو اليوم الذي رد فيه مانور تلفونيا بانكاره الناعم الرقيق كان فعنونو في المكتب ولكن السيارة أعادته الى فندق ماونتباتن قرب المساء. كان الجو لطيفا ودافئا لذا قرر أن يستكشف بيئته الجديدة المثيرة. وظلت التفاصيل الدقيقة لما تلا ذلك حين سار في

غفلة الى الفخ القاتل ظلت لفترة طويلة جزءاً من لغز فعنونو. عموما أخذت تتجمع التفاصيل رويدا رويدا بمساعدة مصادر في اسرائيل ما تزال لمدة ١٣ سنة ممنوعة من الكلام. غادر الفندق واستدار الى اليمين واتجه الى ميدان ليسيستر وهو مركز دور السينيما في لندن. توقف قليلا كي ينظر الى المجلات الموجودة في كشك أحد باعة الصحف عندها رأى امرأة رفعت عينيها لبرهة ورمقته بنظرة. كانت شقراء تضع مساحيق زائدة قليلا غير أنه رأى أنها جذابة.

فشعر فعنونو بدافع لحظي الى أن يتحدث اليها والتقت عيونهما فلمس فيها بريقا ينم عن قدر من الاهتمام غير أن نزعته الى الرزانة تغلبت عليه. واستدار وترك كشك الصحف وابتعد ليعبر فاذا به يجد المرأة بالقرب منه تسير في نفس الاتجاه. استدارت يسارا حين وصلا الى الجانب الآخر من الطريق فكان فعنونو أشد حياء من أن يتبعها. واستمر في سيره مسافة مائة ياردة ثم توقف ولم يزل غير مدرك للسبب. وعندما نظر وراءه رآها تنظر الى احدى واجهات المحلات بالقرب من مكان العبور. فاتجه فعنونو اليها واستجمع شجاعته كي يحييها. قائلا «هل أنت سائحة مثلي، ما رأيك في أن نذهب معا لتناول فنجان من القهوة.»

الانجذاب القاتل

ماذا عساه أن يكون أقرب الى الطبيعة وأكثر اشباعا للأنا والذات شخص أجنبي وحيد في لندن يتمشى في حي المسارح في لندن تقع عيناه على امرأة جذابة يبدو أنها تائهة ووحيدة. يقترب منها فتوافق باستحياء على أن تصحبه لتناول فنجان من القهوة. يدردشان ويمزحان وفي الفنجان الثاني تكشف له عن اسمها سيندي اخصائية تجميل أمريكية تستكشف لندن وحدها قبل «أن تجوب أوربا.» يمكن أن تكون هذه بداية لقصة رومانسية أو هكذا ظن فعنونو وهو يملؤه احساس بالنشوة. لم تكن لديه أدنى فكرة عن أنه يسقط ضحية لحماقته وأنه يسير حثيثا الى داخل فخ معد له بعناية.

لماذا لم يداخله أي شك اذ أنه من الواضح الآن أنه لم يطرأ على ذهنه أي ظل من الخوف من أن صديقته الجديدة ربما تكون جاسوسة ماكرة تعمل بأعصاب باردة لأنه هو الذي بادر بالحركة الأولى. ذلك أنها كانت قد ابتعدت في اتجاه مختلف بعد أن عبرا الطريق. انه هو الذي استجاب لدافعه الأول فقرر العودة واتخذ القرار بتحيتها بينما كانت تنظر في واجهة أحد المحلات. ان أي شخص يحاول التقاطه كان هو الذي سيبادر كما اعتقد. كان هذا بالطبع خطأ فادحا غير أنه من الممكن أن يقع فيه كثير من الرجال في نفس الظروف.

ولما لم تكن لديه خبرة بفنون الغواية المحترفة لم يكن ليخامره أي شك بأن الموقف قد دبر بعناية لاعطاء فريق الموساد أقصى فرصة للنجاح. ذلك أن جعل صيدهم يستكين لاحساس زائف بالأمن كان جزءاً شاقا في خططهم. فمن خلال بحث مضن عرفوا احتياجات مورد وأفكاره المسبقة

ونقاط ضعفه. ان نصب، فخ من العسل، طريقة تقليدية من طرق وكالات التجسس غير أن العاملين في الموساد يعدون أساتذة في هذا الفن الأسود. وكثير هم أعداء دولة اسرائيل الذين وقعوا ضحايا لسحر لا يقاوم وغالبا ما ينتهي الأمر بطعنة في ظهورهم أو رصاصة في الرأس ومن المحتمل أنهم يظلون غافلين عن الخطر الذي وضعوا أنفسهم فيه حتى النهاية. كان فريق الاصطياد يعمل في بيوت آمنة ومسلحا بأجهزة استقبال غاية في الصغر ظلوا يتعقبون فعنونو لعدة أسابيع فاستطاعوا أن يضعوا طعمهم بكل دقة. ذلك أن سيندي قد كان مكانها عند كشك الجرائد تماما في اللحظة المناسبة وربما حاولت أن تلفت انتباهه بخبث في مناسبات سابقة دون أن تكلل جهودها بالنجاح. كانت ترتدي ملابسها بالطريقة التي يحب فعنونو أن ترتدي بها النساء ملابسهن وربما أحيطت علما بأفضل الطرق لجذبه اليها لمعرفتها الدقيقة بجوانب ضعفه.

بينما شغلته سيندي بأحاديث خفيفة عادية في تلك الأمسية من أحد أيام الأربعاء جاءت النقطة التي قالت فيها ان عليها أن تذهب غير أن لغة الجسد أي لغة الاشارة أوضحت أنها تود أن تراه مرة أخرى. كان يحب فن الأوبرا وهذا دليل على أنه رجل ذو ميول جمالية لذا فحين اقترح مورد أن يلتقيا في اليوم التالي اقترحت أن يقوما بزيارة لقاعة تيت للفنون - وهي مكان اللقاء الأول في لندن للفن الحديث. فسر فعنونو بأنها تشاركه اهتماماته على العكس من النساء اللاتي كان يحلم بهن. فتواعدا على اللقاء عند درجات القاعة في الثانية ظهرا وتصافحا واتجها عبر ميدان ليسيستر في اتجاهين مختلفين.

قضى مورد الصباح التالي في الفندق غير أن خططه تداعت في الواحدة ظهرا. اذ وصل ماكس براجنيل الى فندق ماونتباتن يحمل خبرا بأنه مطلوب حالا في مكاتب الساندي تايمز للاجابة على المزيد من الأسئلة. فتضايق الاسرائيلي غير أنه وافق على الذهاب. وأخبر الصحفي على أي حال بأنه عليه أن يقوم بزيارة وهو في الطريق الى الصحيفة.

فركبا السيارة معا متجهين الى قاعة تيت وبينما كان فعنونو يغادر السيارة ليبحث عن سيندي انتظره براجنيل وأوقف السيارة في مكان قريب. فرأى فعنونو يتحدث الى امرأة تضع مساحيق ثقيلة للتزين كانت «تبدو نموذجا للأميرة اليهودية الأمريكية.»

فيما بعد حين كان التعقب جاريا لايجادها تذكر أنها في العشرينيات من عمرها يبلغ طولها خمسة أقدام وأربع بوصات بيضاء ذات شعر أشقر وشفتين سميكتين وترتدي قبعة بنية وحلة من التويد وحذاء ذا كعب عال.

وقال براجنيل انه لم يداخله أي شك في هذا التطور غير المتوقع مفترضا أن الشخص المكلف به «صادف ضربة حظ.»

وبعد دقيقتين من الدردشة عاد فعنونو الى السيارة قائلا انه ضرب موعدا جديدا مع سيندي في السادسة ذلك المساء. انهما سيذهبان الى السينما كي يشاهدا فيلم، حنا وأخواتها. ولم ينبه براجنيل أحدا الى هذا الخطر فسار الموعد بلا عراقيل. وكشف فعنونو فيما بعد بأن سيندي كانت مترددة بدلال في ذلك المساء في أن تقول أين تسكن محملة أياه عبء أن يكون هو البادئ بالتصريح دون أي وخز للضمير على ما يبدو أنهم حجزوا له في فندق ماونتباتن تحت اسم مزيف هو جورج فورستي. أخبرها أنه في حجرة ١٠٥ ولكنه طلب منها أن تكون حريصة، ذلك أنه ليس من المفروض أن يبلغ أي أحد.

ومع تقدم معرفة مورد بسيندي كانت الساندي مرر تكافح كي تجد معنى معقولا لقصة أوسكر جيريرو وتفحص صوره. وبعد أن وضعوه بالتتالي في فندق تور وفندق كومت في هاتفيلد ثم فندق رخيص به فراش متواضع للنوم مع الافطار فقط فندق في طريق الجنوب في بيمليكو طلب أن ينتقل الى مكان على الطريق. وفي يوم الاثنين ٢٢ سبتمبر حجزوا له حجرة ٣١٧ في فندق اكيلستون تحت اسم خورخي بوينو وأثناء ذلك الأسبوع مر بفترة اختبار حيث سحقته أسئلة المخبرين الصحفيين العاملين في الصحيفة الشعبية.

فيما بعد قال أحد أعضاء الفريق مارك سوستر انه كان من الصعب تحديد ما يقول ذلك أنه كان مراوغا زئبقيا. وأضاف «كنا نميل الى الاعتقاد بأن بعضا من قصته صادق بما أنه من الواضح أن الساندي تايمز تحمل الأمر على محمل الجد. بدا أوسكر شديد التحايل حتى أن الخروج بقصة مما عرضه كان ضربا من ضروب الكفاح. لم تكن لدينا صلة بفعنونو كما أن الذين كانوا يعملون على استجلاء القصة لم يرغبوا في اهمال ما كانت الساندي تايمز تخطط لنشره مع أن الأمور اتخذت منحى مختلفا.»

في احدى المراحل دخل المخبرون الصحفيون حجرة جيريرو في الفندق وقاموا بتفتيشها باحثين عن أدلة تثبت أو تحطم مصداقيته غير أنه كان يحمل كل شيء في حقيبة أوراقه الضئيلة. وطلب من جيريرو مرارا أن يجلب فعنونو الذي زعم أنه على اتصال به وأنه يمثله. وفي احدى المناسبات المضحكة أخذهم الى مرحاض عمومي في نفق تحت الأرض بميدان ليسيستر. وانتظروا بنفاد صبر بينما كان جيريرو يسعى الى أن يجعل فعنونو يكشف عن نفسه، بصفارة مشفرة، ولكن دون جدوى. بالطبع لم يكن في أي مكان قريب منهم بما أن جيريرو لم تكن لديه أية وسيلة للاتصال به

ومهما كان ما ننطوي عليه الصور من صدق الا أنه كانت هناك جوانب جسيمة من عدم الاتساق في قصته ليس أقلها روايته المكتوبة على الآلة الكاتبة للقائه الأول به في احدى حدائق الحيوان. وبأوامر من رئيس التحرير مايك مولوي ذهب مخبران صحفيان أحدهما سوستر الى السفارة الاسرائيلية كي يعرضا على الملحق الصحفي افيات مانور بعض الصور الفوتغرافية وهي الزيارة الصحفية الثانية في ذلك الأسبوع سعيا للحصول على استجابة رسمية لقصتهما عن الأستاذ فعنونو. فقال مانور «لا يوجد ولم يوجد قط عالم بهذا الاسم يعمل في الأبحاث النووية في اسرائيل» على أي حال كان الملحق أكثر تأهبا واستعدادا عن عمد

عما كان مع الساندي تايمز. وقال «يمكنني أن أؤكد أن شخصا اسمه موردخاي فعنونو كان يعمل فنيا صغيرا في لجنة الطاقة الذرية.»

وكان ذلك بالنسبة لرجال الساندي مرر دليلا آخر اضافيا على أن جيريرو أفاق. وفي يوم الخميس ٢٦ سبتمبر أخذوه الى مكاتب الساندي مرر في هاي هولبورن حيث وقعت مواجهة غريبة.

اذ ترأس توني فروست رئيس سوستر وأحد محرري الأخبار تحقيقا «حين قدم الينا أول مرة قبل الأسبوع الذي كان يطالب فيه بـ ٢٠٠ ألف جنيه وبدأنا نبحث فيما اذا كانت قصته تقف على قدمين ثابتتين قال انه نسخ الصور الفوتغرافية وتلقى ضمانا من الساندي تايمز بمبلغ ٢٥ ألف جنيه اذا ما اتضح بعد ذلك أن القصة حقيقية. وفي خلال ثلاثة أيام هبطت مطالبه بشكل درامي مثير من ٢٠٠ ألف جنيه الى ٢٥ ألف دولار لأنه حانق على الساندي تايمز بشدة وأن هذا هو دافعه في التراجع. فيما بعد تم الاتفاق على ٥٠٠٠ دولار.

قمنا باستفسارات لا حصر لها من خلال شبكتنا الدولية الجيدة للغاية من الاتصالات البوليسية واكتشفنا أنه كان قد ذهب الى صحيفة برتغالية ليبيع سلسلة تقطع نياط القلوب من الصور لمذبحة في ايست تيمور. وكانت الصور في الواقع يعاد تداولها عن حرب فييتنام. وأخبرتنا الصحيفة بألفاظ مؤكدة بأن نكون على درجة عالية من الحذر من ميستر جيريرو لذا واجهناه واتهمناه بأنه كاذب وغشاش. فحاول الهرب من مكتبنا ممسكا بحقيبة أوراقه وحاولنا في هذه المرحلة منعه من الذهاب.» وبدأ عراك عنيف في مكتب فروست حيث كان يحاول جيريرو أن يتشبث بحقيبة أوراقه بينما كان الصحفيون يحاولون استخلاصها من قبضته. ويتذكر فروست بقليل من الأسف «أثناء الهرج والمرج الذي تلا ذلك مزق جيريرو حلته التي حاكها مصممها الايطالي في مقبض الباب فتضايق كثيرا من أجلها.» وظنت الساندي مرر بالطبع أن الأمر كان باعثا على الضحك الشديد؛ اذ لم يكن هناك أي شخص يحب جيريرو وكان يستحق

ما حدث له حتى يفيق.

حسب رأي فروست كان الكلومبي يحاول صرف الساندي تايمز عن الهدف من قبيل الانتقام فحسب بعد أن سلم بأن الساندي تايمز ليست جديرة بالثقة مثله غير أن صحفيين آخرين في الساندي مرر لم يكونوا على هذه الدرجة من اليقين.

بعد ذلك بدأوا يعتقدون أن جيريرو قد تمت رشوته أو تهديده حتى يأخذ القصة اليهم وأن صحيفتهم ضالعة، في عملية افساد، للاقلال من قيمة أي شيء قد تنشره الساندي تايمز اذ أن الساندي مرر في نهاية الأمر كان يملكها روبيرت ماكسويل الذي أحيا من جديد عواطفه الصهيونية.

وبعد أن شق جيريرو طريقه بالقوة وخرج يجري من مكتب فروست بدأت الصحيفة تخطط لفضح الكلومبي متهمة أياه بأنه محتال وملقية الشك على شاهده الأستاذ فعنونو. فاندفع جيريرو في حالة من الذعر الى أحد التليفونات كي يتصل بالذين كان يقوم بخيانتهم - الساندي تايمز. تلقى روبين مورجان المكالمة. لم يعد المتحدث هو جيريرو المتهور الذي كان يتحدث قبل ذلك بأسبوع مطالبا بسحب قصة فعنونو «كانت الدموع في عينيه يرجوني أن أسامحه ثم أباح بالتعاملات التي قام بها أخيرا وقال لي انه اتصل بالفعل بصحيفة أخرى هي الساندي مرر عارضا قصته. وقال ان الساندي مرر ذهبوا الى السفارة الاسرائيلية كي يتأكدوا من قصته وأخذوا مجموعة الصور التي أخذها بنفسه من فعنونو دون اذنه وانهم كانوا على وشك نشر مقال طويل زاعمين أنه هو وفعنونو يعملان في الطاقة النووية.»

«وقال انه كان قد أعطى الساندي مرر نسخة من صورة لفعنونو التقطها الصحفي بيتر هونام عزمت الصحيفة على نشرها. واعتذر عن حماقته اذ فعل ذلك. ثم سأل عما اذا كانت الساندي تايمز ما زالت مستعدة لأن تدفع له الثمن فشرحت له أنه في رأينا قد خرق اتفاقا كان

بيننا وأنه بجشعه وحماقته جازف بفعنونو. كما قلت اننا بالفعل أنفقنا مالا كثيرا في تسديد نفقاته والقيام بأبحاث عن القصة.

وقلت له أن تصرفه عرض كل شيء للخطر وأني بقدر ما يتعلق الأمر بي لتس أرى أن لديه الحق في أن يطالبنا بأي شيء. فاعتذر مرة أخرى ووافق على أنه أساء التصرف ويستحق ما ناله. وأخبرني أنه عائد الى أستراليا زعم أنه في تلك اللحظة في مطار هيثرو وسألني عما اذا كانت الصحيفة بالرغم من سلوكه يمكن أن تنظر في دفع تذكرة سفره كصنيع حسن. فقلت لا.»

في يوم الأحد ٢٨ سبتمبر وعبر الصفحتين الموجودتين في منتصف صحيفة الساندي مرر ظهرت قصة مثيرة تحت عنوان رئيس «قصة اسرائيل الغريبة وأحد العاملين في الطاقة النووية» وعنوان فرعي يقول «تحايل وخوف بعد الكشف عن القنبلة النيوترونية» وكانت صورتان من الصور التي التقطها فعنونو لديمونة منشورتين في مكان بارز وأربع من مجموعة جيريرو تصوره مع شخصيات عالمية واللقطة التي أخذتها للكولومبي مع فعنونو على أحد الشواطئ في أستراليا وأعطيتها لجيريرو قبل أن أتجه الى لندن. تم تجميع الفقرات الأولى القليلة بشكل ماكر اذ تلعن جيريرو غير أنها تترك الباب مواربا في ما يتعلق بأن بعضا من قصته ربما يكون في الواقع حقيقيا. اذ بدأ المقال هكذا «لقد قدم للساندي مرر ادعاء مدهشا بأن اسرائيل قامت ببناء قنابلها النيوترونية الأولى.» «القنبلة هي أكثر الأسلحة فتكا في العالم – اذ يمكنها القضاء على البشر عن طريق جرعة كبيرة من الاشعاع بينما تدع المباني على حالها دون أن تمس.»

«اذا كان هذا الادعاء حقيقيا فمن شأنه أن يزيد من تردي الوضع في الشرق الأوسط المتوتر أصلا حيث نشبت الأزمة على الحدود الاسرائيلية اللبنانية مرة أخرى هذا الأسبوع.» قدم هذا الادعاء لنا في لندن بواسطة أوسكر ادموندو جيريرو البالغ من العمر ٣١ سنة وهو صحفي من أمريكا

الجنوبية يجوب العالم وزعم أنه يتمتع بصلات بالعديد من الشخصيات العالمية بما في ذلك مسؤول تم اغتياله وهو ينتمي الى منظمة التحرير الفلسطينية.

«لكن بعد فحص الأدلة التي قدمها جيريرو أثبتت الساندي مرر وجود شكوك جادة خطيرة في صحتها. اذ اكتشفنا أنّ جيريرو كان قد قبض عليه لما زعم بارتكابه الخداع والسرقة. ان من أدلى له بالمعلومات أبعد عن أن يكون عالما في الطبيعة النووية وانما هو لا يعدو أن يكون مجرد فني نووي صغير» وصور المصنع الذي يقول ان الاسرائيليين أنتجوا فيه خمس قنابل نووية يمكن التقاطها بسهولة في مصنع تفريخ، طبقا لما يقوله خبير نووي مستقل قام بفحص هذه الصور.

«هكذا يمكن أن تكون قصة جيريرو زائفة أو ربما تكون شيئا أكثر شرا – كأن تكون مؤامرة للاساءة لاسرائيل يقوم هو فيها بدور عميل يقدم معلومات مغلوطة.»

وكان معنى صورة فعنونو التي وصفه فيها تعليق الساندي مرر بأنه، مصدر المعلومات، كان معناها أنه معرض لخطر التعرف عليه في فندق الماونتباتن بواسطة أناس من الساندي تايمز ليسوا متورطين في القصة أو حتى حين يخرج الى الشارع. وهكذا يكون جيريرو قد قام بأسوأ ما يمكن القيام به.

في مساء الجمعة ٢٦ سبتمبر ذهب براجنيل وروجر الى فندق ماونتباتن. وبعد أن فهموا من مكالمة جيريرو أن الساندي مرر من المحتمل أن تمسح الشوارع بحثا قاما بتحذير مورد بأن يلزم المزيد من الحرص وأخبراه بأن صحيفتهما تعتقد أنه يجب وضعه تحت رقابة أوثق. وكان قد تقرر عدم اقلاقه مما يمكن أن تكشفه الصحف الشعبية الأخرى في حالة عدم حدوث ذلك. على أي حال كانا يحملان خبرا سيئا آخر. اذ تقرر عدم نشر قصته في نهاية الأسبوع ذاك لأن رئيس التحرير عاد من زيارة الى الولايات المتحدة في اليوم السابق ويريد اجراء المزيد من

التحقق. وقال براجنيل كان قد تقرر أنه لذلك سيعود الى اسرائيل.

فاستشاط فعنونو غضبا وهو يشكو بمرارة من أنه لا فائدة تُرجى من اجراء المزيد من البحث في اسرائيل. وقال «لقد أعطيتكم كل شيء ولقد توفر لكم الكثير من الوقت للتحقق. ولا أعتقد أن صحيفتكم تصدقني.» كما قال انه قلق بشأن سلامته اذا ما أنفق المزيد من الوقت قبل النشر ولكنه أصبح مستثارا أكثر بسبب وضعه تحت المراقبة لمدة أربع وعشرين ساعة. فاستخلص براجنيل أنه كان يأمل في أن يغري سيندي بالذهاب معه الى الفراش في تلك الليلة.

ولأول مرة قال مورد انه قد يغادر لندن لبعض الوقت وهي فكرة لا بد وأن سيندي هذه هي التي بذرتها في نفسه. اذ قال «أود الذهاب بعيدا ربما الى أوربا أو الى الريف أو الى يورك لقد قرأت عن أحد الأديرة وأنا مهتم بالمسيحية.» فقال ويلشر انه لا بد أن يناقش هذه الفكرة مع روبين مورجان رئيسه غير أنه تطوع بالقول بأنها فكرة سيئة من الناحية الأمنية. فرد فعنونو بأنه سوف يعود قبل نهاية الأسبوع التالي حتى يمكن تصفية أي تساؤلات أخرى.

في حوالي الثامنة مساء ذهب براجنيل وويلشر وفعنونو الى تور ثيسل لأخذ ملابس قد تركها فعنونو للتنظيف هناك. وأعاده براجنيل بالسيارة الى ماونتباتن عن طريق مكتب الساندي تايمز ومن هناك أجرى براجنيل اتصالا تليفونيا مختصرا تاركا فعنونو، هو ومسؤوليته في السيارة في خارج البوابات لبضع دقائق. وافترقا كصديقين كما أعطى براجنيل فعنونو ١٠٠ جنيه كي ينفق منها. ومن غير المعروف ما اذا كان قد التقى بسيندي.

في وقت متأخر من هذا المساء يبدو أنه كان وحيدا في حجرته حين اتصل بويندي روبينز، كان في حالة مزاجية سيئة لأنه قال ان الصحيفة تلهو به. اذ أنهم أقسموا بأن القصة سوف تنشر هذا الأسبوع ثم قالوا له الآن انهم لا يستطيعون فعل ذلك. وقالوا ان رئيس التحرير عاد من نيو يورك لمزيد من التحقق من القصة حيث قال انه في حاجة الى المزيد من الوقت للاستيثاق من التفاصيل.

«وقال مورد انه لا يستطيع فهم السبب اذا كان هذا المحرر صحفي تحت التدريب وان فريق الاستقصاء قد قاموا بواجبهم على ما يرام فسيستغرق الأمر من أندرو نيل ليلة الخميس وطوال نهار الجمعة وليل الجمعة ويوم السبت للتمحيص في عمل تم بحثه بحثا دقيقا. واستنتج مورد أن المحرر لا يريد نشر القصة لأن له العديد من الأصدقاء الاسرائيليين وفكر في حجب القصة حتى يفوت أوان نشرها.

وقال انه يريد أن يذهب ربما الى أوربا أو يورك. كما قال ان ماكس براجنيل أغضبه غضبا شديدا لأنه يحدد المواعيد للقاء مورد ويأتي متأخرا. ويعتقد أن ماكس كان يرقد في فراشه مستغرقا في ثبات عميق. وقال انه طلب من ماكس المزيد من النقود فقال ماكس لا. وقال انه يحس بالملل والخوف كما انه غير راض عن الطريقة التي تسير بها الأمور. وظل يقول انه يفكر في الذهاب الى مكان ما غير أنه لا يدري الى أين.» وقالت روبينز ان مورد كان متضايقا من أنه قضى أوقاتاً طويلة في فندقه وفي مكتب الساندي تايمز حين «لم يتحدث اليه أحد.»

من الواضح تماما من الأحداث التي أدت الى يوم السبت ٢٧ سبتمبر أن فعنونو كان خائب الرجاء وكان يشعر بأنه مهمل - وهي ظروف مثالية تمكن سيندي من استغلال ما يحس به من قلق وتوتر وتقنعه بالاختفاء. لقد جادلت الساندي تايمز بأنه قد أولي قدرا أكبر بكثير من الاهتمام مما يمنح لأي مخبر آخر وخلال كل تلك الفترة كان فريق الاستقصاء يعمل بكل حرص للتأكد من تجنب مجازفة تجرع مذاق السخرية الذي تلقته الصحيفة منذ عامين بسبب يوميات هيتلر الزائفة. ومع ذلك لا بد أن أجراس الانذار في وابينج كان يجب أن تدق لدى حديث فعنونو الغامض عن، الذهاب بعيدا، وبالطبع لدى اتصاله المكشوف بسيندي الأمران اللذان سمعت عنهما في يوم الاثنين التالي. من السهل القول بأن مورد كان أحمقا وكان على وشك السير الى جحيم من صنعه هو.

لقد كان وحده غير متمالك لزمام أمره وفي رعاية صحفيين مهنيين يدينون

بقدر كبير من المسؤولية عما كان سوف يقع وأنا واحد منهم. في يوم السبت كانت فكرة الرقابة لمدة أربع وعشرين ساعة قد تم التخلي عنها. وفي المساء كان من المقرر أن يذهب الى الأوبرا مع ترينا تالبوت وهي سكرتيرة لمحرر الموضوعات الخاصة ولكن بسبب مزيد من البلبلة مما فاقم من غضب مورد لم تحجز التذاكر وذهبت هي للقائه في الفندق. عند اللقاء مال الى الأمام كي يقبلها قبلة عميقة على خدها غير أنها استدارت بعيدا. وقالت بعد ذلك «كان من الواضح أنه يشعر بالوحدة. أتمنى لو لم أكن قد صددته. اذ كاد يطير صوابه من فرط الملل ذلك أن كل ما كان يفعله هو البقاء في الفندق كل يوم.»

وقالت تالبوت ان فعنونو كان يتناول القليل من الطعام كما كان التحاور معه صعبا اذ أنه كان عصبيا. وبدا «منسحبا ومكتئبا ومتعبا وسريع الغضب.»

وحين استقلت سيارة الأجرة كي تذهب الى منزلها تقدم مرة أخرى كي يقبلها على خدها ومرة أخرى نحّت وجهها.

لا يعرف سوى القليل عما حدث قبل ذلك في ذلك اليوم ولكن في صباح الأحد ذهب براجنيل الى الفندق في الحادية عشرة صباحا ليجده مسترخيا. ولم يذكر له براجنيل أي شيء عن مقالة الساندي مرر التي ملأت الشوارع في ذلك الصباح وحين اقترحوا عليه أن ينتقل الى فندق آخر من قبيل الاحتياط الأمني استشاط فعنونو غضبا. وصاح باندفاع ليس من طبعه «اللعنة» ذلك أن بقاءه في فندق الماونتباتن كان الطريقة الوحيدة التي تمكن سيندي من العثور عليه – أو هكذا كان يعتقد.

ذهب الاثنان الى مطعم تتون في شارع رسل بحي كوفنت جاردن وقرب المساء اشترى براجنيل لمورد بعض كتب النحو الانجليزي من أحد المحال في بيكاديلي. وحرص على ابعاد فعنونو عن أكشاك بيع الصحف حيث يمكن أن يرى القصة التي نشرتها الساندي مرر وتركه في فندق ماونتباتن في الخامسة مساء.

من قبيل المصادفة وبعد ذلك بساعتين رآه ديفيد كونيت أحد صحفيّي الساندي تايمز يسير في ميدان ليسيستر في صحبة امرأة شقراء تتطابق

أوصافها مع المرأة التي رآها براجنيل خارج قاعة تيت الفرق الوحيد هو أنها كانت ترتدي أنوراك رمادياً داكناً أو أزرق داكناً - معطف ثقيل يصنع من الفراء للتزلج عادة ما يرتديه أهل القطب الشمالي وتعلوه قلنسوة، معجم المورد - وكانا يتجولان خارج سينيما أي بي سي فتبعهما كونيت لفترة قصيرة. وشرح ما حدث بعد ذلك قائلاً «لم أكن من بين من يعملون في اعداد هذه القصة غير أني كنت قد رأيت فعنونو في المكتب وكنت أعرف تقريبا عما تدور قصته. وأدهشني أن أراه في صحبة امرأة دون مرافقة أي أحد من الساندي تايمز. تبعتهما كي ألقي نظرة متمعنة في المرأة. وبدا أنهما متآلفان تماما غير أني لم أتحدث اليهما كما لم يلاحظاني.»

في الصباح التالي الاثنين بدؤوا في الصحيفة ينظرون الى علاقة فعنونو بسيندي واستيائه من الساندي تايمز أخيرا بشكل جاد. فأحضره براجنيل الى مكاتب الساندي تايمز في الحادية عشرة صباحا حيث تحدث مع روبين مورجان. وقال انه «قد سئم» من التركيز عليه ويعتقد أنه يستطيع حماية نفسه على نحو أفضل دون تدخل من أحد بحيث لا توجد أي فرصة في أن «تقود الساندي تايمز أعداءه اليه.» وقال انه يريد أن يذهب «الى أوربا» فاقترح مورجان بعد أن واجهه بهذا الأمر الواقع رحلة بالأتوبيس تنظمها شركة والاس أرنولد حول سكوتلاندة كانت هذه هي فكرة رئيس التحرير مع الاقامة في دور الضيافة وهو ما قد يكون أكثر أمنا وأقرب الى عدم التعرف على اسمه. ذلك أن الفنادق وشركات تأجير السيارات ستطلب منه اظهار جواز سفره فحذره من ذلك.

ثم جاء فعنونو الى مكتبي للدخول في دردشة طويلة وأخبرني أنه التقى بسيندي عدة مرات. وقال انها أمريكية و«لطيفة جدا.» وأضافة انها يهودية ولكنه متأكد من انها لا تشكل أي خطر عليه. «فهي مجرد سائحة ولديها انتقاد على أسرائيل. أظن أنك سوف تعجب بها.»

لقد أغضبني أن فعنونو ظل لعدة أيام يلتقي بهذه المرأة بعلم صحفيي فريق الاستقصاء والبحث ومع ذلك لا يبدو أن أحدا داخله ظل من الشك. وكان

الاستثناء الوحيد هو كونيت الذي دق جرس الانذار على الفور بعد أن كان قد تجسس عليها في الليلة السابقة. فقلت لفعنونو «هذه المرأة يا مورد ربما تكون كاذبة. وربما تكون من زرع الموساد.» فامتقع وجه فعنونو لهذا الايحاء وكان جازما بأنها لا تشكل أي خطر. وقال «انها أمريكية يا بيتر وأنا الذي توجهت اليها وطلبت منها أن نحتسي القهوة. فأرجوك لا تقلق. لن أقوم بأي شيء خطر ولن أخبرها بأي شيء.»

لم تكن طمأنته لي مقنعة فاقترحت أن يحضر صديقته الجديدة الى بيتي في حي كاوتش في تلك الليلة لتناول العشاء مع زوجتي ليز. كنت أريد أن أتحقق من سيندي بشكل مباشر دون أن أجعل من الأمر قضية كبيرة. فقال فعنونو انه لا يستطيع اذ أنهما مرتبطان بارتباط آخر غير أنه بدا حريصا على الاتفاق على موعد آخر في المساء التالي واتفقنا على الوقت. تحدثنا عن القصة الصحفية وفحصنا رسما تفصيليا عن ماخون ٢ مع الطوابق تحت الأرضية المختلفة وسألته عن مقالة الساندي مرر وعما شعر به. اذ كان من الواضح أنه كان في ذلك الوقت قد رأى الصحيفة غير أنه لم يبد منزعجا من الدعاية. وألقى بنكتة عن جيريرو وحماقته غير أنه وافق على أن نشر صورته بملايين النسخ قد جعل منه رجلا تسهل الاشارة اليه. «لهذا السبب يا بيتر أفكر في الابتعاد لبضعة أيام. لقد دأبت على القول للناس بأنهم يمكنهم الثقة بي. فلسوف أعود للمساعدة قبل أن تنشر القصة لا تقلق.»

لم يذكر فعنونو لي شيئا عن الذهاب الى الخارج غير أنه أشار الى أنه قد يذهب الى شمال انجلترا. ومع ما في هذا الكلام مما لا يبعث على الرضا كان علي قبول قراره. كانت الادارة القانونية في الساندي تايمز قد أعدت عقدا لاستعمال حقوق نشر قصته دون ذكر دفع أي مبالغ مباشرة على ما أدلى به من معلومات ولكن مع وعد بدفع مبلغ ضخم من النشر وحقوق الكتاب.

وكان من الممكن أن يتلقى جيريرو مبالغ من هذا العقد لولا أنه ألغى الصفقة التي أبرمتها معه. عموما بسبب مرات تأخير عديدة أضافت الى عدم ارتياح فعنونو لم يوقع رئيس التحرير العقد أبدا. فلم يكن لنا عليه حكم قانوني أو

أخلاقي لذا كان مطلق السراح في أن يفعل ما يحلو له حتى وان كان ما يفعله محض حماقة.

غادر المكتب في الثالثة والنصف مساء لشراء ملابس ومعه مائة جنيه أخرى على سبيل النفقات. وفي وقت مبكر من المساء اتصل بالمكتب مرة أخرى كي يقول ان خططه للرحيل قد وضعت وانه لن يغير رأيه. فاتصلوا بي في المنزل وطلبوا مني الاتصال به فورا وأن أقوم بمحاولة أخيرة لاقناعه بالبقاء. وللمرة الأولى كان لا بد من اخباري أين يقيم، سرا، - في فندق الماونتباتن ولكن مما يدعو للاحباط أنه كان في الخارج طيلة المساء ولم يعد الا في الحادية عشرة والنصف ليلا. حين تحدث الي فعنونو أخيرا كان مرة أخرى متضايقا غير أنه اعتذر بلياقة بأنه هو وسيندي لن يستطيعا تناول العشاء مع أسرتي في الليلة التالية لأنه «ذاهب خارج المدينة.» وفشلت كل الجهود لاثنائه عما اعتزم عليه. اذ قال انه ينوي أن يعود بعد ذلك بثلاثة أيام للتوقيع على العقد مع الساندي تايمز. فطلبت منه أن يعد بالاتصال بي تليفونيا ثلاث مرات يوميا أثناء تلك الفترة في المكتب أو في بيتي.

في الصباح اتصل مورد بمكتب الساندي تايمز في الحادية عشرة وطلب من ترينا تالبوت بأن تضعه على الخط مع أندرو نيل أو روبين مورجان غير أن كليهما كان خارج الصحيفة فأخذت المكالمة ولم تكن سوى تكرار لمحادثة الليلة السابقة. وقال انه سوف يتصل مرتين يوميا ويعود يوم الخميس. وكان هذا هو آخر اتصال كان له مع أي أحد من الساندي تايمز. اذ حزم حقائبه وغادر الفندق في الصباح التالي واختفى.

أثناء الأيام التي تلت ذلك طرت الى الولايات المتحدة كي أعرض الصور والمعلومات على د. ثيودور تيلر وهو خبير شهير في الأسلحة النووية كما أنه مصمم للأسلحة الانشطارية المصغرة ومحرك ذري لاطلاق احدى سفن الفضاء الى الكواكب الأخرى. وكان تيلر يرى أن ما تم الكشف عنه على درجة عالية من الأهمية مشيرا الى اسرائيل على أنها متقدمة بأكثر مما توقع أي أحد. كان هناك الكثير مما يستوجب التفكير والتحليل ولكن في يوم الأربعاء نبهت

الى أن فعنونو لم يجر اتصالا تليفونيا واحدا.

عدت الى لندن يوم الجمعة وكانت القصة حينها جاهزة للنشر غير أن فريق الاستقصاء والبحث كان في حالة من الهياج. اذ أن شاهدنا الرئيس لا يوجد له أي أثر كما لم ترد أية مكالمات تليفونية للمكتب أو الى زوجتي ليز في المنزل. فخمن مورجان باستخفاف أنه قد ذهب الى أمستردام وأنه يقضي وقتا أجمل من أن يجعله يعود. ولكن أندرو كان يواجه محنة حادة - وهي هل يفجر القصة يوم الأحد القادم أم يؤجلها مرة أخرى.

وبالرغم من اختفاء فعنونو فان بعض الشكوك العالقة بالقصة وجدت جوابا عليها. فبينما اعتقدت الساندي مرر أن بيان السفارة الاسرائيلية بأن فعنونو ليس عالما نوويا وانما هو فني يعد، دليلا، على الاحتيال فان هذا البيان نفسه كان مفيدا لنا. ذلك أن وظيفة فني هي على وجه الدقة ما دأب فعنونو على ادعائه. والأهم من ذلك أن معلومات حيوية وصلت من اسرائيل بأن شيمون بيرس جمع لجنة المحررين التي تضم الصحف الوطنية الكبرى وحذرهم بأن قصة كبرى سوف تتفجر في الساندي تايمز. وكان المفهوم أنه ما أن تعلم الصحف بأن اكتشافا كبيرا على وشك الانتشار فان الصحف سوف تقلل من أهميته.

وأبلغهم بصرامة أن يتعاونوا من أجل المصلحة القومية. وكانت مناقشة سرية ولكن كما هو الحال في مثل هذه الاجتماعات التي يشترك فيها صحفيون من المحتم تسربها وهذا هو ما حدث - وعادت الى الساندي تايمز.

في أحد اجتماعات كبار المسؤولين في الصحيفة وأعضاء فريق الاستقصاء مساء الجمعة عرض نيل الأخطار المترتبة على الاستمرار بدون فعنونو. فاذا لم نستطع اظهاره في مؤتمر صحفي يمكن القاء المزيد من التساؤلات عن صحة شهادته بكل سهولة ويسر. وعبر الكثيرون من رؤساء الادارة عن الرأي القائل بأن في هذا مجازفة أكبر مما ينبغي غير أني جادلت بأنه قد تم البحث والتحقق من كل ناحية وأن المعلومات الفنية قد تم فحصها مع الخبراء على جانبي الأطلنطي. كما أن الصور الفتغرافية التي التقطها فعنونو سوف تكون مقنعة حتى بدون وجوده كذلك فان المزيد من التأخير لن

يضيف الى مستوى ما نحن عليه من يقين. كذلك أشرت بأنه اذا كان فعنونو قد تم اختطافه وهو أمر ممكن فهذا يزيد من احتمال كونه مطلق صفارة الانذار الحقيقي. والدليل على أننا مقبلون على عمل كبير هو أن بيرس حاول فرض الرقابة على القصة مقدما. والا فلماذا اذن دعا الى اجتماع خاص وأبدى مثل هذا القلق من أمور وشيكة الانكشاف، لم تكن وجهة نظري راجحة في كفة الميزان أمام الرأي السائد. فمن بين عشرين من كبار الأعضاء المجتمعين في مكتب نيل لم ينصح نيل بالاقدام على المجازفة سوى اثنين. ظل البعض في صمت وسكينة. والبعض الآخر من الذين لم يشاركوا في عملية التحقق ولم تكن لهم مصلحة والذين حتى لم يتحدثوا الى فعنونو نظروا اليه باعتباره دجالا. من الواضح أن البعض كانت لهم وجهات نظر صادقة غير أن لعب سياسة المكاتب كان فنا جميلا في وابينج. اذ كان يستتبع ذلك الصراع من أجل منصب أفضل في البناء الهرمي للصحيفة وبالنسبة للآخرين كانت محاولة اعادة التخمين فيما يمكن أن يراه رئيس التحرير وترديد وجهة نظر مشابهة بشكل ببغاوي. اذ يعتقدون بأنهم سوف يكسبون نقاطاً اضافية عن طريق جعله مفرطاً في الحذر. في النهاية أوقف نيل واحدا من أشد مؤتمرات أسرة التحرير. وأعلن قائلا «سوف ننشرها. وابدأوا في اعداد الصفحات.» واستدار اليّ مغمغما «ان قتل القصة هو الاختيار السهل. يستحسن أن تكون على صواب.»

الاختطاف

كما اتضح فيما بعد بشكل مأساوي رفض فعنونو نصيحة روبين مورجان بأن يحجز تذكرة لرحلة بالأتوبيس الى سكوتلاندة أو يلحق بالقطار ليسافر الى يورك كي يشاهد الدير الشهير كما كان ينوي في البداية. فبفضل سيندي اتجه رأسا بعيدا عن مكمن الخطر - الى ايطاليا. وكذلك بفضل ما تلقته من تدريب وبفضل المعلومات التفصيلية التي أعطيت لها والسهولة التي يمكن بها خداع فعنونو وعملية، مجالسة الأطفال، المتراخية التي قام بها صحفيو الساندي تايمز ان شئنا الصدق بفضل هذا كله رحل بهدوء دون أن يعلم أي شخص في الصحيفة شيئا عن وجهته.

لقد وضعت الموساد فخا من العسل بنعومة ودقة كما كان هناك فريق للمساندة يتوقع كل حركة محتملة أو غير محتملة. لم نكن نعرف أي شيء تقريبا عن سيندي نفسها بأستثناء استقصائين قصيرين - اسمها الحقيقي وعنوانها - بل وجنسيتها. اذ أنها تركت رسالتين في فندق ماونتباتن تقول في احداهما لفعنونو في حجرة ١٠٥ انها اتصلت به للمرة الثانية في الخامسة مساء قبل رحيلهما قائلة: اني في انتظاره كما سبق ذكره لقد قمنا بترتيب اللقاء.

أرجو الافادة. «ميستر جونسون» ولم يكن هناك أي شخص قادر على تفسير الاشارة الى ميستر جونسون ولكنه قد يكون ببساطة هو الشخص الذي أعاد بث الرسالة. على أية حال حين بدأت عملية بحث عنها استغرقت عاما لتعقبها لم يكن هناك سوى النزر اليسير من المعلومات التي يمكنني الاعتماد عليها.

في يوم الأحد ٢٨ سبتمبر قدر لنا فيما بعد أن نجد أن المرأة كانت قد حجزت تذكرة سفر في الدرجة السياحية الى روما وأخذت تلح على مورد بأن

يصحبها. ولا بد أنها ضغطت عليه بأن يتخذ قرارا ما بين الأحد والاثنين.

ولا بد أنها استفادت كثيرا من غضب مورد من الساندي تايمز وكذلك من المقالة، الخطرة، التي ظهرت كصدفة سعيدة جدا للموساد في الساندي مرر.

وأخبرته بأنها لا تستطيع أن تحس بأي عاطفة نحوه في الوقت الذي يحس فيه بالتوتر والقلق من أن يصبح مطلق صفارة الانذار. كما قالت كاذبة ان لديها شقة في أطراف روما وهناك سوف تترعرع العلاقة. أما في هذا الوقت فان الجنس ليس مطروحا. في احدى المراحل وهما في لندن حاول فعنونو أن يعانقها عناقا حارا. وبينما كان ذراعه الأيمن يمسك بها أحس بشيء كبير تحت ذراعها داخل ملابسها. وفي برهة خاطفة - كل شيء كان خاطفا - خطر على ذهنه أن هذا يثير الشك. فيما بعد وهو يحاول قتل الساعات الطويلة التي يقضيها في الزنزانة فكر في أن هذا الشيء قد يكون جهاز ارسال واستقبال خفي أو جهاز تسجيل. ذلك أن كل حركة كان يتم مراقبتها وفشل بكل حماقة في أن يضع عينيه على أي علامة تدل على أنها مخبرة. وفي النهاية خرجت سيندي يوم الثلاثاء واشترت تذكرة بمبلغ ٤٢٦ جنيها على درجة رجال الأعمال على طائرة الخطوط الجوية البريطانية للرحلة من مكتب توماس كوك في بيركلي فيما بعد وذلك كي تجعل اتخاذ القرار أمرا أكثر سهولة. ولا بد أنه كان يشعر بالشك في أن السفر في ما كان بالنسبة له ترفاً غير معهود قد دفعت ثمنه - ربما بشكل مؤقت - شخصية لم يلتق بها سوى ثلاث أو أربع مرات. وبالطبع ابتلع الطعم وقابلها وأخذا سيارة أجرة الى مطار هيثرو وجلسا معا في الصف السادس في درجة رجال الأعمال وطارا في ذلك المساء في الرحلة ٥٠٤.

تم التغرير بفعنونو حتى خرج من بريطانية تجنبا لأي احراج سياسي لصديقة بيرس العزيزة مارجريت ثاتشر كما أمر. ولا شك في أن الحظ كان له دور غير أن اقناعه بأن يذهب بمحض اختياره كان عملا ذكيا. ذلك أن المرحلة الثانية من العملية - الاختطاف - ستكون أكثر سهولة نتيجة لذلك.

ان ما حدث حين وصل فعنونو الى روما ظل لغزا لفترة طويلة. من أن لآخر تسربت شذرات من المعلومات من قبل أولئك الذين كانوا على صلة وثيقة

بالقضية، أي عائلته والأمن الاسرائيلي. اذ تم حظر مناقشة تفاصيل اختطافه أثناء محاكمته بالخيانة بسبب الحرج الدبلوماسي الذي قد يتسبب فيه أي تصريح علني كما أن القضاة الذين استمعوا الى قضيته ونداءاته الكثيرة لا يعرفون سوى القليل عما حدث في ايطاليا. لذا فان القصص التي نشرت حتى الآن كانت ناقصة ومتناقضة في غالب الأحيان.

لقد قيل انه أخرج بواسطة طائرة بضائع في احدى الحاويات الكبيرة مثل ما حدث مع عمر ديكو. وزعم أحد التقارير نقلا عن مصدر عليم أنه قد تم تهريبه في أحد اللانشات السفن الكبيرة في ميناء فوميتشينو بالقرب من روما ومن هناك أخذ الى سفينة لجمع المعلومات الاستخبارية. وفي هذه القصة ظل من الحقيقة. ذلك أن التحقيق الاسرائيلي الرسمي كما سوف نناقش فيما بعد انتهى الى أن فعنونو كان شريكا بمحض ارادته وعاد الى اسرائيل سرا كبطل.

وجادل مأمور الشرطة دومينيكو سيكا الذي كان يحقق في القضية في شطحة من شطحات الخيال بأنه كان فقط يدعي أنه خائن بعد أن أدى واجبه نحو بلاده – وذلك عن طريق تدبير تسرب للمعلومات لتقديم تحذير يمكن انكاره لأعداء اسرائيل من العرب.

ان ما حدث بالفعل يعد شهادة أخرى على التخطيط الدقيق للعملية وعلى الحرص الذي اتبع للتأكد من الاقلال من المشاكل الدبلوماسية الى أدنى حد. اذ انهم حسبوا أن الجميع سوف يتوقع أن سجينهم سيتم تهريبه الى خارج البلاد عن طريق البحر من روما مباشرة. على أية حال كما وصفنا بالمزيد من التفصيل فيما بعد أخذ الى مسافة العديد من الأميال الى الشمال لموعد مع سفينة بضائع صدئه ترسو بعيدا عن الشاطئ باثني عشر ميلا.

ولابعاد الناس عن اشتمام رائحة ما يجري شنت حملة معلومات مضللة تشتمل على بعض العناصر الحقيقية كي يجعلوا القصة تبدو مقبولة. فبعد خداع فعنونو واقناعه بالسفر الى روما بثلاث أسابيع أعلنت النيوز ويك الصحيفة الأمريكية بقوة أنه عاد الى اسرائيل وتم التحفظ عليه لمدة ١٥ يوما أغرته هناك «صديقة» كما أضافت النيوزويك حتى تمكنت من «اقناعه» بركوب

أحد اليخوت وما أن أصبح في المياه الدولية حتى قبض عليه طاقم من عملاء الموساد الذين أعادوه الى اسرائيل.

لقد انطوى هذا الكلام على أنه لم ترتكب مخالفة ضد قوانين أي دولة أوربية. وواقع الأمر أن فعنونو قبض عليه في خلال ساعتين من هبوطه على التراب الايطالي خرقا للقانون الايطالي وللقانون الدولي. وهذه الحقيقة وحدها تعني أن آمال فعنونو في أن يطلق صراحه من زنزانة عسقلان كانت آمالا واهية حتى هذا اليوم. ذلك أن اسرائيل كانت تتحاشى ضجة من المحتم حدوثها حين يكون مطلق السراح ليطالب بتعويض قانوني.

لا بد أن مورد شعر بالاثارة حين نزل في ميناء فوميتشينو بروما يوم الثلاثاء ذاك. هبطت الطائرة في السادسة وثمان وعشرين دقيقة متأخرة بضع دقائق عن موعدها وبعد أن جمع أمتعته هو وسيندي عبرا قاعة المسافرين كي تستقبلهما احدى صديقات شقيقة سيندي. ويتذكر فعنونو أنه شعر بألم آخر سببه التوجس وهم ينطلقون الى أطراف روما. اذ بدا على سيندي تشتت الذهن. فالأمر العادي وهي على هذه الدرجة من الانتباه أنها ظلت تنظر حولها وهي تصغي الى ما كان يقول. فطرأ على ذهنه أنه ربما يتجه الى شرك الا أنه لم يفعل شيئا كي يمنع ذلك. ربما كانت الأمور سواء بالنسبة له. فلو أنه حاول الفرار في تلك المرحلة لكان من المحتمل أن يتم التخلص منه بسرعة الى الأبد.

توقفت السيارة عند كتلة من الشقق السكنية وصعد هو وسيندي التي كانت تبدو عصبية وتدفع به دفعا صعدا مجموعة من درجات السلم. ودقا جرس احدى الشقق ففتحت الباب امرأة ذات شعر داكن؛ فافترض فعنونو أنها شقيقة سيندي. وأشارت له بالدخول ثم وفي جزء من الثانية أدرك حماقته.

اندفع اليه رجلان فجأة وضرباه بقوة فتهاوى على الأرض. وبعد أن كفأه ووجهه الى أسفل ومعدته لصيقة بالأرض قيدا ذراعيه وساقيه معا بمهارة بالسلاسل بحيث صار بلا حراك. ويمكن تخيل أفكاره مع تدفق الأدرينالين. الشعور بالذعر من أنه قد تم خداعه بكل هذه السهولة. كذلك الشعور بعدم التصديق من أنه رغم علمه بالطبيعة المثيرة لما يملكه من معرفة نووية الا أنه

نأى بطيش عن أي عون. غير أن السؤال الأكثر اثارة للرعب من هذا كله هو هل هم مقدمين على اعدامه. جثت المرأة ذات الشعر الداكن وهي ليست سيندي كما أوحت بذلك بعض التقارير جثت وأمسكت بذراعه ودفعت بهدوء بسن حقنة تحت الجلد في احدى العضلات. فكان الصراع عديم الجدوى. وبعد أن التهمه الذعر وجد نفسه في حالة من الخدر وغاب عن الوعي. وحصلت الموساد على الرجل الذي كانت تتصيده.

لفترة وجيزة أفاق السجين في عربة نقل تقطع الطريق نهبا على أحد الطرق السريعة. وأفاق مرة أخرى ليجد نفسه راقدا على سرير من تلك الأسرة التي عادة ما توجد في السفن وهو ما زال مقيدا في حجرة بلا نوافذ. فتم تدبير حقن آخر وغاب مرة أخرى عن الوعي. حين استيقظ في المرة التالية بدأ الرجلان اللذان هاجماه في روما بقصفه بسيل من الأسئلة. كان هو مخدر الذهن والحواس يملؤه الخوف والغضب غير أنه رفض الاجابة. أحس الآن أنه في احدى السفن واستنتج أنه لن يقتل لفترة على الأقل. ذلك أن آسريه يريدون أن يعرفوا بالضبط حجم القدر الذي كشف عنه ولماذا فعل ذلك والأهم من ذلك كيف تمكن من ادخال فيلمين الى المجمع.

بعد عدة أيام اكتشف أنهم أخذوه الى الشاطئ. تم جره من السرير وقيد على نقالة وأنزل الى ممر مكشوف الى عربة لنقل المسجونين راسية في خارج الميناء. وفي خلال ساعتين كان قد وضع في زنزانة صغيرة مظلمة في مقر الموساد في تل أبيب. وجلس لعدة ساعات في رعب وتساءل عما عساه أن تكون عليه خطوتهم التالية. وأخيرا انفتح الباب ووقف رجل أمامه وألقى بصحيفة. كانت نسخة من الساندي تايمز تحمل قصته في الصفحة الأولى ومعها صورة لمفاعل ديمونة. قائلاً: انظر الى الضرر الذي تسببت فيه، فأحس مورد بشعور جديد. اذ بالرغم من أنه كان مذعورا وخائفا من أنهم مع ذلك قد يتخلصوا منه سرا الا انه كان يشعر بالابتهاج. اذ أحس بالزهو لأن محنته لم تضع سدىً – ولأن الموساد لم تتمكن من وقف النشر. وكما كان يعرف بدأ التحقيق بطريقة منهجية. كان مورد في هذه المرحلة قد قرر التعاون ولكن ليس لأنه كان يخشى

التعذيب. بل لأنه فكر في أنه لا فائدة تُرجى من انكار كونه هو مصدر القصص؛ فهم يعرفون ذلك معرفة مباشرة. لذا وقع عل اعترافات، يقر فيها بأنه هو مطلق صفارة الانذار غير أنه جادل بأن عليه واجبا يحتم عليه فضح شيء كان يتم اخفاؤه عن المواطنين الاسرائيليين وهو شيء عرقل الآمال في السلام. ذلك أنه رأى أنه وقد تصرف بناء على موقف مبدئي فعليه أن يكون أمينا بالنسبة لأفعاله وأن يعتمد على العدالة الاسرائيلية في أن تتصرف معه بطريقة انسانية.

في اللحظات التي كان يخلو فيها الى نفسه كان يتفحص مرات ومرات الكيفية التي وقع فيها نهبا للخيانة. فمن اللحظة التي أفاق فيها على السفينة سأل عما اذا كانت صديقته آمنة أم أنها هي أيضا أسيرة على ظهر السفينة. اذ لم يستطع أن يعتقد أنها هي التي قادته بكل قسوة الى هذا الشرك. في واقع الأمر استمر لعدة شهور يغذي داخله الظن بأنها ليست جزءاً من المؤامرة. وحتى حين نشرت الساندي تايمز صورتها وكشفت عن شخصيتها بعد ذلك بعام ١٩٨٧ قال اننا لم نضع أيدينا على الشخص الصحيح.

ذلك أنه كان في غاية الخجل حتى في هذه المرحلة من أن يقر بأن حكمه كان على هذه الدرجة الفادحة من الخطأ. بعد اختفائه بأسبوعين صرح مسؤول كبير بأن امرأة لعبت دورا حساسا في اختطافه. وأضاف قائلا «لو أني وقعت في غرامك واتصلت بي من مكان ما وقلت تعال والحق بي ألم أكن لأهرول كي أكون بجانبك.»

لم يمارس مورد الجنس مع سيندي بل انه لم يقبلها . كانت ذكرى تلك اللحظة في لندن التي أصبح فيها يستشعر الشك لفترة وجيزة تمخر في ذهنه. لقد كانت سيندي جاسوسة كما يتقبل هذه الحقيقة الآن ولم تكن تحس نحوه بأية مشاعر.

كان عليه ادراك ذلك - اذ كانت هناك علامات أخرى ولغة جسد كان يجب أن يقرأها غير أن الظروف بالطبع كانت ضده. كان في لندن يحس بالاكتئاب وعرضة للتأثير عليه غير أنه دون ادراك منه كانت تحركه ما يمكن أن يطلق عليها البعض أفضل منظمة أمن وأكثر تلك الأجهزة تغلغلا في العالم.

كان القبض على مورد انجازا مهما اذا ما نظر اليه من وجهة نظر اسرائيل

غير أن جانبا من العملية المعدة والمخططة للاقلال الى أقصى حد من الضرر الناتج عما أدلى به أصابه قدر أقل من النجاح. مضت الساندي تايمز فيما كانت تقوم به ونشرت قصة المجمع رغم أن شاهدها النجم قد فقد. ذلك أن ظهور قصة قبل ذلك بأسبوع في الساندي مرر كان القصد منه، افساد، تحقيقاتنا لم تحملنا على التراجع مع أن الكثير من الصحف كانت ستنحو على الأقل الى تأخير النشر.

لقد أثير تساؤل عما اذا كان الغزل المدمر الذي كان قائما بين آوسكر جيريرو والساندي مرر جزءاً آخر من خطة الموساد. ويشعر العديد من المهتمين بالقصة في تلك الصحيفة الشعبية بمجرد امكانية المؤامرة وهي أن جيريرو قد تمت رشوته أو تهديده كي يخون فعنونو. كان روبرت ماكسويل هو مالك الساندي مرر وهو أكبر من الحياة ويخلو من أي ذرة من الأمانة كما أنه يهودي وفي السنوات الأخيرة يعد .ن كبار المستثمرين في الصناعة الاسرائيلية.

وقد أقر مايك مالوي رئيس التحرير في ذلك الوقت أنه ناقش قصة جيريرو قبل النشر ويعتقد، أن ماكسويل طلب بحث القصة مع السفارة الاسرائيلية. ولا يشك مولوي في أن رئيسه كان يعمل بناء على طلب الموساد ولكن ماكسويل بالطبع يتمتع بالاتصالات الصحيحة وكان هو نفسه في مخابرات الجيش أثناء الحرب العالمية الثانية ولديه شعور بالقرابة مع الاسرائيليين. في ظل هذه الظروف يكون هناك تفسير مقبول للسبب الذي من أجله تمت اعادة الحكم على القصة رغم رغبات الصحفيين في فضح الكلومبي والايحاء بأن فعنونو كاذب.

بعد أن سقط ماكسويل من فوق ظهر يخته وغرق أقيمت له جنازة تكاد تداني الجنازة الرسمية في جبل الزيتون. واذا ما أخذنا في الاعتبار أنه لم يبد اهتماما كبيرا، بيهوديته، الا قرب نهاية أجله فان مساعدته للموساد سرا قد تكون هي السبب في هذه اللفتة المظهرية. ومن المؤكد أننا اذا ما نظرنا في آنه كان قد سرق مئات الملايين من أموال أصحاب المعاشات في شركته فمن الصعب تخمين آي سبب آخر. عموما هناك سببان آخران يفسران ما يدفعنا الى أن

نأخذ امكانية وجود مؤامرة قادتها الموساد على محمل الجد. اذ لا بد أن جيريرو أدرك أنه بذهابه الى الساندي مرر كان بذلك يجازف بصفقته معي بدفع ٢٥ ألف دولار حين تقوم الساندي تايمز بالنشر. وعلى هذا الضوء يكون من الأمور الشاذة أنه وقع صفقة، استثنائية، مع الصحيفة الشعبية بمبلغ ٥٠٠٠ دولار فقط. والأمر الأكثر غرابة أن الصفقة تتبخر ولا يطالب الساندي مرر بنقوده بل انه حتى اليوم لم يتسلم سنتا واحدا من أي من الصحيفتين. لذا فان امكانية وجود شخص آخر هو الذي قام بالدفع يجب النظر اليها بجدية.

أما السبب الثاني فهو أكثر تعقيدا. فأثناء البحث الذي قمت به عن سيندي أظهر فحص روتيني لدفاتر تسجيل العملاء الذي يحتفظ به فندق اكلستون في بيمليكو كما كان متوقعا أظهر الحجز من أجل جيريرو تحت اسم خورخي بوينو. لكن المزيد من التحقق كشف عن أنه قبل ذلك بيومين أن المرأة التي تعرفنا على شخصيتها أي سيندي قد أقامت هناك أيضا على ما يبدو لمدة ليلة واحدة ولكن ربما تكون اقامتها أطول من ذلك.

لقد تذكر مارك سوستر الذي كان يحقق في قصة جيريرو للساندي مرر أنه زاره ذات صباح في وقت الافطار. وقال سوستر «كان يجلس ويحتسي القهوة مع امرأة شقراء ممتلئة قليلا وبعد أن رأى صورة للمرأة التي تعرفت عليها على أنها سيندي فأنا واثق تقريبا من أنها نفس الشخص. وقال أوسكر انها مرشدة سياحية. وقال ضمنا أنه نام معها.»

لقد استمتع طاقم انز نوجا بفرصة الاسترخاء في ميناء أنطاليا التركي. وانز نوجا هذه هي سفينة شحن متهالكة طولها ٦٥ مترا تم بناؤها في هولندا عام ١٩٥٩. كانوا قد أبحروا الى هناك في عطلة بعد أن اشتركوا في تدريب مكثف قبالة ميناء حيفة الاسرائيلي. ويعد أنطاليا وجهة سياحية لها شعبية كبيرة وفي سبتمبر يكون غاصا بالسياح الألمان والبريطانيين والأتراك والكثيرات من الفتيات الفاتنات. واستفادت بحارة نوجا استفادة تامة من هذا وكان هناك الكثيرون ممن شعروا بالحزن اذ تركوا أصدقاء جددا.

بالنسبة لأي شخص يراقب نوجا يجد أنها واحدة من مئات سفن الحاويات

التي تجوب البحر المتوسط ولكن كان هناك فرق وحيد مهم. اذ كانت نوجا مملوكة للبحرية الاسرائيلية التي تقوم سرا على تشغيلها. ومع أن الطاقم عمل بمشقة في شحن وتفريغ البضائع والحاويات الا أن هذا لم يكن غرضهم الحقيقي.

اذ تختفي تحت بنية السفينة الفوقية معدات من أجهزة الرقابة الالكترونية وسلسلة من الاتصالات بالأقمار الصناعية.

من الناحية الروتينية تستخدم نوجا اسم ليا على أجهزة التجسس الخاصة بها وكان أعضاء الطاقم - الذين يرتدون الملابس التقليدية التي يرتديها بحارة البحرية التجارية بتي شيرت أبيض وشعار مميز وهو رسم لحوت ومرسى - لم يكونوا في حقيقتهم كما يبدون. بل كانوا في الحقيقة ضباط بحرية نظاميين ورتباً أخرى كان عملهم العادي هو التقاط حركة الاتصال في الموانى الأجنبية عادة تلك التي تخص، أعداء اسرائيل من العرب، ثم اعادة بثها الى اسرائيل.

كانت السفينة تحمل نجمة مركب تابعة لشركة اسرائيلية اسمها خطوط زيم في موانئ البلاد غير أنها اعتادت أن تغير هيئتها المميزة بانتظام واسمها حين تكون خارجة في حملات تجسسية. في هذه المرة كان الطاقم ملحق به فرقة من طلبة البحرية يتعلمون الملاحة.

بينما أبحرت السفينة من أنطاليا متجهة الى مينائها في حيفة لم يقلقهم كثيرا أنها آخذة في مواجهة نقص في الماء. ذلك أن جهاز ازالة ملوحة الماء قد انهار لأنهم في خلال يومين سوف يكونون على الشاطئ مرة أخرى حيث يتمكنون بسهولة من التمتع بأخذ دش.

وبعد مرور بضعة ساعات من الرحيل غيرت السفينة مسارها فجأة بمائة وثمانين درجة وبدأت في التوجه الى الغرب بكل سرعتها. كان ذلك في ٢٤ سبتمبر - وهو اليوم الذي قابل فيه فعنونو سيندي في ميدان ليسيستر. وتلقى القبطان تعليمات عاجلة في رسالة مقتضبة بأن يتوجه الى ايطاليا ويرسو مقابل الساحل. ولما لم يكن لدى الطاقم علم بهذه الاتصالات فقد استسلموا لفكرة قضاء بضعة أيام اضافية في البحر. غير أن الحيرة تملكتهم حين رست

السفينة نوجا في المياه الدولية على بعد ١٠ ميل عن ميناء لا سبيتزيا الايطالي بعد ذلك بثلاث أيام وانتظروا هناك فحسب.

في ٣٠ سبتمبر كانت معنوياتهم في حالة سيئة اذ أن السفينة لم تكن تعاني من تناقص المياه فحسب بل والطعام أيضا. وأخبرني أحد أفراد الطاقم" كنا نشعر بالغضب وكان هناك توتر شديد. اذ لم تكن لدينا أية فكرة عن السبب الذي من أجله نظل هناك يوما بعد يوم. ولم يكن القبطان ونائبه يقولان أي شيء غير أننا استطعنا أن نعرف أن شيئا ما مهما على وشك الحدوث. «في تلك الليلة وبعد الحادية عشرة مساء بقليل شاهدوا على شاشات الرادار قارباً سريعاً وهو يقترب. فسمع صوت القبطان في جهاز الاتصال الداخلي. الانتركوم. وهو يأمر" على جميع أعضاء الطاقم التجمع في الحجرة العمومية وأن يغلقوا الباب هذا أمر. وحتى اشعار آخر لا يخرج أحد. ومن تسول له نفسه عصيان هذا الأمر سيلقى أشد العقاب.»

تقاطرت الفرقة بكاملها باستثناء ثلاثة ضباط كبار الى الحجرة العمومية بالسفينة التي كانت تحت خط الماء وليس بها فتحات كوات في الجانبين. وقال أحد أعضاء الطاقم شارحاً «كان الناس يتبادلون النكات ويطلعون بكل صنوف النظريات الجامحة عما يحدث. لكننا علمنا بعد ذلك أن قاربا أحمر شديد السرعة وعالي التقنية تم استئجاره في لا سبيتزيا كي يحضر شخصا ما على ظهر السفينة. وأنزل حبل يستخدم كالسلّم وصعد رجلان وامرأة حاملين رجلا فاقد الوعي معصوب العينين.» أخذ السجين الى قمرة بلا نوافذ مترين في مترين ونصف.

وأبحرت نوجا مباشرة الى اسرائيل وسمح للطاقم بأن يستأنفوا واجباتهم المعتادة. عندئذ فقط كانوا يلتقون بالرجلين من وقت لآخر ولم يكونا يتحدثان مع أي شخص وامرأة يدركون اليوم انها سيندي. وتناوب ثلاثتهم «بنظرتهم القاسية وجوههم الخالية من التعبير» الحراسة على سجينهم الذي لم يكن من المسموح لأي شخص بأن يلمحه ولو لمحة سريعة. وكان الطعام يحمل الى القمرة التي كان محتجزا فيها غير أن الباب ظل مغلقا. ومع استمرار الرحلة

الطويلة صارت المرأة مكروهة تماماً، كانت تشبه تماما انطباع الفنان الذي تنشره الساندي تايمز، اذ كان من الواضح أنها متضخمة الذات ومتعجرفة جدا. اذ كانت تأمر الجميع غير أن ما أثار حنقنا كيفية اصرارها على أخذ دش في مياه عذبة حينما يروق لها ذلك. أما بقيتنا فقد ظللنا بلا استحمام لأيام ولكنها كانت تطالب بمعاملة خاصة. كما كانت فظة لا تملك أي حس فكاهي. فكانت مثلا غاية في السوء.

كان وجود امرأة على ظهر السفينة أمرا عجبا غير أن أحدا لم يقدم تفسيرا. وطلب من الطاقم بأن يقسموا بصرامة على السرية حتى بخصوص العملية التي تتم بتكتم شديد فقط فيما بعد حين عادوا الى اسرائيل وكانت قصة فعنونو تتصدر العناوين الرئيسة كل يوم أدركوا السبب في تحويلهم الى ايطاليا. فبعد اختطافه في روما أخذته عربة نقل بيضاء استأجرتها السفارة الاسرائيلية هناك مباشرة في الرحلة التي استغرقت ٢٥٥ ميلاً عن طريق بيزا الى ميناء لا بيتزيا الذي يقع في الشمال. وكان القارب السريع ينتظر وفي خلال ست ساعات من اختطافه سلم ليكون في «حفظ نوجا.»

في ستة أكتوبر رست عند قاعدة عسكرية سرية تقع بين تل أبيب وحيفة. وجاءت سفينة أصغر كي تستقبلها وحمل الرجل الذي كان ما يزال معصوب العينين وتحت تأثير المخدر على نقالة. وفقد فعنونو حريته أما السفينة التي أسلمته لسنوات من البؤس استمرت في أداء واجباتها التجسسية. وفي عام ١٩٩١ تم اخراجها من الخدمة ووضعت بصفة دائمة في احدى القواعد البحرية في عكة شمال حيفة حيث ما تزال تستخدم كقاعدة للتدريب حتى هذا اليوم. لا بد أن يسترجع فعنونو رحلة العودة الى اسرائيل بمرارة. ولم تقر بلاده بأن هذا عمل غير مشروع واختطفته في ايطاليا بل تجاوزت كل الحدود لمنع تفاصيل محرجة من الخروج الى النور. وعلى أية حال ففي عام ١٩٩٧ كتب الى سياسي رفيع المستوى في اسرائيل يشكو من أن حقوقه المدنية قد انتهكت وتمكن أن يضمن شكواه رواية مختصرة لما حدث. فتم تسريب الرسالة. وكتب فيها يقول «في ٨٦/٩/٢٤ التقيت بفتاة أمريكية في ميدان ليسيستر في لندن وبعد ذلك

التقيت بها عدة مرات. وفي ٨٦/٩/٣٠ أقنعتني بالذهاب معها الى روما لزيارة أختها. وغادرنا لندن في رحلة الخطوط البريطانية ٥٠٤ المتجهة الى روما. وكان في انتظارنا شخص ايطالي قال انه أحد أصدقاء أختها وأخذنا في سيارته الخاصة الى شقة في احدى الضواحي خارج روما.

«ما أن دخلنا الشقة حتى وقعت تحت تأثير المواد المخدرة وذهبت معهم الى السيارة واستيقظت في السيارة وحاولت التسبب في حادث. غير أنهم هاجموني مرة أخرى ومرة أخرى قاموا بتخديري. واستيقظت حين وصلنا الى الشاطئ في جنح الظلام. وهناك أخذوني على نقالة على قارب سريع ثم الى أحد اليخوت. في اليخت احتجزوني في قمرة مغلقة مكبلا بالقيود الى سرير لمدة سبعة أيام الى أن اقتربنا من اسرائيل. وهناك سلموني للشاباك.»

لم يكن فعنونو بالطبع على ظهر أحد اليخوت وانما كان على ظهر سفينة كبيرة تعمل بالديزل لكنه ربما لم يدرك ذلك. وأنهى رسالته بنداء من أجل المساعدة. وقال انه قد أبلغ حين كان على ظهر السفينة بأن الركاب الآخرين هم من الانجليز والفرنسيين والاسرائيليين وأن أحد مختطفيه فرنسي. وأضاف قائلا «لا بد من اجراء تحقيق للكشف عن حقيقة شخصية المختطفين.» وصلت سيندي بالطبع الى الشاطئ كي تستقبل استقبال الأبطال من جانب زملائها. وفي مقر الموساد تم صدور مرسوم بشأنها .على ما يبدو لأنها تلقت اهتماما أكثر مما تلقاه بقية الفريق الذين خططوا لكل حركة من خطواتها.

وعادت الى منزلها المكون من طابق واحد على أطراف منتجع نتانيا البحري شمال تل أبيب وبدأت في عملية السرد المضنية - جزء من تقرير ضخم عن العملية بكاملها سوف يستخدم لتعليم الآخرين. لم يكن في استطاعتها أن تزهو أمام أصدقائها وجيرانها بالعمل المدهش الذي قامت به من أجل بلادها وبأنها خدعت فعنونو بهذه الدرجة من النجاح وأنها فنانة تجميل قادمة من فلوريدا. اذ أن واجبها كما هو دائما أن تظل مجهولة الهوية ومن الجوهري بالنسبة لها أثناء لعب دورها أن تحمي هويتها الحقيقية بأي ثمن. ذلك أن حياتها العملية في

المستقبل لا شك وهي القيام باستدراج ضحايا آخرين يسهل خداعهم يعتمد على اخفاء شخصيتها الحقيقية. لم تكن لديها أدنى فكرة أنه بعد فترة قصيرة سوف تنكشف كجاسوسة وأن فائدتها سوف تكون منعدمة للأبد.

تعقب سيندي

رغم أن الساندي تايمز كانت متحيرة بشأن الأميرة اليهودية الأمريكية التي التقى بها فعنونو، قبل أن يختفي من فندقه، الا أن الأولوية الأولى في الأسابيع التي تلت نشر قصته كانت اكتشاف ما اذا كان سالما دون أي أذى. اذ لم يكن على اتصال بالصحيفة منذ صباح ٣٠ سبتمبر وكانت هذه علامة سيئة. فمورد كان من الممكن الاعتماد عليه في المعتاد كما كان يتمتع بضمير حي لذا كان اخلاله بوعده – الذي ردده في تلك المكالمة التليفونية الأخيرة – لا يتمشى مع ما عهدناه في شخصيته.

في نهاية أكتوبر بدأت القصص تروج مرددة أنه عاد بالفعل الى اسرائيل وأنه ليس هناك بمحض ارادته وعلى أية حال لم تقدم الحكومة الاسرائيلية أي تفسير وتمسكت بخط الحزب الذي أعلنته في الساندي تايمز «لن نكون أول من يدخل الأسلحة النووية في الشرق الأوسط.»

ومما يثير الاهتمام أنه لم يصدر طلب دولي بالقبض عليه وكانت هذه علامة قاتمة. كانت روينا ويبستر احدى صحفيات فريق الاستقصاء قد أرسلت الى اسرائيل كي تقوم ببعض الاستفسارات واستأجرت أمنون زخروني وهو محام يساري شهير كي يمثل الصحيفة. وقال انه سوف يحاول الضغط من أجل اصدار بيان حكومي يؤكد أن الحكومة تتحفظ على مورد. لم يستطع اخبارها أنه أيضا بمحض مصادفة غريبة يمثل فعنونو. لم يفعل ذلك بسبب تعهدات صارمة بالسرية كان قد قطعها على نفسه.

فبعد عودة فعنونو الى اسرائيل وتحمل تساؤلات مكثفة من الموساد أعطيت له قائمة من المحامين يوافق عليها الأمن وطلب منه اختيار أحدهم. وكان زيخروني يعد اختيارا معقولا: فمؤسسة الأمن تعتقد أنه، موثوق به. غير أنه

يتمتع بسجل جيد في النضال من أجل قضايا الحقوق المدنية. وبقبول زيخروني للتوكيل القانوني الذي قدمته له الساندي تايمز يكون قد جازف مجازفة شخصية وأثار سخط الموساد غير أنه شرع في ممارسة ضغط متزايد على بيرس.

كان من الواضح تماما عند هذه النقطة أن أجهزة الأمن الاسرائيلية لم تكن تنوي مطلقا أن تكشف عن أنها تمسك بفعنونو فيكون من الممكن منع تعقب سر جوهري ويصبح في الامكان وضعه في السجن لسنوات بينما يترك العالم في حالة من الحيرة بسبب اختفائه. الا أن زيخروني لم يمكن خداعه؛ اذ كان يعلم أنهم يحتجزونه في سجن عسقلان جنوب تل أبيب حيث زاره عدة مرات.

كما كان هناك ضغط من ثلاث دول في أستراليا واسرائيل وبريطانية. اذ سعا دنيس وولترز الى عقد مناقشة في البرلمان وقال أنتوني بومونت - دارك «لقد بلغني أن فعنونو قبض عليه وشحن الى خارج البلاد.» وطالب وزارة الخارجية البريطانية بأن تقوم بعمل ما فقالت انه لا يوجد أساس للتدخل بدون وجود أدلة. الا أنها من وراء الكواليس كانت تطالب القدس بتقديم المعلومات.

ولم تكن الصحافة الاسرائيلية حريصة على أن تعرف ماذا حدث على وجه التحديد. اذ قالت صحيفة معريف الصحيفة الوطنية اليومية «نحن لسنا معنيين بأن أحدا تجشم مشقة احضار فعنونو الى اسرائيل - حتى اذا كان هذا تخمين غير واقعي تماما. فاذا كان هذا قد حدث فنحن نقول، أحسنتم برافو» ولا يهمنا بكثير أو قليل هل تم احضاره بطريقة قانونية أو بالتحايل أو هل تم ذلك عن طريق البحر أو الجو أو ما اذا كان أحضر حيا أو ميتا. واذا لم يكن قد أحضر الى هنا فلسوف نشجع أي مبادرة في هذا الاتجاه. وثمة صحيفة منافسة أخرى هي ها أريتس التي كانت على درجة أقل من التحمس. اذ قالت «انه من غير المفهوم أن يسمح لشخص مثل فعنونو بأن يعمل في المفاعل النووي

ورفضت السياسة السوفييتية القاضية بمنع الناس الذين يملكون أسرارا من مغادرة البلاد نهائيا غير أن فعنونو وبعد أن عمل لثماني سنوات في المجمع كان يجب أن يوضع تحت اجراءات فحص أمنية. واستطردت الصحيفة تقول:

اذا كانت الروايات التي نشرت في الصحافة الأجنبية صحيحة بأن فعنونو قد تم تخويفه واحضاره الى اسرائيل بعد أن أعطى رئيس الوزراء بيرس تعليمات للموساد باحضاره بيومين للمحاكمة في اسرائيل فان هذا الانجاز لا يبدد الانطباع بأن الشين بيت جهاز الأمن الداخلي وجهاز الموساد لم يقوما بواجباتهما.»

بعد ذلك في ٩ نوفمبر ١٩٨٦ شعر بيرس بأن عليه أن يقول شيئا. فأصدر بيانا مقتضبا بعد اجتماع مجلس الوزراء الأسبوعي بأن موردخاي رهن الاعتقال.

وأنكر انكارا قاطعا أن السجين قد اختطف على التراب البريطاني. وأضاف قائلا بما أن هذا كلام غير صحيح اذن لا يوجد أساس للتقارير التي تتحدث عن أنه اتصل بمارجريت ثاتشر رئيسة وزراء بريطانية «كي يبلغها بشيء لم يقع قط.»

كان هذا تصريحا معداً بعناية وعلى عادة بيرس لم يكن يقترب من الحقيقة الكاملة في أي جزء من اجزائه. فمع أن فعنونو قد هوجم وتم اختطافه في روما الا أن مؤامرة اصطياده باستخدام سيندي كطعم بدات في لندن لذا فان الاعتقاد بأنه لم يحدث انتهاك للقوانين البريطانية اعتقاد زائف وأن موقف بريطانية المتخاذل في هذه القضية موقف يستحق اللوم حتى هذا اليوم

لم يضع تصريح بيرس حدا للتكهنات لأنه كان هناك لغز ضخم مع ذلك عن الكيفية التي تمت بها اعادة مورد الى اسرائيل. فافسح المزيد لرواج تقارير صحيفة النيوزويك الذي ذكر انه قد تم التغرير به لركوب احد اليخوت في المياه الدولية في البحر المتوسط. ووصل صاحب النيافة جون ماكرايت الى القدس مستخدما أموالا أعطاها له أعضاء كنيسته ساعيا الى الحصول على اجابات غير أنه غادر في النهاية خالي الوفاض دون أن يزداد علما عن المكان الذي ذهب اليه مورد بعد أن غادر لندن.

كانت بريطانية رسميا تطالب بتوضيحات، وأخذ صبرها ينفد في منتصف نوفمبر وكانت هناك مناقشة برلمانية على وشك الانعقاد وكل ما كانت اسرائيل

تقوله هو ما دأبت على قوله من قبل وهو أنه لم يحدث انتهاك للقوانين البريطانية. وزادت صحيفة الفينانشيل تايمز من حالة الاضطراب في المملكة المتحدة بنشر قصة تقول ان المخابرات البريطانية حذرت الموساد من فعنونو. واستمر النقاش دون ظهور المزيد من التوضيح.

في اسرائيل سلم شيمون بيرس رئاسة الوزارة لليميني المتشدد اسحاق شامير الذي لم يكن ملتزما بشيء هو أيضا. وبالتدريج أخذت حكومته في الاسترخاء. اذ أن الكشف عن مركز أبحاثها النووية في ديمونة تسبب في بعض القلق الدبلوماسي وتبخر هذا القلق. اذ اتصل بيرس بثاتشر وهي في رحلة لمقابلة صديقها الرئيس رونالد ريجان وبدت راضية عما مارسه عليها من ملق ومداهنة. وبدا أن الخلاف والضجة التي ثارت حول عملية الاختطاف قد خفت حدتهما. وحين بدأ زيخروني عمله في الدفاع عن فعنونو مقنعا أياه بسحب اعترافاته وبالسفر الى لندن لمقابلتي وآخرين في الساندي تايمز كانت الصحيفة قد خصصت الأموال لتغطية معظم تكاليف محاكمته. وهالني أن ما بدأ كتحقيق صحفي عادي لا التواء فيه قد انتهى الى كارثة أحاقت بشاهدنا الرئيس. ولم يكن أمامي سوى أن آمل في أن يستمعوا جيدا لفعنونو وأن تكون محكمة منطقة القدس لينة. وقال زيخروني ان الشواهد ليست طيبة غير أنه كان في امكانه أن يخبرنا بالقليل عن قضية عميله لكن لو أنه فعل ذلك لكانت نهايته أيضا في قفص الاتهام.

وأعلن أن الاستماع الى قضية فعنونو سوف يكون خلف أبواب مغلقة. وسوف يكون النقاش في الكيفية التي عاد بها الى اسرائيل من المحرمات ولن تخرج أية تقارير عن المحاكمة. فقمنا بتزويد المحامين بتلال من الأوراق واستشرنا بصفة رئيسة واحدا من أعلى خبراء القانون في بريطانية بالنسبة لطرق الدفاع الممكنة. القانون الاسرائيلي يستمد أسسه من الفقه الانجليزي.

في ١ ديسمبر ظهر فعنونو في المحكمة لسماع أقواله على أن يعود الى السجن فوصل في حافلة صغيرة تابعة للسجن وكان يعبث بلحيته ويشير للصحفيين. وكانت تبدو عليه الشجاعة بالنظر الى الاتهامات التي كان يواجهها

والتي كانت قد أعلنت. وحملوا ما فعله بكل الايماءات الأكثر سوء مما فعل أي بكل ما يمكن من أسوأ الظلال. لذا كان زيخروني محقا في تشاؤمه. اذ آن انقاذ فعنونو من أقسى حكم يعد أكبر معركة في حياته العملية.

كانت عريضة الاتهام مقسمة الى قسمين يعطي القسم الأول تلخيصا شديد الايجاز لأفعاله المزعومة ويذكر القسم الثاني الجنايات الثلاث التي اتهم بها.

«أ. الحقائق

١- كان المتهم يعمل في مركز الأبحاث النووية في النقب بالقرب من ديمونة كفني وعامل اتصال ابتداء من ٢ نوفمبر ١٩٧٦ حتى ٢٧ أكتوبر ١٩٨٥.

٢- في بداية عمله حضر المتهم دورة دراسية للاتصالات في مركز الأبحاث النووية وقع في نهايتها على افادة بالحفاظ على السرية. وكان يتلقى تعليماته بناء على ذلك من ضباط الأمن هناك.

٣- أثناء فترة عمل المتهم في مركز الأبحاث النووية كان يتلقى أيضا تعليمات من وقت لآخر عن الحاجة الى الحفاظ على السرية ووقع على عدد من الافادات والالتزامات بهذا المعنى.

٤- أثناء فترة عمله في مركز الأبحاث النووية وبصفة رئيسة من بداية عام ١٩٨٥ جمع المتهم وأعد وسجل واحتفظ في حوزته بمعلومات سرية - فعل ذلك كله دون تفويض بأن يفعل ذلك وبنية الاضرار بأمن الدولة.

٥- «أ» ظهرت أفعال المتهم كما هو مذكور في قسم أربعة أعلاه حين زار أماكن شديدة السرية في مركز الأبحاث النووية لم يكن الدخول والبقاء فيها مسموحين لغير المأذون لهم ومنهم المتهم.

«ب» بمجرد أن كان المتهم في هذه الأماكن قام بتصوير تركيبات وأجهزة مختلفة وغير ذلك من أشياء كما قام بنسخ تفاصيل ورسوم من كتيبات مهنية تعد محتوياتها ودرجة أمنها سرية.

«ج» أخذ المتهم المعلومات هكذا والتي جمعها من مركز الأبحاث النووية وأخفاها في منزله.

٦- في ما يلي المعلومات التي جمعها المتهم وحصل عليها وسجلها

واستحوذ عليها

«أ» معلومات عن البنية المادية والتنظيمية لمركز الأبحاث النووية

«ب» معلومات عن توزيعات سرية في مركز الأبحاث النووية.

«ج» اجراءات تشغيل وعمليات انتاج سرية في مركز الأبحاث النووية.

«د» أسماء شفرية واصطلاحات لتطويرات سرية مختلفة في مركز الأبحاث النووية.

٧- في ٢٧ أكتوبر ١٩٨٥ أنهى المتهم عمله في مركز الأبحاث النووية وفي ١٩ يناير ١٩٨٦ غادر اسرائيل آخذا معه الصور التي التقطها في مركز الأبحاث النووية بالاضافة الى ملحوظات بخط اليد كان قد سجلها أثناء وبعد جمع المعلومات التي سبق ذكرها كما هو مفصل أعلاه.

٨- في مايو ١٩٨٦ أو حوالي ذلك التاريخ وصل المتهم الى سيدني بأستراليا وبعد ذلك بوقت قصير التقى برجل اسمه جيريرو الذي قدم له نفسه كصحفي.

٩- حين علم المتهم بمهنة جيريرو أخبره بأنه كان يعمل في مركز الابحاث النووية وسلمه المعومات السرية التي كان مؤتمنا عليها في سياق عمله بالاضافة الى المعلومات التي كان قد جمعها كما هو مذكور سلفا وكذلك الصور التي قام بتحميضها من الأفلام التي قام بتصويرها في سياق عمله في مركز الأبحاث النووية.

١٠- «أ» في سيدني بأستراليا التقى المتهم بممثلين للساندي تايمز الصحيفة اللندنية من الآن سنكتفي بكلمة الصحيفة وأعطاهم الكثير من المعلومات بالغة السرية التي كان قد جمعها أثناء عمله.

«ب» في الوقت الذي سلم المتهم فيه المعلومات المذكورة أعلاه لجيريرو ولممثلي الصحيفة كان ينوي الاضرار بأمن الدولة.

«ج» قام المتهم المذكور أعلاه وهو يعلم أن الصحيفة سوف تنشرها وأن المعلومات بذلك سوف تنتقل الى يد الأعداء. وبذلك يتضح أن المتهم كان في نيته مساعدة العدو في الحرب ضد اسرائيل.

١١- في ٥ أكتوبر ١٩٨٦ نشرت الصحيفة التقرير تحت عنوان، الساندي تايمز تكشف أسرار ترسانة اسرائيل النووية.

١٢- أذيع الكثير من المعلومات بالغة السرية من المعلومات التي قدمها المتهم في التقرير المذكور أعلاه عن مركز الأبحاث النووية بما في ذلك الصور التي قام المتهم بالتقاطها كما سبق تفصيله.

١٣- كما هو مبين فان جميع المعلومات التي جمعها المتهم وحصل عليها وسجلها وأعدها وكذلك جميع المعلومات التي نشرت في التقرير الذي سبق ذكره والتي قام بتسليمها دون تفويض تعد معلومات سرية كما يحدد القانون ذلك.

«ب» توجه الى المتهم الانتهاكات الآتية:

١- الخيانة. مساعدة العدو في حالة حرب - وهو انتهاك للقسم ٩٩ من قانون العقوبات لعام ١٩٨٧.

٢- التجسس الخطر. تسليم معلومات سرية بنية الاضرار بأمن الدولة وهو انتهاك لقسم ١٣ ب في القانون المذكور أعلاه.

٣- جمع معلومات سرية بنية الاضرار بأمن الدولة - وهو انتهاك لقسم ١٣ ج في القانون المذكور أعلاه.

أفزعتنا مزاعم الخيانة التي تحمل معها عقوبة الاعدام من الناحية النظرية - كما أفزعت كل شخص مهتم بقضيته خارج اسرائيل. فهو لم يكن يعمل لصالح قوى أجنبية وانما كان يسعى الى الاعلان عن معلومات رأى في الاعلان عنها أسبابا انسانية.

وتبين خطابات فعنونو المراقبة مراقبة شديدة انه أيضا كان مذعورا غير أنه بدا واثقا من ن هذا أي هذا الاتهام لن يلتصق به. اذ ظل على ايمانه بالعدالة الاسرائيلية. مع أن انتظارد لفرصة ليشرح دوافعه - في ما أسماه محاكمة سليمة، كان شيئا قاسيا. وقال في خطاب أرسله لي فيما بعد في ذلك الوقت تقريبا" كنت في لندن خائفا. أما الآن في السجن ليس ثمة ما هو أكثر سوء. فأنا معزول لا يسمح لي برؤية جودي زيميت وقس. أقضي ٢٢ ساعة في زنزانة

وساعتين خارجها. وأنا وحيد طوال هذا الوقت.. أريد أن أودع أصدقائي في الساندي تايمز. يوما ما سوف أكون حرا وسوف أحضر لأراكم. انها فقط مسألة وقت. يمكن أن تجعلوا هذا الوقت أقصر.»

لم تكن لديه أدنى فكرة بأنه يمكن أن يمر نصف عمر بأكمله قبل أن يتمكن من استرداد حريته. وتعد سيندي مسؤولة عن الكثير مما حدث.

بمرور الوقت تم حل لغز المكان الذي ذهب اليه فعنونو بعد أن غادر الفندق في لندن بأسلوب مثير. ففي ٢٢ ديسمبر كان مقرراً له أن يدلي بأقواله مرة أخرى أمام آلات التصوير وكان الصحفيون والمصورون وطاقم التصوير التليفزيوني ينتظرون أمام مدخل مجمع محاكم منطقة القدس. وبينما كانت سيارة الشرطة تتوقف في انتظار فتح البوابات رفع فعنونو كف يده الى النافذة. وعلى كفه كانت هناك رسالة مكتوبة على عجل بينما التقطت آلات التصوير حارسا يحاول جذب ذراعه بعيدا. كانت الرسالة مكتوبة بحبر أسود

وتقول «تم اختطاف فعنونو م. في روما. اطا ٢١٠٠، ٣٠/٩/٨٦. حضر الى ايطاليا في رحلة ٥٠٤.» كان اسمه مكتوبا كتوقيع مما جعل الرسالة بيانا موقعا بأنه قد تم اختطافه بطريقة غير قانونية في ايطاليا. بعد أن زودنا بهذه المعلومات بما في ذلك رحلة الخطوط البريطانية التي أخذها من هيثرو بدأنا مباشرة في استكشاف الاسم الذي استخدمته سيندي حين كانت تشتري تذكرتها. كان فعنونو يجلس في المقعد ٦ صف ٦ المقعد الموجود بجوار النافذة أثناء الرحلة بينما كانت الآنسة ش. هانين في المقعد المجاور له.

لم تكن الطائرة ممتلئة بالركاب وتم تعقب الركاب الآخرين المجاورين لهما والتعرف على شخصياتهم. واذا أخذنا ميل الموساد لاعطاء عملائها هويات مستعارة فانه يعد من قبيل الرهان المعقول أنه كانت هناك امرأة اسمها سيندي هانين في مكان ما استخدمت هويتها وخلفيتها من جانب مختطفة فعنونو. فهل من الممكن لها أن تلقي بعض الضوء على المرأة التي تنكرت في شخصيتها "بعد القيام بأبحاث موسعة في بريطانية واسرائيل والولايات المتحدة تم اكتشاف امرأة اسمها سينثيا سينديهانين تبلغ من العمر ٢٢ سنة تسكن في

سبيجلاس كوف لونجوود خارج أورلاندو فلوريدا. ومن قبيل المصادفة وبينما كانت طالبة في المدرسة بعد عملت في وقت ما كمساعدة اخصائية تجميل في محل بارنيل للتجميل غرب شارع واشينجطون بليك سيتي فلوريدا. وكانت تحمل رخصة مساعدة اخصائية تجميل رقم با ٥٠٠٠٠٠٦٣ حين كانت تعمل عام ١٩٧٩ غير أن مفعول الرخصة انتهى في الواحد والثلاثين من يوليو ١٩٨٠ ولم تجدد.

ادعت سيندي التي عرفها فعنونو بالطبع أنها متدربة في مجال التجميل. مهما يكن من أمر سرعان ما أصبح ظاهرا أن سينديهانين هذه من غير المحتمل أن تكون متورطة في عملية الاختطاف. ففي الوقت الذي اختطف فيه فعنونو كانت تعرف باسم سيندي موريس. ولم تتزوج سيندي زميلاً لها في المدرسة الثانوية هو رانديهانين حتى ٢ نوفمبر ١٩٨٦ بعد اختطاف فعنونو بشهر.

وزوجها يكبرها بأربع سنوات وتزوجا في كنيس اسرائيل في أورلاندو. وكشفت التحقيقات مع موردي الطعام والشراب للعرس أنه في الوقت الذي اختطف فيه فعنونو كانت سيندي هانين منشغلة بوضع اللمسات الأخيرة بمأدبة العرس. كما كانت أسرة هانين التي تزوجت منها سيندي لا يبدو من المحتمل أنها من بين اللاعبين في حكاية التآمر الدولي. اذ كان أبو راندي ستانلي رجل أعمال ناجح يمتلك محلات الاطارات في المنطقة وله تقريبا ٢٣ منفذا عبر فلوريدا. ومكتب التسجيل الخاص بالشركة في نورث ويستمونت ألتامونت سبرينجس كان يقع في مبنى يقال ان قيمته ٨٥٠ ألف دولار كما كانت هناك ممتلكات أخرى منها محطات وقود كذلك الشقق التي كان يملكها بلغت ١٦ مليون.

كانت عائلة هانين معروفة تماما في أورلاندو بفضل حملات اعلانات ستانلي هانين الجريئة. فكل محلاته تحمل تخفيض ستانلي الخرافي في الاطارات وكان من الشائع عن جميع اعلاناته الصحفية والتلفزيونية أنها تتسم بالتهور واثارة الضحك.

كان راندي الذي عينه أبوه مدير منطقة يشتهر بأنه عدواني الحديث كما أنه مفرط الثقة بنفسه وهو أيضا من نوع الناس الذين لا يتورعون عن استغلال كرم غيرهم. وكان شغوفا بحضور الحفلات الموسيقية التي يحييها مغنو موسيقى الروك الذين يتمتعون بأسماء ذائعة في أورلاندو وهذه الحفلات كانت كثيرة الحدوث بأكثر من المتوقع وهذا يرجع الى عدد السائحين الذين يزورون ديزنيلاند عالم ديزني المجاورة فكان لا يقف عند حد في محاولته للحصول على تذاكر مجانية من القائمين على تنظيم الحفل. كذلك كان مغرما بمشاهدة أفلام الفيديو الاباحية التي وجدنا أنه كان يشتريها من منافذ في لاس فيجاس وكان يفعل ذلك كثيرا حتى أن سائق عربة النقل كان يناديه باسمه الأول.

على أية حال فان الجانب الأكثر جدية في العائلة أصبح ظاهرا مع شيريل أخت راندي الأكبر البالغة من العمر ٢٦ سنة وطفت على السطح سلسلة من الصلات مع اسرائيل تتسم بالدس والتآمر. في ذلك الحين كانت شيريل التي تشبه بنيتها سيندي التي شوهدت مع فعنونو تعيش في أسرائيل. هذه المرأة لها شعر بلون الرمال غير أنها تشاركها من حيث كبر عظام الخدين وبروز الفم. بل والأكثر من ذلك أنها كانت متزوجة من شخص اسرائيلي يدعى عوفار بينتوف - وهو رائد سابق في المخابرات العسكرية الاسرائيلية.

وكانت شيريل شأنها شأن راندي وأخت زوجها سيندي متخرجة من مدرسة ادجووتر العليا وهي أكاديمية كئيبة موحشة في أورلاندو. ويتذكر لويل بوجز نائب رئيس المدرسة سيندي كطالبة طيبة «من النوع الهادئ - لم تتورط في أي شيء.» كانت هذه هي الصور على الأقل حتى سنتها النهائية في المدرسة. ثم أصبح والدها ستانلي ووالدتها روتشيل مشتبكين في نزاع حاد على الطلاق حيث زعم أبوها حدوث انهيار لا يمكن ترميمه في حياتهما الزوجية. وأظهر ملف قضية الطلاق أن كلا الجانبين يطالب بالمحاكمة كما أن روتشيل تطالب بحضانة الأولاد شيريل وراندي وأختهما الصغرى بيني. في خضم هذا الاضطراب في حياة شيريل الأسرية انتهزت فرصة وجود برنامج دراسات يهودية قدم حديثا يرعاه الاتحاد اليهودي العالمي ومقره شارع بيسكين

بميامي. وكان برنامج المدرسة العليا الخاص بارسال الطلبة الى الخارج يضم طالبين أو ثلاثة من مدرستها التي كانت تركز تركيزا شديدا على الدراسات اليهودية بحيث يقضي بعض الطلبة فصلا دراسيا في اسرائيل.

وقال بوجز كانت الرحلة تتسم بالصرامة الشديدة من الناحية الدراسية. اذ لم يتعلم الطلبة اللغة العبرية ويدرسوا الديانة اليهودية فحسب وانما كان يتوقع منهم الحفاظ على دراساتهم في المدرسة العليا وصفوفهم ودرجاتهم التي يحصلون عليها بل كانوا يعادون الى الولايات المتحدة بعد ذلك ومعهم أبحاث يعطون درجات على أساسها تقيم مدى قدرتهم العلمية.

أحبت شيريل رحلتها في اسرائيل ولم تقم طويلا بفلوريدا بمجرد أن استكملت دراساتها في المدرسة العليا في ادجووتر. في ذلك الوقت كانت أمها تكرس كل وقتها في أنشطة الكنيس اذ كانت تسكن على بعد بيتين من بيت حاخامها حييم روزواسكي في ويست ليك ميتلاند وهي احدى ضواحي أورلاندو. عادت شيريل الى اسرائيل عام ١٩٧٨ والتحقت بالجيش الاسرائيلي. وتلا ذلك تلقيها دورة دراسية في احدى الكليات كما قررت شيريل الانضمام الى مستوطنة كيبوتز في حيفيزيباح في اقليم الجليل. بعد ذلك في مارس عام ١٩٨٥ تزوجت بينتوف في مراسم زواج أقامها الحاخام روزواسكي في أورلاندو. وكان بينتوف ناشطا في غرب أفريقية غير أنه اختفى عن الانظار منذ ذلك الوقت. ان الأبحاث التفصيلية التي قمنا بها في عائلات هانين في فلوريدا بينت أنه من الممكن أن نكون على الأقل قد عثرنا على امرأة من الموساد كنا نتعقبها. فحصلنا على صور فوتغرافية من الكلية وصور لها وهي تحضر عرسا عائليا مع رجلها بينتوف. وظهر وجهها المستدير وعظام خديها البارزة على نحو جيد كما طلب من صحفيي الساندي تايمز ماكس براجنيل وديفيد كونيت اللذين رأيا سيندي أن يتفحصا الصور بعناية. وكلاهما قال انها نفس المرأة. فحان الوقت لزيارتها. لقد منع الشجب الذي شاع في اسرائيل لأنشطة فعنونو وكذلك خطورة الاتهامات الموجهة اليه أي شخص هناك في التعمق في التساؤل عن شخصية سيندي. وسرعان ما أوضحت السلطات الاسرائيلية أن أي

صحفي اسرائيلي يساعد الساندي تايمز مساعدة فعالة يواجه أعمالا انتقامية وهي في هذا شأنها شأن سلطات أي بلد تكره أن يركز أحد أكثر من اللازم على عملائها السريين. كان هناك خطر أخر اتخذت قرارا محسوبا بتجاهله. اذا كان فعنونو متهما حسب زعمهم بالخيانة والجاسوسية فأنا جزء من المؤامرة ومعرض بأن ينتهي بي المطاف في السجن اذا وطأت قدماي أرض اسرائيل. اذ أن هذا بالطبع سيكون عملا استفزازيا وبعد التشاور مع المحامين - الذين ألحوا بالطبع بالتزام الحذر - قدرت أن السلطات لن تستجلب على نفسها دعاية دولية مضادة بجعلي أمثولة. ولحسن الحظ اتضح أني كنت على صواب.

كانت التحريات التي قمنا بها في أورلاندو قد أسفرت عن عنوان لشيريل بنتوف وزوجها في شارع ستروما في ناتانيا وهي منتجع يقع على بعد ٣٢ كيلومتراً شمال تل أبيب. فطرت أنا وديفيد كونيت الى اسرائيل وحجزنا في أحد الفنادق في ناتانيا كسائحين. في البداية لم يكن هناك أحد في منزل أسرة بنتوف وهو منزل متواضع من طابق واحد بالقرب من الطريق السريع بين حيفة وتل أبيب. ثم وصل الاثنان وراقبناهما يتسوقان ويلعبان الكرة الطائرة على الشاطئ قبل الاقتراب منهما.

وحين اتجهنا الى الباب الأمامي استطعنا أن نرى شيريل ومعها امرأة أكبر سنا تستمتعان بأشعة الشمس في الحديقة الخلفية. كانت هذه المرأة هي أمها روتشيل أثناء قيامها بعطلة. دققت جرس الباب فدخلت شيريل فاتحة الباب الأمامي بعد ذلك بلحظات.

وقالت «هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لكما» «نحن من الساندي تايمز في لندن كنا نقوم بعمل تحقيق في أحد الموضوعات. هل يمكننا الدخول لنتحدث اليك قليلاً» لبرهة بدا في عيني شيريل بنتوف بريق ينم عن صدمة التعرف.

«آ أجل. تفضلا بالدخول.» أجابت وهي تتقدمنا الى داخل المنزل. ثم تركتنا في حجرة الجلوس وخرجت الى الحديقة كي تتشاور بهدوء وان يكن بحدة مع المرأة الأكبر سنا. وبعد ذلك بعدة لحظات دخلت المرأتان المنزل وقدمت شيريل المرأة الأكبر قائلة انها أمها. فقلت «اسمعي لقد كنت أحد الرجال الذين

أحضرا موردخاي فعنونو الى بريطانية من أستراليا. لقد نشرت جميع الصحف الاسرائيلية هذا. ولا بد أنك تعرفين كل ما يتعلق بهذا الموضوع لأنه الآن في السجن هنا.» «نعم» «ونحن مهتمون للغاية باكتشاف من تكون المرأة التي تسمى سيندي والتي أحضرت موردخاي...» فقالت شيريل مقاطعة «هل توجد امرأة كهذه» «أجل. أنت هي تلك المرأة. لقد تحققنا من هذا بما لا يدع مجالا لأي ظل من الشك. اذ من الواضح أنك في ذلك الوقت كنت تعملين لصالح جهاز المخابرات السري الاسرائيلي وكانت لزوجك صلة بهذا. كما أني مهتم بـ «...فقالت شيريل قاطعة حديثي» هل تقول هذا «أعني أن زوجي على صلة بالمخابرات الاسرائيلية» «بالطبع» فسألت «ومن أين عرفت هذا كله» «من الجلي أن أحد الأشياء وثيقة الصلة بهذا هو اسم سيندي وهوية الشخصية التي اتخذتها» فأجابت «أنا لا أدعى سيندي» «بلا لكن هذا هو اسم شقيقة زوجك.» «انك تعرف كل شيء عن عائلتي» «نعم نعرف كل شيء. وكانت طبعا اخصائية تجميل.»

فأجابت شيريل «لم تكن سيندي اخصائية تجميل» وتدخلت أمها قائلة «لم تكن أخت زوج ابنتي اخصائية تجميل مطلقا. فأخت زوج ابنتي حين كانت في المدرسة في الولايات المتحدة في محل... كانت تدرس في المدرسة لبعض الوقت وتعمل في محل للملابس ليس كاخصائية تجميل.»

في هذه المرحلة وبعد أن طلبت من كلينا أن يتهجى اسمه كي تستطيع كتابته رفضت شيريل أن نسجل كلامها وسألت عن امكان ترتيب لقاء حين يكون زوجها موجودا. حينئذٍ أشرت الى أنها أثناء الحوار لم تنكر ولو مرة واحدة أنها سيندي. فصاحت وهي تنهض «اني أنكر هذا. وأنكر كل شيء.» فأدركت أن المقابلة، انتهت فالتقطت آلة تصوير معلقة حول رقبتي وأخذت عدة لقطات.

وجرت الى حجرة نوم وهي تحاول تغطية وجهها وأغلقت الباب. فطرقت الباب بطريقة مهذبة ملحا عليها أن تخرج. كان من الواضح أن روتشيل في حالة من الذهول من هذا التطور. وأخذت تردد أن شقيقة زوج ابنتها لم تكن اخصائية

تجميل. وغادرنا المنزل قائلين اننا سوف نكون على اتصال.

بعد ذلك في نفس اليوم اتصلت بزوجها تليفونيا على رقم منزله بناتانيا. «حضرت أنا وأحد الزملاء لمقابلة زوجتك هذا المساء. هل أخبرتك بذلك» «نعم. قالت انكما حضرتما تسألان أسئلة حمقاء متسببين في ضيق لها هي وأمها.» «اني آسف اذا كانت تعتقد أننا نضايقها. فنحن لم نفعل ذلك. ونحن نريد الحضور كي نسأل بعض الأسئلة عن تورط زوجتك في اختطاف موردخاي فعنونو الفني النووي الموجود في السجن في هذه اللحظة. فهل في امكاننا ذلك» «كلا فهي لا تريد التحدث اليكما.» «هل يمكننا الحضور لمقابلتك اذن» «اذ لدينا بعض الأسئلة نود أن نوجهها لك.» «كلا. ولا تحضرا وتضايقا زوجتي مرة أخرى والا فسوف أتصل بالشرطة.»

بعد ذلك في نفس اليوم تم الاتصال مرة أخرى بعوفر بنتوف. ومرة أخرى رفض اللقاء لمناقشة المزاعم وضحك حين سألته عن عمله في المخابرات قائلا «هذا ليس صحيحا. لقد كنت أعمل سائقا بالجيش.» وبعد محادثة استغرقت عشر دقائق قلت «لست أدري ما اذا كنت لاحظت ذلك ولكن لم تنكر مرة واحدة أنها متورطة في هذا الموضوع.» «أجل. اني أنكر ذلك. وليس لدينا ما نقوله.» ولكن في المساء كان المنزل مهجورا. وبعد المقابلة ببضعة أيام ردت امرأة على تليفون أسرة بنتوف وقالت ان شيريل «تقوم برحلة في السفاري الأفريقية.»

وبعد ذلك بثلاثة أشهر قال عمال البناء الذين كانوا يعملون في المنزل ان أسرة بنتوف تسكن في تل أبيب وهم يتصلون من وقت لآخر كي يسألون عما اذا كانت هناك أي اتصالات. وبعد ذلك بستة أشهر حين كان طول العشب قد بلغ ارتفاعه قدما في الحديقة والبرتقال يثمر فوق أشجار الفاكهة قالت احدى الجارات ان أسرة بنتوف تسكن في احدى الكيبوتسات. وقالت «لست أدري متى سيعودون.»

حين اتصلت السائدي تايمز بستانلي هانين في فلوريدا كان أقل صراحة. اذ رفض أن يقابله أحد غير أنه حين سُئل عن ابنته شيريل وعن امكان تورطها في الاختطاف أجاب «لم أرها منذ سنوات أين هي وماذا تفعل» وأخذ يزعم أنه

على جهل تام بتصرفات شيريل أو أنشطتها. وحين أخبر بأننا نعلم أنه رأى شيريل في السنة السابقة أثناء زواج راندي قال «اسمعوا اني لا أريد أن أتورط في هذا الأمر. ولا أعرف أي شيء عنه.» ولما سُئل عن عوفر رد قائلا «كل ما أعرفه أنه ولد طيب.»

أما أم سينثيا فقد دونت ملحوظات عن المزاعم ووعدت بأن تتحدث الى سينثيا وتعاود الاتصال بنا غير أنها لم تفعل ذلك. وفشلت جميع المحاولات اللاحقة للوصول اليها هي وابنتها. وبعد العودة الى فلوريدا لم تكن والدة شيريل أكثر صراحة عما كانت أثناء وجودها في اسرائيل. اذ أنها حين أخبرت للمرة الثانية بأن الساندي تايمز تعتقد أن ابنتها لها يد في اختطاف فعنونو أجابت قائلة «استمروا.»

وحين رسم تسلسل الأحداث السيناريو أمامها مرة أخرى أجابت «لا أعلم أي شيء.» ولكن حين قيل لها أنها لا بد وأن تكون لديها فكرة ما ردت «حقا ليس لدي ما أقوله.» وكانت تجيب على أي سؤال بعد ذلك اما بالقول «ليس لدي ما أقوله» أو «ليس لدي علم بأي شيء» في احدى المرات قالت متطوعة «أعرف بالقدر الذي يعرفون هم الصحفيون به» وعبر الحاخام حييم روزواسكي عن الدهشة حين قيل له ان الساندي تايمز تعتقد أن شيريل لعبت دورا رئسياً في اختطاف فعنونو قائلا «أو لقد غررت به. هذا كلام جديد بالنسبة لي.» ووصفها بأنها شابة لطيفة مبهجة. هي تشعر المرء بأنها جارته ثم استطرد قائلا «لكني أعلم تمام العلم أنها مواطنة اسرائيلية ملتزمة.» وقال عن عوفر بنتوف «كان شأنه شأن أي شاب عادي يحب ويتزوج. ولم يكن له أي سلوك أو تصرف خاص. فهو انسان لطيف حسن الهيئة وذكي. اني لمندهش من أن تكون لشيريل أي صلة أو علاقة بهذا الموضوع. فمن واقع معرفتي الشخصية بهذين الشخصين أقول انهما ليسا من هذا النوع.»

هل عثرنا على سيندي من ناحية الظروف الواقعة يبدو أننا وجدناها. ذلك أن شيريل استعارت هوية شقيقة زوجها وقد كان هذا راجعا الى أن العملية قد تمت على عجل بحيث لم يكن من الممكن اختراع شيء آخر. لقد رآها صحفيان

كما أن كونيت الذي كان معي حين واجهنا شيريل كان مقتنعا بأنها هي المرأة التي رآها مع فعنونو تنظر الى دور السينيما في ميدان ليسيستر. ومع ذلك في اسرائيل لم تعد شقراء أو تستعمل الكثير من مساحيق التجميل. اذن من ناحية مثالية كنا في حاجة الى المزيد من الأدلة.

جاء هذا الدليل من اكتشافي أن امرأة اسمها شيريل هانين كانت قد أقامت في فندق اكلستون في لندن قبيل وصول أوسكار جيريرو الى الفندق للاقامة. على سجل الفندق ١٤٨ «مارجيت ميوز لونجوود» عنوان عائلتها في فلوريدا وكانت جنسيتها الموضحة هي الولايات المتحدة الأمريكية. انتهى التعقب ولكن هل كان هذا هو كل شيء؟ وهل كانت بنتوف تعمل من أجل اسرائيل فقط أم هل كانت تساعد الولايات المتحدة أيضاً مما يثير الشهية أن قصة ظهرت في الولايات المتحدة توحي بهذا بالضبط كما أنها أشارت الى وجود علاقة بفلوريدا. كانت مجلة، سبوتليت، ورقة اخبارية يمينية معادية للسامية يديرها الميليونير غريب الأطوار ليندون لاروش ولكن يعرف عن هذه المجلة أنها تتمتع بصلات جيدة بين أجهزة المخابرات الأمريكية وكانت تستخدم العملاء السابقين.

نشرت المجلة تقريرا تذكر فيه أن مصدرا على صلة بحقائق المخابرات في الشرق الأوسط كشف عن أن فعنونو تم اختطافه في عملية مستترة قام بترتيبها عملاء من الموساد ووكالة المخابرات المركزية. واستطرد التقرير «مع أنها لم يتم التعرف على شخصيتها باسمها الكامل أو الحقيقي الا أنه يعتقد أن سيندي هي مطلقة أمريكية انتقلت من ميامي بفلوريدا الى اسرائيل في أوائل العشرينيات من عمرها كي تكمل تعليمها العالي وبعد ذلك ذهبت للعمل مع وكالة المخابرات المركزية للقيام بأعمال مستترة أي تحت ستار عمل عادي كما أنها قامت ببعض التكليفات من أجل الموساد.» وقالت مجلة سبوتليت ان بيرس نفسه هو الذي جر أمريكا الى المؤامرة" ففي مكالمة تليفونية عن طريق خط مؤمن أجراها مع البيت الأبيض شكا فيها من أن فعنونو يعد عنصرا مثيرا للاضطراب كما أنه خطر على الأمن يحاول بيع أسرار ذرية لمن يدفع أكثر بما

في ذلك المخابرات السوفييتية وطلب مساعدة الولايات المتحدة... يعتقد الناس في اسرائيل الذين لهم صلة وثيقة بقضية فعنونو أن أحد أسباب الستار الأمني الكثيف كان ناتجا عن الخوف من أن التورط الأمريكي في الاختطاف قد يفتضح أمره. استمرت الموساد في الصراع بمساندة فريق من المحامين للإحتفاظ بتفاصيل ما حدث في روما وأي شيء عن بنتوف في طي الكتمان.

ما الذي يصنع جاسوساً كانت شيريل بنتوف هانين قاسية حازمة لا تعرف الخوف تدين بالولاء لمن يتحكمون فيها. تدربت على أن تقتل اذا ما اقتضت الظروف ذلك وكانت وما تزال أنانية منغلقة على ذاتها. ليس في قلبها مكان لأمثال فعنونو - أي الناس الذين يجازفون بكل شيء من أجل المبدأ. نشأت في أسرة مضطربة الى حد ما في فلوريدا وظلت في غربة عن أبيها ستانلي هانين. كان قد باع محاله المزدهرة في مجال الاطارات بمبلغ اثنين وثلاثين مليون دولار وتقاعد منفقا معظم أيام السنة في يخته. عموما تظل شيريل مرتبطة بأمها روتشيل التي تعرف أيضا باسم ريكي وتقضي وقتا طويلا في فلوريدا كما تحتفظ بمنزل جميل في كوهاف ياعير وهو حي راق مترف قريب من شمال شرق تل أبيب وعلى مسافة يسهل الانتقال اليها من المقر الجديد للموساد على الطريق السريع بين تل أبيب وحيفة في هيرتزيليا.

منذ أن قابلت روتشيل في منزل ابنتها في ناتانيا ظلت ترفض على مر السنين التحدث الي أو الى غيري من الصحفيين. وكذلك ظلت شيريل صامتة غير أن جاك شيفمان الذي كان يعرفهم جميعا قدم صورة حية لآل هانين وآل بنتوف. اذ كان يعيش مع روتشيل لمدة احدى عشرة سنة بعد أن انهار زواجها من ستانلي انهيارا حادا. كانت عائلة شيفمان تملك مسرح أبولو في هارلم ولكن في فترة متأخرة من حياته كان يعيش في فيلا أنيقة على أرض خاصة جيدة الحراسة في ضواحي أورلاندو الشمالية. حين زرت شيفمان عام ١٩٩٦ وكان في ذلك الوقت في الرابعة والسبعين من عمره دخل مباشرة في الموضوع «أعرف كل شيء عن موضوع فعنونو يا بيتر. كنت أعرف شيريل وكنت أعرف جميع أفراد العائلة وكيف لا» اذا سمحت انهم أناس شواذ في بعض النواحي.

اذ كانوا ينفرون من أي نوع من الدعاية الزائدة الى حد الوسواس القهري من الأمر بأكمله هذا هو رأيي الشخصي. والمصابون بهذه الحالة بالتحديد يكون لديهم منهج في التفكير أبسط مني ومنك. انه عالم مختلف بأكمله.. فهم شديدو الشك... فعلى سبيل المثال ذهبت الى اسرائيل عدة مرات مع ريكي هانين وكنا نقيم مع شيريل وزوجها حين كنا نذهب الى هناك. وكان ذلك قبل وأثناء وبعد أن ملأ موضوع فعنونو الصحافة وكانت هناك صورة لشيريل تقول ان هذه المتخرجة من المدرسة الثانوية متورطة في هذه القضية الغريبة.

«كانوا يخشون من بين ما يخشونه من أنه من الممكن أن تغتالهم عائلة فعنونو... على أية حال فقد انخرطوا في ما أسميه عملية تخفي محكمة محاولين اخفاء شخصياتهم وما الى ذلك... وقلت للجميع ان هذه أشد الأشياء حمقا سمعت عنها. وقلت اني لست على هذه الدرجة من الألفة مع هذه البلاد ولكني اذا أردت أن أعثر على شيريل فسوف أعثر عليها في خلال يومين اذ ليس على المرء أن يكون شيرلوك هولمز فهذا بلد صغير.

«بدأت أول ما بدأت في احدى الكيبوتزات حيث التقت بزوجها الحالي وعاشا هناك لكنهما حين تزوجا اشتريا هذا المنزل في ناتانيا. وحين ظهر موضوع فعنونو هذا انتقلا الى مكان آخر. كانت صلتي بالعائلة حميمة بقدر ما يمكن لأي شخص. وكان أعز شيء يتمنونه هو رؤية هذه القضية وقد علاها الغبار وطواها النسيان.»

«قال شيفمان لقد اكتشف حقيقة شيريل قبل أن يتم التعرف على شخصيتها باعتبارها سيندي. نعم كنت أعرف ذلك ولكن ليس بفترة طويلة جدا. وكانت أمها ريكي صديقتي تعرف ذلك ولكنها لم تخبرني بذلك أبدا على الرغم من أننا كنا نعيش معا. وأخيرا ذات يوم روت القصة بأكملها بقدر كبير من المراسم والكثير من الزخارف التافهة أو لنقل روت ذلك القدر من هذه القصة الذي كان لي امتياز العلم به. ومنذ اكتشفت جوانب أكثر عنها قرأت كل ما كتب عنها تقريبا من قبيل التسلية ليس الا.

«لست أظن أنها كانت بطلة بأية حال غير أني لا أقول هذا لأي شخص.

وبخاصة لأفراد الجالية اليهودية لأنهم يعتقدون أنها بطلة عظيمة.» في احدى الليالي قلت لريكي وكان ذلك حين ذاعت القصة قلت لها لنفترض أن فعنونو لم يفعل ذلك بهدف الربح. لنفترض أنه فعل ما فعل لأنه يعتقد آن كشف هذا الموضوع كله يمكن أن يكون له آثر في تحسين عدم انتشار الأسلحة الذرية.»

«كان ذلك هو اقتناعي الشخصي. في هذه الحالة هل يعد بطلا آم يعد شيطاناً هل هو خائن آم هو يؤمن بالمثاليات ربما يكون شخصا ضالا في آعين الحكومة الاسرائيلية..» أنا شخصيا أعتقد أن الكشف عن برنامج الطاقة الذرية هذا كان هو بالضبط ما آرادت الحكومة الاسرائيلية آن تفعله غير آنهم لم تكن لديهم الشجاعة التي تمكنهم من أن يفعلوه بأنفسهم. . «لقد آدهشني آن أكتشف أن شيفمام لديه هذه الآراء القوية في شخصية شيريل» بقدر ما يعنيني الأمر فأنا أكره استخدام هذه الكلمات الثلاث في التحدث عن هذه القصة آعتقد أن ما فعلته كان شنيعا. وأظن أنها بشكل ما آو بآخر قد تم استغفالها من جانب الحكومة الاسرائيلية بحيث تنجر وراء عملهم القذر... وآظن انهم اعتقدوا آن الحكومة البريطانية سوف يكون لها رآي غاية في القتامة عن شخص يختطف شخصا آخر من بريطانية بينما كانوا هم يعتقدون آن الحكومة الايطالية سوف تكون آقل ضيقا بكثير من هذا التصرف. آما اذا كان هذا حقيقي فلست آدري ولكن من الواضح أن الناس الذين دبروا هذه المؤامرة رآوا آنه سوف يكون من الأيسر اخراجه من ايطاليا عما لو حاولوا اخراجه من بريطانية وفي واقع الآمر ثبت آن هذا صحيح.»

لم يكن لدى شيفمان آي شك في آن مستخدم شيريل الرئيس هو الموساد «يمكنني آن أقول ذلك دون آن يداخلني الشعور بأني آكشف عن شيء لا ينبغي أن أكشف عنه. لقد ذهبت من هنا الى اسرائيل فتاة في المرحلة الثانوية وكانت عنيدة كما تعرف ومتصلبة الرآي – وكانت بالنسبة لي مصدر صداع حقيقي» «...لم تكن تحبها كثيرا» «هذا تعبير معتدل فأنا لا آحبها ولم آحبها ولن أحبها آبدا. وهي لا تحبني مما يدل على آن حكمها على الناس يتسم بقلة الذكاء يضحك. ذهبت الى اسرائيل وكونت هذا الخاطر الرومانسي بأن تقيم في بلد

رائد وأن تصبح على الأصح جزءاً من تاريخه. لذا عادت بعد قضاء صيفها الأول هناك وأعلنت أنها عائدة الى اسرائيل كي تقيم هناك. ولا أظن أن هذا قوبل بفرح كبير من جانب ستانلي هانين وريكي غير أنها كانت متشبثة برأيها.

فذهبت ويفترض أنها تعلمت العبرية حين كانت هناك وهي تتكلمها بفصاحة ولكن بلكنة سيئة. وأفترض أنها جندت في الموساد من خلال وجودها في الجيش.» كانت متفرغة. حين كنت هناك كانت تذهب الى العمل بطريقة متكتمة. كنت أنا وريكي نوصلها بالسيارة الى تل أبيب حيث كنا نتركها عند نقطة غير محددة المعالم يصعب وصفها. وكانت تختفي في الضباب. ان زوج شيريل هانين عوفر بنتوف رجل لطيف غير أني لا أتقبل بقيتهم. وأرى أن اسرائيل مكان يثير الاضطراب والبلبلة انها بلاد تثير الاهتمام غير أن الناس متعجرفون يتسمون بالغلظة ويصعب التمشي معهم. فأنا واحد من اليهود القلائل الذين أعرفهم والذين لا يحبون اسرائيل.

شيريل وعوفر لديهما طفلتان ابنتان صغيرتان أظن الصغرى عمرها أربع سنوات تقريبا والكبرى عمرها سبع سنوات. وقد حملت الآن اسمها النظامي بنتوف وهي وعوفر على ما يرام. ولست أدري هل ما زالت تعمل مع الموساد. أنت تفهم أني أمتلك بعض المعلومات التي لا أشعر حقا بأني حر في مناقشتها ما لم أكن في حل من التزامي. فأنا مخلص لامرأة افترقت عنها.

«عوفر رجل لطيف جدا فهو رجل أعمال في كل من الولايات المتحدة واسرائيل. في الحقيقة هو لم يلتحق بالجيش من أجل خدمته السنوية منذ ظهرت قصة فعنونو. اذ أنها رتبت أن يتم تحاشي هذا في كل مرة يستدعى فيها. وأخر شيء عرفته هو أن عوفر يبيع مؤناً للكيبوتزات اذ كان هو نفسه من أعضاء الكيبوتزات ويمكن القول بأنه يفهم لغتهم.»

لقد شاهد شيفمان بنفسه كيف كان رد فعل شيريل حين تم التعرف على شخصيتها" كانت لديها ردود أفعال مختلطة جدا. قالت انها لا تريد كل هذه العلانية وأعتقد رغم أنها لا تسلم بذلك أن الأمر كله كان يخيفها الى حد ما. ومن ناحية أخرى كانت بطلة. اذ نشرت الصحف الاسرائيلية صورا لها. وهي ربما

تعرف متضخمة الذات.

«انها شخصية صعبة لقد ورثت هذا عن أمها. لست أشعر بالضغينة على الاطلاق. فكل من يعرف ريكي هانين يعلم أنها تقول انها تمقت المواجهة ولكن لا تثيرها. فلسوف تواجه وهي جاهزة للمواجهة في الظروف الملائمة.»

أكد شيفمان أن شيريل اتخذت هوية سيندي شقيقة زوجها بسرعة بعد أن أرسلت الى لندن. «هذا صحيح. لقد تناولت العشاء مع سيندي الليلة. ولا أظن أن الموضوع في حد ذاته تسبب في أي احتكاك ولكن لأن شيريل امرأة من النوع الصعب فلا يوجد حب مفقود بين شيريل وسيندي. اذ أنهما لم يحبا بعضهما أبدا. حسن لست أدري اذا ما كانت شيريل لا تحب سيندي ولكني أعلم أن سيندي لا تحب شيريل والغريب لسوء الحظ أنها أيضا لا تحب أخاها راندي.

«نعم ظلت أمها قريبة منها ولأمها ابنة أخرى تعيش في نيو يورك بني. انها صغرى الاخوة هانين وعلاقتها بأختها ملتبسة للغاية. انها علاقة تتكون من مزيج من الحب والكره. لست أعلم ما نوع العلاقة في الفترة الأخيرة ذلك لأني محروم ،ن الانتماء الى العائلة الآن.

«واحدة من المشكلات من وجهة نظر الموساد أنه بالرغم من أن شيريل لم تكن منشغلة بأنشطتها لوقت طويل الا أن لديها امتياز معرفة الكثير من المعلومات. ويمكنها ني رأيي وأنا في هذا أفكر قليلا من أجلك انها لن تترفع عن استخدام هذا كسلاح اذا كان هناك شيء تريد منهم أن يفعلوه أو العكس. اذ انها قالت لي ذات يوم لقد قرأت الكثير عن هذه القصة وصدقني ان جميع القصص التي قرأتها مخطئة في ناحية من النواحي. حسن أنت تعلم أن الحقيقة تكون أحيانا في عيني من يشاهدها. وما يبدو كلاما مقدسا بالنسبة لها قد يعني شيئا بالنسبة لشخص آخر. لذا اذا روت القصة رواية موضوعية لا يستطيع أحد أن يميز بين ما هو صدق وما هو وهم.»

قلت لشيفمان اني كنت دائما في حيرة حين أفكر في ما عساه يكون قد جذب فعنونو لشيريل «هذه الدنيا غاصة بالحمقى ربما أكون أنا واحدا منهم

وهؤلاء يرتكبون خطأ بافتراض أن قضيبهم عضو التناسل له عقل. أعني أن هذا الرجل ارتكب أكبر عمل أبله اذ أنه وضع رأسه في أنشوطة أو شرك.

«شيريل ليست امرأة سيئة المنظر - ان حجمها أكبر قليلا وأكثر ليونة من أمها. وتتمتع على أي حال بجاذبية جنسية شديدة سواء ذهبت فعلا الى الفراش مع فعنونو أم لا. كنت كثيرا ما أتعجب من رد فعل زوجها أتدري لو أني كنت مكانه كنت لأقول، انتظر دقيقة مع من ارتبط بالزواج وعلى أي مستوى، ولكنه رجل معتدل الطبع مع أنه ليس أبله بأية حال.» لم تذكر لي أي شيء عن هذا الأمر. لقد خمنت بضعة تخمينات بطريقة عقلية لأني أعرف السيدة بل وأعرفها بأكثر مما تظن هي. انها تزعم أن تغريرها بهذا الرجل لم يُفضِ الى الفراش وانما الى روما وقد تصدق أمها ذلك أو لا تصدقه. أما أنا فأجد من الصعب تصديق ذلك. أتعرف ماذا يسمون ذلك في تأريخ جميع منظمات التجسس - انه يسمى جرة العسل وكانت هي جرة العسل.

«ليست لدي أية فكرة عن أنشطتها الأخرى. أعلم أنها قالت لأمها في احدى المرات، اذا كنت تعتقدين أن هذا هو الشيء الوحيد الذي فعلته فيمكنني أن أقول انه ليس كذلك. فهناك أشياء أخرى فعلتها من أجل الحكومة الاسرائيلية أكثر وقاحة وتجاسرا من هذا، لقد سافرت الى جميع أنحاء العالم من أجلهم أعني أنهم طاردوا هذا الرجل في كل الدنيا قبل أن يلحقوا به. كان قد غادر اسرائيل وذهب الى أستراليا. وكانوا في أعقابه عبر رحلته كلها. ذلك أنهم كانوا يشكون في أنه سوف يفعل ما فعل.» اعتادت أن تتصل بأمها من باريس من جميع أنواع الأماكن دائما غير أنها لم تخبرها أبدا بما كانت تقوم به. فشيريل عميلة مجربة وكانت أمها معتادة على أن تسميها، ابنتي الجاسوسة.

وقال شيفمان انه ليس على علم بأي مشكلة تتعلق بكونها مواطنة أمريكية «لا أظن أن هناك أية مشكلة من هذه الناحية. ولكنها لن تعود الى انجلترا مرة أخرى. اذ شعرت بأنها غير آمنة من الناحية القانونية اذا رأى أحد وجهها هناك. لذا بمجرد أن غادرت انجلترا لم تعد أبدا. ذلك أن قضية فعنونو فضحتها كما لحق الضرر بفائدتها لهم كجاسوسة لأن القناع قد سقط. وأي شخص آخر

يمكنه أن يعرف الآن من تكون. استمرت في العمل معهم غير أني لا أعرف بأي صفة.»

بعد حديثي مع شيفمان بفترة قصيرة تم العثور على شيريل وهي تقود سيارتها الرياضية ذات السقف المتحرك في منطقة أورلاندو حيث استأجرت هي وعوفر منزلا بشكل مؤقت. كانا هما وبنتيهما يبيعون ممتلكات بالمشاركة في الاستخدام أي يشارك أكثر من شخص في استخدام شيء ما في أوقات مختلفة يتفق عليها مع أن الجيران في اسرائيل قالوا ان هذا ساتر. اذ أنها كانت حقا تقوم بتكليف جديد حسب اعتقادهم وهي تعمل كما كانت دائما مع الموساد.

لا بد أن وكالة المخابرات المركزية ستعلم بوجودها في فلوريدا بكل تأكيد وتسبب وجودها في فيض من التكهنات بأن شيريل بنتوف تخدم كلا من السادة الاسرائيليين والأمريكيين. أما بالنسبة لفعنونو فقد حل هذا لغزا واحدا. فقبل ذلك ببضعة أشهر قدم شكوى للمحكمة العليا الاسرائيلية من أجل اجراء تحقيق في عملية اختطافه من حيث «امكانية أن تكون سيندي مواطنة أمريكية تعمل مع وكالة المخابرات المركزية» من المحتمل الآن زائفة وأنها «قتلت من قبل نفس الأشخاص الذين نفذوا عملية الاختطاف.»

ويقر فعنونو بلا نقاش بأنه عرضة لنوبات من الوسواس القهري وأن وكالة المخابرات المركزية تفترس عقله. وكما سنرى الآن فان الولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية لديها أسرار تريد أن تحميها تتعلق ببناء ديمونة. فهي ساعدت بحق في تقديم بعض أكثر المعدات حساسية وفعلت كل شيء من أجل منع أي شخص من اكتشاف ذلك.

العامل الأمريكي

يعد ديمونة المركز العصبي لبرنامج اسرائيل الخاص بالأسلحة النووية وما زال المفاعل بقبته المميزة ينتج البلوتونيوم بعد أن مر بمرحلة حساسة بخمس وثلاثين سنة ثم بدأ يؤدي وظيفته. اذ تم كشفه بسهولة عن طريق طائرة التجسس يو ٢ عام ١٩٦٠ بحيث أن فكرة احتمال، ديمونة، آخر مختبئ في جزء آخر من اسرائيل لم يكن من الممكن أن تكون حقيقية. أم هل يمكن وجود مثل هذا المفاعل «وصلني دليل دامغ على هذه الامكانية بالذات من مصدر غير متوقع في ضواحي لندن. كما أنه تحدى الاعتقاد الشائع بأن فرنسا قدمت جميع المعدات الفنية التي مكنت اسرائيل من صنع القنبلة.

بعد وقت قصير من نشر الساندي تايمز لما كشف عنه فعنونو جاء التأكيد من باريس بأن فرنسا كانت بالفعل قد ساعدت على امداد اسرائيل بالمعدات اللازمة لمصنع فصل البلوتونيوم وكذلك المفاعل. اذ كان بروفسور فرانسيس بيران المعروف بأبي برنامج القنبلة الفرنسية في الخامسة والثمانين من عمره غير أنه كان ما زال يمتلك ذكريات واضحة عن الكيفية التي قدم بها المساعدة سرا من خلال سلسلة بالغة السرية من العقود المربحة. وكان يشرف على قوة فرنسا المؤثرة باعتباره المفوض السامي للطاقة الذرية من ١٩٥١ الى ١٩٧٠. أخبرني حين زرته في شقته الأنيقة «في ١٩٥٧ وافقنا على بناء مفاعل ومصنع كميائي لانتاج البلوتونيوم. اذ كنا نريد أن نساعد اسرائيل. وكنا نعلم أن البلوتونيوم يمكن استخدامه لعمل القنبلة غير أننا اعتبرنا أيضا أنه يمكن استخدامه للأغراض السلمية.»

وأضاف الأستاذ «وأبقي هذا سرا بسبب الأمريكيين. اذ كانت لنا اتفاقية بموجبها يسمح بعودة العلماء الفرنسيين المتصلين بالعمل في الأسلحة

النووية في كندا أثناء الحرب العالمية الثانية أن يعودوا الى فرنسا ويستخدموا معرفتهم فيها ولكن شريطة أن يتم الاحتفاظ بالأسرار. ففكرنا في امكان اعطاء الأسرار لاسرائيل بشرط أن يحتفظوا بها سرا هم أيضا.»

وقال بيران اننا فهمنا أن اسرائيل كانت قد أبلغت الولايات المتحدة بالغرض من انشاء ديمونة «كنا نعتقد أن القنبلة الاسرائيلية تستهدف الأمريكيين ليس بمعنى اطلاقها على أمريكا ولكن بغرض توجيه رسالة مؤداها اذا كنتم لا تريدون مساعدتنا في هذا المأزق فسوف نطلب منكم مساعدتنا والا سوف نستخدم قنابلنا النووية.» على أية حال تغير الجو بين اسرائيل وفرنسا حين أصبح شارل ديغول رئيسا في عام ١٩٥٩.

تم استدعاء بيران واتفق على توقف التعاون مع اسرائيل. وقال الأستاذ «كان الاقتراح بألا نساعد اسرائيل على بناء الأسلحة هو اقتراحي اذ فكر في أن العسكرية الفرنسية تعمل بأكثر مما ينبغي مع اسرائيل.» وقال ان ديغول وافق على استمرار مصنع البلوتونيوم «لأن لدينا اتفاقية متبادلة واعتقدنا أنه من الصالح لفرنسا أن تكون لديها امكانية العمل مع اسرائيل.» أما العقود الأخرى فقد أنهيت.

ان زعم بيران بأنه هو الذي اقترح التغير في السياسة ليس حقيقيا. اذ أنه منذ البداية لم يكن ديغول راضياً عن الصفقة التي تمت بين شيمون بيرس وبن غوريون وأسلاف ديغول في الحكم كما أوضح في مذكراته. أما بيران من ناحية أخرى فكانت لديه كل الأسباب التي تصيبه بالاحباط لأن أصدقاءه في الصناعة النووية الفرنسية يمكن أن يخسروا على الأقل بعض العقود القيمة التي تم الاتفاق عليها. كما كان على علم أيضا بأن علماءه في حاجة الى المساعدة المنظرين الاسرائيليين النوويين الأذكياء.

في الواقع استغرق الأمر عامين آخرين قبل أن تتمكن فرنسا من الانسحاب من بعض الصفقات النووية. اذ أدت الاجتماعات بين ديغول وبن غوريون الى طريق مسدود ورفض رئيس الوزراء الاسرائيلي طلبا فرنسيا بالسماح بتفتيش المجمع. وأشرف بيرس على مفاوضات مطولة في محاولة أخرى لتأخير تنفيذ

أوامر ديغول.

وأخيرا استكمل العمل في المفاعل ومصنع الفصل وكسبت اسرائيل وقتا كافيا كي تجد مزودين بدلاء جاهزين لتقديم معدات أخرى حساسة. كانت هناك مشكلة واحدة كبيرة - وهي كيفية اكتساب أجهزة التحكم في حالة العمل المطلوبة لرقابة وتنظيم تشغيل المفاعل. فبدون جهاز تحكم يصبح المفاعل غير قابل للإلستخدام - ومع ذلك توقف الفرنسيون عند نقطة امداد اسرائيل بهذا الجهاز المعقد المتشابك. وفي عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢كان الرئيس جون كندي يمارس ضغطا شديدا على بن غوريون للتحقق من أن ديمونة يستخدم للأغراض السلمية فقط. لذا فانه مما يدعو للسخرية أن جهاز التحكم الخاص بالمفاعل بأكمله - قدمته شركة أمريكية بعد تمام بنائه واختباره وتجربته.

وبذلك انتهكت القانون الأمريكي الخاص بالطاقة الذرية وذهبت كل مذهب للتأكد من أن ما قامت به من احتيال لن يكتشف أبدا. وصل الى مكتبي خطاب غامض من أوبتينجتون بكنت يبين بتفاصيل دقيقة كيف نجحت اسرائيل في اتمام برنامج تصنيع قنبلتها دون تأخير. كان بيتر ديفيز قد قرأ عن فعنونو والحملة المنظمة لاطلاق سراحه. وكتب يقول «ان ما يمكنني أن أقوله قد لا يفيد حملتكم غير أنه قد يضيف الى وجهة النظر القائلة بأنه حين كان الاسرائيليون ينشئون أول معداتهم للأبحاث الذرية عام ١٩٦٢ كانوا يتمتعون بتأييد ضمني من الولايات المتحدة.

«ففي الوقت الذي كنت أعمل فيه في شركة أمريكية في بلجيكة كانت الشركة تزود اسرائيل بأجهزة التحكم والرقابة لثلاث مفاعلات، سرية،. كانت الطلبية كبيرة في ذلك الوقت. .بحيث جعلت مصنعنا في حالة عمل دائم لمدة تسعة أشهر تقريبا وكان هناك ثلاثة مهندسين اسرائيليين مقيمين وحاضرين معنا في ذلك الوقت لأنه لم يكن مسموح لنا أو مطلوب بأن ننفذ التركيبات النهائية اذ من الواضح أن هذا كان نقلاً للتكنولوجيا من الولايات المتحدة لم تكن قد ظهرت كثيرا جدا في الولايات المتحدة. وفي ذلك الوقت طلب منا جميعا أن نقسم على السرية. كانت الشركة هي التراسرلاب سا

كان الخطاب بتوقيع بيتر ديفيز الذي وافق على مقابلتي حين اتصلت به تلفونيا وعلى أن يقدم رواية تفصيلية لما عرفه معرفة مباشرة. وكان خطابه يثير الدهشة بصفة خاصة لأنه بدا واثقا من أنه قد تم تجهيز ثلاث حجرات للتحكم. فهل يمكن أن يعني هذا أن اسرائيل على مدى النصف الثاني من هذا القرن العشرين كانت لديها مفاعلات أخرى مختفية عن الأنظار» ويمكن أن تكون مصممة بالتأكيد مثل ديمونة للامداد بالبلوتونيوم اللازم للأسلحة النووية ربما أيضا الطاقة الحرارية. لقد أشار هذا الكشف الجديد الى أن اسرائيل لديها برنامج عسكري أكبر بكثير مما اشتبه فيه أي شخص حتى ذلك الوقت رغم أنه يفسر لغزا واحداً هو السبب في أن مصنع فصل البلوتونيوم في مجمع طبقا لأرقام فعنونو كان ينتج بلوتونيومَ نقياً أكثر من الكمية التي بدا أن مفاعل ديمونة قادر على انتاجها.

لقد أظهر فحص تراسرلاب الشركة التي يبدو أن بيتر ديفيز عمل فيها في وقت من الأوقات كانت من الرواد الأوائل بين الشركات الأمريكية في تصنيع المعدات النووية. اذ أنها قدمت اسهاما مهما للمجهود الدفاعي الأمريكي عن طريق تقديم الكترونيات المفاعل لاسطول أمريكا من الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية بما في ذلك النوتيلس. لذا فان تراسرلاب كانت لها مصلحة تجارية مضمونة في الاحتفاظ بروابط وثيقة مع وزارة الدفاع الأمريكية ووزارة الخارجية الأمريكية وتدين بالطاعة للسياسة الخارجية الأمريكية - ليس في العمل ضدها.

كانت القصة التي رواها ديفيز تعني اما أن حكومة الولايات المتحدة كان لها يد في مساعدة اسرائيل في حصولها على القنبلة وذلك بغض النظر عن أنشطة تراسرلاب أو أن رؤساء هذه الشركة وهي احدى كبريات شركاتها في الخارج كانوا يعرضون أنفسهم لمجازفات جسيمة من الاتهامات الجنائية بل وحتى لحكم الاعدام - وهي أكبر عقوبة - في اللوائح - استهدافا للكسب لسريع. فقامت بترتيبات لتجهيز الأجهزة مسبقا في الولايات المتحدة على أن يتم التركيب النهائي في مكان آخر وذلك للتغطية على ما تقوم به. واختارت

بلجيكة دون غيرها من الأماكن.

تكونت شركة تراسرلاب وولثام المندمجة ماساتشوسيتس عام ١٩٤٥ بواسطة مجموعة من العلماء بمعهد ميشيجان للتكنولوجية. وفي عام ١٩٦٢ أصبحت فرعا لمعمل الالكترونيات وهي شركة أمريكية كبيرة للالكترونيات. وقدم معمل الالكترونيات جهاز رادار وأجهزة الكترونية للطيران لوزارة الدفاع الأمريكية. وفي ١٩٦٩ انتقلت تراسرلاب الى الهيئة الوطنية الكميائية النووية. غير أن تراسرلاب توقفت عن التجارة في السبعينيات من القرن العشرين. في العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية أصبحت تراسرلاب في وقت قصير واحدة من كبريات الشركات في العالم من حيث صناعة معدات قياس ومراقبة الاشعاع. ومع مقدم عام ١٩٦٠ تطورت في مجالين رئيسين. ففي وولثام أنتجت معدات قياس الاشعاع للمعامل وكذلك النظائر المشعة. أما في ريتشموند فكانت تنتج مفاعلات عسكرية ومدنية.

وفي أكتوبر عام ١٩٦٢ كان مصنع ريتشمون يعلن عن أجهزة لرقابة الاشعاع تستعمل «في الغالبية العظمى من مواقع المفاعلات من الساحل الى الساحل»، بما في ذلك انريكو فيرميا وبيكوا وهمبولت النقطة الهندية ودريسدين. ولكن الشركة لم تكن تملك حرية التفاخر علنا باسهامها المهم في المفاعل العسكري الذي كان سريا آنذاك في الولايات المتحدة. وكانت في الواقع مسؤولة عن تصميم أجهزة التحكم في المفاعلات وتقديمها لأسطول الغواصات البحرية النووية التابع للولايات المتحدة وكانت الغواصة نوتيلس هي أولاها. وتبين قصاصة من احدى الصحف كتبت عام ١٩٦١ أن تراسرلاب رفعت قضية ناجحة على موظفين سابقين بها كانا قد أنشآ شركة مستقلة في أولباني بولاية كليفورنيا تقوم بانتاج أجهزة مراقبة لمفاعلات الغواصات. كما تبين اعلانات أخرى ظهرت في مجلات الهندسة النووية في أوائل الستينيات من القرن العشرين تراسرلاب وهي تعرض أجهزة تحكم مفاعل كاملة لأنواع أخرى من المفاعل أيضا. لذا كانت قادرة على تقديم التكنولوجية الحساسة لدراسة العملية الداخلية التي تتم في المفاعل ولتحديد أي خلل وظيفي وهي واحدة من

عدد قليل جدا من الشركات يستطيع فعل ذلك.

كما سبق أن شرحنا فان المفاعل هو جهاز أو وسيلة تحتوي على عناصر نووية مثل اليورانيوم التي يسمح لها باحداث طاقة انشطارية تحت ظروف مراقبة بعناية. ويتم الاحتفاظ بالتفاعل الانشطاري الذي ينتج كميات كبيرة من الحرارة عند مستوى ثابت بادخال وسحب عصي تحكم من صلب أو نواة المفاعل.

أما جهاز رقابة المفاعل فيقيس الاشعاع عند نقاط مختلفة داخل المفاعل وخارجه بحيث يختبر كونه يعمل عند المستوى المحدد ويعطي الانذار لدى حدوث الانصهار. كما أن الجهاز يبين ويكشف عن حالات التسرب. ويجب جعل كل قطعة من المعدات تقريبا مزدوجة أو جعلها ثلاثة أضعاف مع وجود آليات للأمان من حدوث قصور في عملها. لذا كانت خبرة تراسرلاب حساسة لنجاح برنامج مفاعل آمريكا النووي الأول وضمان عمله بسلام سواء في ذلك المفاعل المدني أو العسكري.

وقد أخبرني ديفيز أنه في عام ١٩٦٠ تولت تراسرلاب شركة بلجيكية تسمى الشركة الصناعية الطبيعية أي الفزيائية التي كانت تصنع معدات رقابة لمركز الطاقة الذرية البلجيكي الصغير في مول شرق أنتويرب. وكانت هذه الشركة لها مقر في الطابق الأول من مطار دويرن بأنتويرب وكانت تستخدم مخبأ عسكريا تحت الأرض تحول فيما بعد ليصبح مكانا لانتظار السيارات بالمطار. كان هذا المخبأ السري تختزن فيه مصادر اشعاعات النيوترون وأشعة جاما القوية التي كانت جوهرية لوضع العلامات واختبار أجهزة الكشف عن الاشعاع.

كما تفاوضت تراسرلاب على صفقة رابحة مع ميستر ا. سبيندي عمدة مالين وهي بلدة بين أنتويرب وبروكسل لبناء موقع لحقل أخضر. كذلك وافق سبيندي الذي كان أيضا وزيرا للاقتصاد على تزويد الشركة بهكتارات عديدة من الأراضي بثمن رخيص على أطراف دائرته الانتخابية خارج مدينة ميشلان. وتم بناء مجمع حديث للمكاتب ومكان للصناعات الصغيرة على وجه السرعة ليفتتح في خريف. ١٩٦١ وأصبحت هذه هي مقر تراسرلاب الأوربي الجديد

وهجرت المكاتب الموجودة في مطار أنتويرب مع الاحتفاظ بالمخبأ الخفي تحت الأرض. وحضر حفل افتتاح المقر الجديد عدد من الشخصيات المحلية المرموقة مع أشيوكلوس رئيس تراسرلاب وهنري هاردينج رئيس معمل الالكترونيات. وحين جاء وقت الاعلان عن افتتاح المقر تقطع طريقاً عبر المدخل عن طريق وسيلة تفجيرية صغيرة أطلقها مصدر اشعاعي. فقال أوشينكلوس بفخر «آمل أن تستطيع هذه البداية الجميلة وان كانت صغيرة أن تزهر فتصير مجمعا صناعيا كبيرا يكون نواة في بلجيكة لصناعة الالكترونيات.»

ويتذكر ديفيز أنه في أواخر ١٩٦٢ أو أوائل ١٩٦٣ أصبحت فائدة الفرع المنبثق عن ميشلان بادية للعيان. وكان هانز بيتر برايرز رئيس المصنع مبتهجا عند استلام طلبية ضخمة عن طريق عملية ريتشموند بالولايات المتحدة. فقرر توظيف ديفيز وهو مهندس ميكانيكي مديرا فنيا للمبيعات بناء على توقعه لحجم العمل الذي سوف يكون مطلوبا. قال ديفيز «كان هانز برايرز معي في سيارة أجرة في بيكادلي وأخبرني أنه تسلم توا هذه الطلبية الضخمة. والسر الكبير أن الطلبية كانت من أجل ثلاثة وليس من أجل جهاز تحكم واحد كما كتب في الطلبية. ذلك أن الذي تلقيته هو ٥ ميليون دولار... وبدا أن هذا مبلغ هائل من المال.»

بادئ ذي بدء كان ديفيز مقره لندن غير أنه مع الوقت كان يزور ميشلان بانتظام «كنت أذهب كل أسبوعين أو ثلاثة كي أقيم لمدة يومين. وقيل لي ان المكان مزدحم بالطلبية الاسرائيلية. ومن الواضح أن المشروع كان مشروعا كبيرا جدا لأن الأشياء كانت تجمع في حاويات كبيرة مثل تلك التي توجد في محاط الكهرباء مع رسوم للأشياء وأزرار وعدادات ولم تكن المساحة تستخدم كي تجعلها مدمجة ومحكمة ولكن كي تبدو لطيفة في الحجرة التي من المقرر أن تستخدم فيها.»

بدأ التركيب في أكتوبر ١٩٦٣ واستغرق ما بين ستة وتسعة أشهر حتى اكتمل واشتغل فيه جميع العاملين الذين يبلغ عددهم ٧٥ بالاضافة الى بعض العاملين المؤقتين. قام مهندسو الانتاج الذين حضروا من الولايات المتحدة

بانشاء خطوط التجميع. أما الأجزاء المكونة فكانت تستورد الى حد كبير من مركز مراقبة المفاعل في ريتشموند بكليفورنيا. كذلك كانت جميع الخطط ورسوم توصيل الأسلاك واجراءات الاختبار تأتي من الولايات المتحدة. وكان قسم الهندسة الميكانيكية في ميشلان يقوم بصنع الحافظات المعدنية التي كانت توضع فيها المعدات أما المصنع البلجيكي فكان منشغلا بصفة رئيسة بالتجميع والاختبار واجراءات التحكم في الجودة. وسرعان ما امتلأت كبائن التحكم بصفوف مبهرة من العدادات والمفاتيح ورسوم التدفق كانت كلها تحضر دون تركيب من الولايات المتحدة. وقال ديفيز كان هناك قسم غريب شاذ من الطلبية ينص على أنه ليس من المطلوب من تراسرلاب أن تقوم بتركيب الجهاز في اسرائيل. فكان من اللازم أن يعمل على أكمل وجه ويكون مضبوطا تماما قبل مغادرة التراب البلجيكي.

وحين يتم اكمال جهاز بحيث يكون جاهزا للاختبار النهائي والقبول والارسال تفحصه وتوافق عليه مجموعة تصل الى ١٢ من الاسرائيليين يزورون المصنع كما قال ديفيز. في ذلك الوقت كان هناك ثلاثة مهندسين اسرائيليين مقيمين جميعهم يحاولون أن يكونوا مجهولي الهوية بأكبر قدر ممكن «لم يرد الاسرائيليون التحدث الي - هم رجال يرتدون حللا رمادية اللون ومن المذهل أنهم كانوا يضعون رابطات عنق. يمكنني أن أتذكر أنه طلب مني أن أذهب الى واحد أو اثنين منهم وألقي التحية. وفعلت فلم تبد منهم استجابة. وبدا الأمر مزحة ضخمة. في ذلك الوقت لم يبدُ ذلك شيئا مهما الا أننا كنا شديدي الامتنان للطلبية. وثمة جزء آخر من المزحة الضخمة هو أنه لم يكن هناك عودة أي لم تطلب خدمة ما بعد البيع. وهذه ميزة كبيرة جدا.»

كان هناك جانب حساس في الاختبار النهائي وهو وضع علامات على قياس المعدات بمصادر اشعاع شديدة القوة. لذا كانت المعدات تؤخذ الى المكان الموجود تحت الأرض في مطار دويرن ويتم اختبارها بمصادر أشعة النيوترون والجاما الموجودة هناك. وقال ديفيز كانوا أقوياء جدا «حتى أنهم كانوا يثيرون أعصابي.»

كان برايرز دائما يضحك متفاخرا بضربته الرابحة كان يقول، «لقد حصلنا على هذه الطلبية والشيء الذي لا يعرفه أي انسان وهو نكتة سرية هو انها لثلاث معدات جميعها متطابقة وجميعها سوف تذهب وكأنها طلبية واحدة، كان يتمتع بحس فكاهي عال.. اذ لم يكن هناك أي شك في أنهم باعوا ثلاث أجهزة رقابة مفاعل.»

انضم اد شميتس الى تراسرلاب في أغسطس ١٩٦٣ كمهندس خدمة اختبار يمتلك معرفة بالترنزيستورات. فيما بعد أصبح مدبرا تنفيذيا لشركة يوروجينيكس في بلجيكة. وكانت الطلبية الاسرائيلية التي قيل له انها سوف تبدأ الانتاج في خلال شهرين تعتمد على الترانزيستور الى حد كبير. ومن ذلك الحين فان المعدات التي بنيت في ديشلان استخدمت فيها صمامات لشحنات كهربية متوهجة ترانزيستورية كانت في ذلك الوقت قد أصبحت قديمة غير مستعملة

يتذكر شميتس أن الطلبية كانت «كبيرة جدا» وتم تدريب ثلاث اسرائيليين على المعدات تحت توجيهه. وأكد أن المعدات الخاصة بمراقبة المفاعل كانت تجيئ من مصنع تراسرلاب في ريتشموند. ولم يستطع أن يوكد أن المعدات كانت من أجل ثلاث أجهزة بالتحديد غير أنه قال انه من السهل جدا القول بانها بهذا الحجم. وأكد على أن الاختبار النهائي واتمام الصفقة كانا يتمان في بلجيكة.

كان هيوبرت فيرستيجين مهندس صيانة شاب حين التحق للعمل بتراسرلاب في سبتمبر ١٩٦١ وكان مثله مثل شميتس يتذكر ديفيز جيدا ولقد صار فيما بعد مدير المساندة الأوربي لشركة معمل الآلات سي تي او ديكينسون في بلجيكة كما يتذكر هو أيضا السرية التي أحاطت بالطلبية الاسرائيلية وكيف أنها ملأت المصنع لعدة أشهر بالمعدات القادمة من ريتشموند. كليفورنيا.

وقال جوي هوسياو الذي كان مسؤولا عن الاختبار النهائي للمعدات في تراسرلاب ان أجهزة «عديدة» لرقابة المفاعل أرسلت الى اسرائيل كما قال ان

المعدات كانت ترسل بنفس القدر من السرية الى جنوب أفريقية وكوبا . وبفضل تراسرلاب أصبح مفاعل ديمونة حساسا عام ١٩٦٤ حيز أصبح مصنع فصل البلوتونيوم يعمل بعد ذلك ببضعة أشهر . وشهد فعنونو للساندي تايمز أنه أنتج بمرور الوقت ما متوسطه ٤٠ كيلوغرام من البلوتونيوم في السنة وذلك بناء على تذكره الدقيق لمعدلات التدفق الكميائي من خلال المصنع.

تكمن المشكلة في الأرقام التي قدمها فعنونو في أنك كي تستطيع أن تنتج ٤٠٧ من البلوتونيوم كل سنة سيكون على مفاعل ديمونة أن يعمل بقوة مستواها ١٥٠ ميجاوات وهذا يعادل تصميمه الأصلي بست مرات. وكان عدد من الخبراء بمن فيهم خبراء وكالة المخابرات المركزية يميلون الى عدم القبول برقم ٤٠٧ على أساس أنه سيكون من العسير جدا توسيع المفاعل الذي تبلغ طاقته ٢٤ ميجاوات الى هذا القدر الكبير. كما أضاف فعنونو الى هذه الشكوك بقوله أنه يفهم أن مفاعل ديمونة لم يكن يعمل بما يزيد عن ٤٠ ميجاوات وهو لا يزيد عن ثلاثة أضعاف تصميمه. لذا كان بعض الخبراء ينحون الى التقليل من الأرقام.

وبدلا من القبول بوجود ترسانة نووية اسرائيلية عام ١٩٨٦ ربما تقدر بحوالي ٢٠٠ رأس حربي يحبذون قبول عدد كبير منها يدعو للقلق. غير أن قصة تراسرلاب تفتح المجال للامكانية التي يستحيل اغفالها وهي أن مصنع فصل البلوتونيوم في ديمونة مزود على الأقل بمفاعل سري واحد موجود في مكان ما في اسرائيل - وهو شيء لم يشك فيه أي شخص خارج المنشأة النووية الاسرائيلية. فلا يحب أي أحد أن يركن الى مصدر وحيد من الإمداد وخاصة العسكريين ومن وجهة النظر هذه يكتسب افتراض ديفيز بأنه تم بناء مفاعل آخر وبالطبع سيكون انجاز هذا أمرا معقدا سواء من ناحية العثور على المادة الخام التي تجعله يعمل أو من ناحية اخفائه عن طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية. مهما يكن من أمر ليست هذه من المشكلات التي يصعب التغلب عليها .

فبعد أن حصلوا على خطط التصميم من صناعة التصميم النووي الفرنسية

كان في امكانهم البدء في بناء اثنين بطريقة سرية بالاستعانة بمصنعين اسرائيليين والتغطية عليه ربما كمحطة طاقة تقليدية. يستخدم المفاعل عصا وقود مصنوعة من اليورانيوم الطبيعي يخفف في حمام من الماء الثقيل ومن المحتمل تأسيس مفاعل آخر على نفس المبدأ.

والحصول على اليورانيوم الطبيعي أيسر من الحصول على نوع بديل من الوقود اليورانيوم المشبع ويبين الفصل العاشر كيف أن جنوب أفريقية كانت على استعداد لأن تقدم كميات كبيرة من خام اليورانيوم. كما أن اسرائيل لديها رواسب من البطاس الطبيعي تستخلص منه اليورانيوم الطبيعي. لقد كانت المشكلة الأكبر التي كانت تواجه اسرائيل في الستينيات من القرن العشرين هي الحصول على الماء الثقيل. وهنا على أية حال توجد دلائل على أن اسرائيل حصلت على ما يربو على الكفاية منه. ولقد قام الأستاذ جيري ميلهولين بدراسات تفصيلية لمشتريات الماء الثقيل السرية التي قامت بها اسرائيل.

وهذا الرجل هو خبير نووي يقيم في واشينجتون. وتشير هذه الدراسات الى أن صادرات من الماء الثقيل من المنتجين الرئيسين الى اسرائيل في تلك الفترة – من الولايات المتحدة والنورويج كانت تكفي لامداد مفاعل آخر.

في احدى المراحل كانت لدى واشينجتون شكوك في أن اسرائيل لديها خطط لبناء ديمونة، آخر. وفي عام ١٩٦٠ صدرت الأوامر لوزارة الخارجية الأمريكية بممارسة الضغط على بن غوريون في ما يتعلق بالأغراض التي أنشئ مفاعل ديمونة من أجلها وأن تستكشف المزيد عن المفاعل الآخذ في التشكل والذي حددت مكانه طائرات التجسس الأمريكية. فوضعت خمسة أسئلة في برقية مقتضبة ما هي خطط اسرائيل للتخلص من البلوتونيوم «هل توافق اسرائيل على ضمانات الحماية» هل توافق على أن يزور علماء من الوكالة الدولية للطاقة الذرية الموقع «هل في امكان اسرائيل أن تعلن أنها ليست لديها خطط لتطوير أسلحة نووية «وكان السؤال الخامس» هل هناك مفاعل ثالث في مرحلة التشييد أو التخطيط.»

كان من المعروف أن اسرائيل لديها مفاعل أبحاث طاقته ٥ ميجاوات مأمون

في نحال سورك بالقرب من تل أبيب مقدم تحت البرنامج الأمريكي، الذرة من أجل السلام، بالاضافة الى المخزون النووي غير مضمون الحماية في ديمونة. وعلى ضوء ما صرح به ديفيز يبرز التساؤل عن مفاعل ثالث باعتباره تساؤلا غاية في الذكاء ويعجب المرء فيما اذا كان هناك شخص في واشينجتون يعرف ما عسى أن تكون الاجابة عليه.

أما ديفيز فكان متأكدا من أن ثلاث أجهزة تحكم أرسلت الى اسرائيل. تم تركيب أحدها بالطبع في ديمونة والثاني يمكن أيضا تحديد مكانه بفضل اكتشافات بيير بيان وهو صحفي فرنسي. اذ نشر عرضا لتعاون بلاده مع اسرائيل في كتابه بعنوان، القنبلتان، كشف فيه كيف تم تركيب حجرة مراقبة ثانية في المجمع للتمويه على الزائرين الفضوليين.

لقد وصف كيف أن فرق التفتيش الأمريكية التي زارت ديمونة لبضع سنوات في الستينيات من القرن العشرين كانت تنخدع بأن المفاعل لم يكن أساسا ينتج البلوتونيوم وكان يزود بطاقة ضئيلة وذلك بجعلهم يرون أجهزة رقابة زائفة.

اذ كتب يقول «لقد أنفق الاسرائيليون الكثير من القدرة على التخيل والطاقة والمال للاعداد للزيارات التي كان الخبراء الأمريكيون يقومون بها. اذ كانوا يعدون من أجل القيام بممارسة فريدة في فن التعمية... ولم يكن الاسرائيليون يرتكبون أي خطأ من حيث الرسوم الزائفة والمحفوظات الخادعة والمعطيات المزيفة المتعلقة بعمل المفاعل. والا لكانت أمريكا قد اكتشفت على الفور أي تضارب.

«كانت النقطة الحيوية في هذه العملية هي حجرة التحكم التي تبلغ مساحتها ٨٠ متراً مربعاً والتي كان الأمريكيون يعملون فيها. كانت الآلات موصلة بكبل صوري لاحداث جميع الظواهر الفزيائية... وكانت حجرة التحكم الخداعية هذه تضم محطة سيطرة وأزرار تحكم ومنطقة تفاعل. ويمكن للأمريكيين من محطة السيطرة مراقبة القياسات الرئيسة... كما تمكنهم منطقة التفاعل من قياس سلسلة التفاعل الذي يحدث في العمق. وخلف الكبل كان

يوجد جهاز كمبيوتر غير أنه خفي يحتوي على نماذج رياضية لوظائف مخزون غير منتج للبلوتونيوم. وكان هذا الكمبيوتر يقوم بحساب جميع القراءات النيوترون الكهربية والميكانيكية الحرارية الحركية الديناميكية المسجلة في حجرة التحكم. وعلى طول هذا الكبل كان هناك عدة مهندسين مختبئين في الحجرة للاشراف على العملية.»

ويضيف بيان «مع كل مفاتيح التحكم هذه ووسائل تسجيل الضغط وقياسه وأجهزة قياس درجة الحرارة وغير ذلك من الآلات من كل صنف لا بد للمرء أن يعتقد أنه على صلة بنبض الموضوع في صميمه. ولم تكن جميع هذه الآلات في الواقع سوى لعب غالية الثمن مصممة لخداع الأمريكيين. ولم تكن أية آلة منها متصلة بالمفاعل.»

لم يكن بيان بالطبع يعرف وكذلك المفتشون الأمريكان أن الجهاز الذي خدعهم كان من المؤكد تقريبا مقدماً من تراسرلاب. واذا كان الأمر كذلك فان هذا يبقي موضع حجرة تحكم واحدة غير معروف.

فأين يمكن اخفاء مفاعل آخر «ذلك أن اسرائيل بلد ضئيل الحجم وتعدد فرص التمويه على مفاعل محدودة. لقد كان التخنيون المعهد الاسرائيلي للتكنولوجية الواقع بالقرب من حيفة موقع التخزين لبعض الماء الثقيل الخاص بالولايات المتحدة وهو داخل حرم جامعي متسع. عموما فهو غاص بالطلبة بمن فيهم الفلسطينين ويمكن أن يتسبب القصور في اجراءات الأمن في وقوع مشكلة.

يوجد بالبلاد عدد من القواعد العسكرية تقع في مناطق جبلية وصحراء النقب هي موقع السلوات السلوة هي مبنى اسطواني خبي أو أسمنتي طويل للقذائف الباليستية المسلحة نوويا تعج كل منها بأجهزة دفاعية. من الناحية النظرية يمكن اخفاء مفاعل في جبل تم حفر حفرة عميقة فيه بحيث يبدو مجوفا كما يكون جيد الحراسة غير أن اندفاع الحرارة الناتج عن عملية الانشطار يمكن أن يشكل مشكلة.

تفتقت قريحة الاسرائيليين عن أن الحل الأوفق هو التمويه على المفاعل ربما كأنه مصنع لتحلية مياه البحر يعمل بالطاقة النفطية. وفي أوائل الستينيات من القرن العشرين قامت اسرائيل بعمل تطويري رائد على استخدام الحرارة الناتجة عن مفاعل نووي لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة. فبما أنها كانت دائما تعاني من نقص حاد في المياه العذبة يعد مثل هذا الحل حلا منطقيا غير أنه على ما يبدو لم ينفذ أبدا.

تبين التقارير الصادرة في هذه الفترة أن رأس البرنامج الاسرائيلي للطاقة الذرية بروفسور ايرنست بيرجمان كان مهوسا باستخدام الطاقة النووية في ازالة ملوحة مياه البحر وكانت الولايات المتحدة حريصة غاية الحرص على تقديم المساعدة. وفي عام ١٩٦٥ أجريت دراسة اسرائيلية أمريكية مشتركة على عمل تصميم لمصنع كبير. بينت هذه الدراسة أن التكنولوجية يمكن اعمالها «غير أن تكاليف المياه لم تكن «مقبولة بتمويل غير تقليدي.» عليه فان استخدام الحرارة الناتجة عن المفاعل للتحلية بالاضافة الى انتاج البلوتونيوم للأغراض العسكرية يمكن أن يكون بالطبع مصدرا لتقديم مورد للتمويل، غير تقليدي، عموما لا يوجد أي دليل على أن هذا المشروع قد تخطى مرحلة الرسم على اللوحات ولم يتحقق حلم بيرجمان. وتم بناء مصنع تحلية كبير ينتج مليوني غالون من الماء العذب يوميا في ايلات في منتصف الستينيات ولكن التقارير تشير الى أنه قائم على احتراق النفط.

ان قصة مساهمة تراسرلاب في تزويد اسرائيل بالقنبلة الذرية قصة مليئة بالتآمر. فمن غير المحتمل أن الرئيس كندي كان على علم بما يقدم سرا من بلجيكة ولكن ما هو أكثر من مجرد احتمال أن الشركة كانت تسعى للحصول على ايماءة حصيفة بالموافقة من جهة في واشينجتون. فهل كانت وكالة المخابرات المركزية تلعب لعبة مزدوجة كما أوحى بذلك تد تسولك وهو مراسل شؤون ديبلوماسية ومراسل الشؤون الخارجية في النيو يورك تايمز في أغسطس عام ١٩٧٥. اذ كتب يقول «مع أن تفاصيل المشروع النووي

الاسرائيلي ما زالت على أعلى درجات السرية الا أنه من المعروف أنه في أعقاب حرب السويس في عام ١٩٥٦ قررت ادارة أيزنهاور تزويد اسرائيل بكل مساعدة ممكنة لتطوير سلاح نووي. .وتم ارسال العديد من العلماء النوويين سرا الى اسرائيل للعمل مع علماء ديمونة. كان أهمهم عالم فزياء بريطاني المولد هو الآن مواطن أمريكي يعمل لدى حكومة الولايات المتحدة في واشينجتون وله علاقات خاصة غريبة معوكالة المخابرات المركزية» ويبدو أنه من الممكن على الأقل أن سيندي وزملاءها من الموساد لم يكونوا يساعدون اسرائيل وحدها لتجنب الاحراج الناتج عن كشف هذه الأشياء المثيرة حين قبضوا على موردخاي فعنونو. اذ أن أمريكا لوقت طويل كان لديها الكثير مما تخفيه.

الرقص مع الشيطان

في شهر أغسطس من عام ١٩٩٣ أعلن فو دي كليرك رئيس جنوب أفريقية اعلانا خطيرا أمام البرلمان في كيب تاون. في ذلك الوقت كان حزبه الحاكم ومن قاموا على تنفيذ سياسة الفصل العنصري وارهاب الدولة يعدون لانتقال حتمي للسلطة الى نلسون مندلا والمؤتمر الوطني الأفريقي. وأخبر دي كليرك سامعيه بأن جنوب أفريقية قد بنت سرا سبع قنابل ذرية غير مطورة مثل تلك التي أسقطتها الولايات المتحدة على ناجاساكي ومن بين هذه القنابل هناك واحدة غير مكتملة. وبناء على توجيهه في عام ١٩٩٠ تم تدميرها جميعا كما قال.

لذا فهو يستطيع أن يؤكد للجميع بكل جدية أن جنوب أفريقية خالية الآن من الأسلحة النووية. وتوقعا منه لبروز قضية أخرى أضاف القول «أود أن أؤكد على أن جنوب أفريقية لم تكتسب تكنولوجيا الأسلحة النووية أو المواد اللازمة لذلك من أي بلد آخر. كما أنها لم تزود أي بلد بأي من هذه الأشياء كما لم تتعاون مع أي بلد آخر.» وبالطبع لم تكن هذه الأقوال هي كل الحق. اذ أنني بينت في الواقع في كتابي، المؤامرة المصغرة، الذي كتبته بالاشتراك مع الصحفي الجنوب أفريقي ستيف ماكيلان أن جنوب أفريقية بنت ترسانة نووية كبيرة ومتقدمة بالاضافة الى الصواريخ الباليستيكية اللازمة لاطلاقها. وتلقت المساعدة من الولايات المتحدة ومن بعض الدول الأوربية والأهم من ذلك من اسرائيل.

لم تتسبب أي كلمة نطقها دي كليرك في المزيد من الشك من اشارته للعون الأجنبي. اذ قال روجر جاردين منسق المؤتمر الوطني الأفريقي للعلوم والتكنولوجيا في ذلك الوقت بعد ذلك «من المضحك القول بأن جنوب أفريقية قد بنت قدراتها في انتاج الأسلحة النووية دون مساعدة خارجية... فخلال عشرات

السنين تم توثيق التعاون توثيقا جيدا كما كتب عنه. ونحن نقدر الدور الذي لعبته اسرائيل وألمانيا الغربية على سبيل المثال.» واستطرد قائلا «اذا لم يتحدث الرئيس دي كليرك بصراحة عن مدى برنامج الأسلحة النووية فلا بد من اعتبار كلامه في البرلمان محاولة مضللة للحصول على مكاسب سياسية حزبية من قضية ذات أهمية عالمية.» كان جاردين بذلك يهاجم رجلا يجب أن تصدق كلمته - فهو مع مندلا فائز بجائزة نوبل. غير أن أكثر الأبحاث بدائية في تاريخ جنوب أفريقية النووي يبين أن تشييدها لمجمع نووي شاسع في بيليندابا بالقرب من بريتوريا مشابها لديمونة لم يكن له أن ينجز دون مساعدة خارجية على نطاق واسع. لذا يجب أن يثور السؤال لماذا لم تتحدى القوى الغربية مزاعم نظام جنوب أفريقية في ما يتعلق بالأسلحة النووية «والاجابة هي أن جنوب أفريقية شأنها شأن اسرائيل مفيدة بأكثر مما ينبغي للولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية كحصن ضد، شرور، الشيوعية. وهناك القليل من الأمم الأفريقية التي تريد اجراء تقصٍ لمعرفة من ساعد نظام الفصل العنصري لأن أيادي معظم هذه الأمم ملطخة كما هو الحال مع اسرائيل. من الناحية الرسمية كانت جنوب أفريقية تحتل مكانة الدولة الحثالة المنبوذة غير أنها من الناحية غير الرسمية كانت تقدم موطئ قدم قيم في أفريقية الجنوبية فهي قاعدة مثالية لمراقبة جنوب المحيط الأطلنطي.

لقد أصدرت الأمم المتحدة حظرا على مبيعات الأسلحة عام ١٩٦٣ فتلا ذلك مجرد تعهدات دون تنفيذ. اذ قال سير اليك دوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطاني أن بلاده سوف تعارض مبيعات الأسلحة لاجبار نظام الفصل العنصري على إطاعة القانون غير أنها ستحترم الالتزامات الخاصة ببيع الأسحلة للأغراض الدفاعية - وهو تمييز دقيق جدا. أما الولايات المتحدة فقالت انها سوف تفسر الحظر على ضوء متطلبات التأكد من صيانة السلم والأمن الدوليين.

وقال سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة «اذا كانت مصالح المجتمع الدولي تتطلب تقديم المعدات للاستخدام من أجل المجهود الدفاعي

المشترك فلسوف نشعر بالطبع أننا قادرون على فعل ذلك دون انتهاك روح هذا القرار أو الهدف منه.»

ثمة دولة أخرى لم تضطر الى أن تزعج نفسها بدقائق ديبلوماسية الأمم المتحدة اذ أنها كانت بسرعة تتحول هي نفسها الى دولة منبوذة. ففي الوقت الذي كانت جنوب أفريقية والأمم المتحدة يتنازعان كان العالم العربي بأكمله يصطف ضد اسرائيل. فسار برنامجها النووي من الستينيات فصاعدا بالتوازي مع صناعة تسليح متنامية تناميا سريعا كالفطر مع احكام قبضة الدولة عليه. وحين اشتمت اسرائيل رائحة وجود ضغط من الدول الغربية للتصالح مع الفلسطينيين نما التعاون بينها وبين جنوب أفريقية. ذلك أن كلا الدولتين شعرت بأنها في وضع ضعيف أكثر فأكثر وبالرغم من أنهما ليستا رفيقتين محتملتين الا أنهما وجدتا الكثير من المجالات التي يمكنهما مساعدة بعضهما البعض في اطارها.

في ١٩٦٨ شرحت دي بيرجر هذا التحالف غير الرسمي وهي صحيفة من الكيب موالية للحزب الوطني «هناك الكثير من الأشياء المشتركة بين اسرائيل وجنوب أفريقية. فكلاهما مشتبك في كفاح من أجل الوجود وكلاهما في حالة صدام دائم مع الأغلبيات الحاسمة في الأمم المتحدة... فمن مصلحة جنوب أفريقية أن تنجح اسرائيل في احتواء أعدائها الذين هم من ألد أعدائنا؛ ولسوف يقف العالم بأسره ضد اسرائيل اذا توقف طريق الملاحة حول رأس الرجاء الصالح عن العمل لأن تحكم جنوب أفريقية قد أصبح عديم القيمة.» وبالطبع لا تستطيع اسرائيل استخدام قناة السويس. وعلى ما يبدو فان القدس لا تعير أية أهمية كبرى لكون جنوب أفريقية دولة عنصرية. فلقد نحت الحقيقة المعروفة تمام المعرفة بأن الحزب الوطني المنقى السابق على الحزب الوطني كان شديد المعاداة للسامية وذلك لاعتبارات الضرورة القصوى. كانت بريطانية قد وضعت جون فورستر الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء جنوب أفريقية وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب تعاطفه مع النازيين. ولهذا السبب

وبسبب سيطرة العنصرية المفتوحة صوتت اسرائيل مع دول العالم الثالث عام ١٩٥٦ لاستصدار قرار يستنكر نظام الفصل العنصري باعتباره، بغيضاً يستحق الشجب، وبعد ذلك رجحت كفة الفكرة القائلة بأن عدو عدوي صديقي ومع مقدم السبعينيات كان هناك نسبيا حلف للدفاع المشترك. وقيل ان جنوب أفريقية أرسلت مقاتلات الميراج للمساعدة في حرب يوم الغفران في أكتوبر ١٩٧٣ ويقال ان احداها أسقطت على جبهة السويس. وفي عام ١٩٧٥ قام مير عامي الرئيس السابق للجهاز السري الاسرائيلي بزيارة لجنوب أفريقية. وقال ان الضباط الاسرائيليين يحاضرون نظراءهم في جنوب أفريقية بانتظام في موضوع الحرب الحديثة. وحين سئل عما اذا كانت العلاقات العسكرية جيدة أجاب قائلا «هذا كلام أقل من الواقع.»

كانت اسرائيل في ذلك الوقت تصدر أجزاء من الميراج والأسلحة الميدانية والصواريخ لسبع سفن من جنوب أفريقية. وقال ديتر هيرجارد الجاسوس السوفييتي ان جنوب أفريقية تبني الآن غواصة جديدة بمساعدة اسرائيلية - من المحتمل أنها مرفأ تسلم مثالي للصواريخ النووية - ذلك أن اسرائيل كانت لديها التكنولوجيا وجنوب أفريقية لديها المال لشراء شحنات كبيرة من على الرف، دون تعقيدات، المترجم - كما كان لديها كميات كبيرة من خام اليورانيوم.

في السنوات الأولى من البرنامج الاسرائيلي كان أوكسيد اليورانيوم يتم انتاجه جزئيا من الفسفات الذي كان يظهر بصورة طبيعية في صحراء النقب بالقرب من المجمع في ديمونة. ولاستكمال هذا كان يتم الحصول على كميات من اليورانيوم بطريقة سرية. وجاء في التقارير الصحفية أن نوميك وهو مصنع تجهيز النفايات النووية في بنسيلفينيا لم يتمكن من تحديد مكان حوالي ١٠٠٠ رطل من اليورانيوم المشبع وجدت طريقها الى اسرائيل.

وفي عام ١٩٦٨ اختطفت القوات الاسرائيلية الخاصة ٢٠٠ طن من خام اليورانيوم أو، الكعك الأصفر، من احدى السفن المبحرة من بلجيكة الى ايطاليا، ففي ما أصبح يعرف، بقضية، بلمبات ركبوا على ظهر سفينة بضائع

ألمانية تسمى شيرزبورج في البحر المتوسط وحين عاودت الظهور بعد ذلك بأسابيع بطاقم جديد واسم جديد كان ما عليها من بضائع قد سرق خفية.

عموما في منتصف السبعينيات من القرن العشرين احتاجت اسرائيل الى مؤن منتظمة فكانت صديقتها التي تحمي بحر طريق رأس الرجاء الصالح هي التي قدمت الاجابة. لم يكن الأمر يتعدى حدود الشك في أن مفاعل ديمونة يتم تزويده بالوقود من كعك جنوب أفريقية الأصفر الى أن تسربت تفاصيل عن محاكمات البريجادير يوهان بلاو السرية في مارس من عام ١٩٩٣. اذ اتهم بلاو الذي كان يعمل في وقت من الأوقات في القوات الجوية لجنوب أفريقية بمحاولة الضغط على فاني بوتا وزير المناجم السابق من أجل امتيازات

التعدين. اذ يزعم أنه هدد بأن يكشف عن أن بوتا كان مفلسا ولكنه بدلا من أن يعاقب بلاو تم فضح بوتا. وسمعت المحكمة انه كان كثيرا ما يقصر عن سداد ديونه حين كان وزيرا ورئيساً للمجلس النيابي كما أنه كان سكيرا. وقد أدلى القاضي ج. فريدمان بهذه التعليقات عن عضو البرلمان «لقد كان مستعدا للادلاء بشهادة الزور والتزوير والخداع؛ اذ كان مستعدا للتورط في القرصنة السياسية في أحقر أنواعها.. كان مستعدا للكذب عمدا بعد حلف اليمين... ذلك الشخص كان من غير الممكن الاعتماد على ما يقدمه من أدلة.»

أودع الوزير السابق في السجن لمدة عام ولكن السبب في أن القضية قد حفظت كأحد الأسرار القومية تحت قانون الطاقة النووية يتضح في ملخص للقضية تم تسريبه. بعد أن تقاعد بلاو من القوات الجوية لجنوب أفريقية عام ١٩٧٥ أصبح همزة وصل غير رسمية بين اسرائيل وجنوب أفريقية في الشؤون العسكرية. وفي عام ١٩٧٦ اتصل به عضو اسرائيلي في احدى الوكالات الحكومية كانت متورطة في شراء مواد نووية. وسُئل بلاو بهدوء عما اذا كان يستطيع ترتيب تزويد اسرائيل بكعك جنوب أفريقية الأصفر.

اتصل البريجادير بفورستر رئيس الوزراء وجنرال هينريك فان دن بيرج رئيس مكتب أمن الدولة الرئيس. ووافق فورستر على الفور على تفويض بتقديم شحنة غير أن بييت كورنهوف وزيره للمناجم كان يعارض الصفقة معارضة

شديدة وحاول عرقلتها. وسرعان ما عين محله السكير فاني بوتا اذ كان من الواضح أنهم يتوقعون منه أن يكون أكثر تواطؤاً.

قال حكم المحكمة «شهد بلاو بأنه في تلك المرحلة كانت هناك درجة عالية من الثقة تنمو بين حكومتي جنوب أفريقية واسرائيل كانت تشمل تبادل التكنولوجية العسكرية ومشروعات فضاء مشتركة وكذلك تزويد اسرائيل لجنوب أفريقية بالمعرفة الفنية في ما يتعلق بصناعة الأسلحة.» ولاقى أول تسليم قام به بلاو للكعك الأصفر النجاح فطلبت جنوب أفريقية شيئا على سبيل رد الجميل. اذ سأل فان دير بيرج اذا كانت اسرائيل تستطيع أن تزودهم بالترتريوم النظير الهيدروجيني المستخدم في الأسلحة النووية الحرارية. وكان ماخون ٢ حيث كان يعمل فعنونو ينتج بالطبع المادة الثمينة بكميات منتظمة واتفق على كمية من ٣٠ غرام تكون البداية.

كان هذا عملا شديد السرية واتخذ اسما حركيا هو أوراق شجر التيبل. كانت هناك ١٢ شحنة جوية تحتوي كل منها على بضعة غرامات ولكن كل منها كانت كبيرة بالقدر الكافي لبدء تفجير نووي. كانت كل حمولة مصحوبة بكبار الضباط من جنوب أفريقية واسرائيل وكما تقول التقارير كان رئيسا الحكومتين يحاطان علما بسلامة وصول كل شحنة.

تبين سجلات المحكمة أن عمليات التسليم انتهت عام ١٩٧٨ غير أن ٥٠ طن من الكعك الأصفر اتخذت طريقها الى اسرائيل ثم تم ارسال ٥١٠ كي، تختزن. بعد ذلك ذكرت السجلات «تم الافراج عن هذه الكمية كي تستخدمها اسرائيل.» ولا يوجد أي تفسير عن الجهة التي حفظت من أجلها.

في ١٩٩٤ تم سؤال مكتب دي كليرك عن التقارير التي تتحدث عن واردات الترتريوم. «لم تكتسب جنوب أفريقية تكنولوجيا الأسلحة النووية من بلد آخر.» على حد قول هيئة موظفي مكتبه الذين استطردوا «مع أن التريتريوم يمكن استخدامه في وسائل التفجير النووية... الا أن له العديد من الاستخدامات التجارية الأخرى.»

كان التعاون تقريبا من المؤكد على رأس جدول الأعمال حين قام فورستر

بزيارة رسمية لاسرائيل في ابريل من عام ١٩٧٦ حيث لاقى ترحيبا حارا من رئيس الوزراء اسحق ربين. وقال ربين في حفل عشاء أقيم تكريما لفورستر ان كلا من الدولتين تواجه مشكلة التعايش في وجه «عدم استقرار موحى به من الخارج وكذلك الطيش. ولهذا السبب فنحن هنا نتتبع بكل تعاطف جهودكم التاريخية العظيمة لتحقيق الانفراج في قارتكم.»

وخمنت الصحافة وجود تعاون عسكري ولكن فورستر قال هذا «محض هراء» ومع هذا فأثناء جولة في منتجع شرم الشيخ في البحر الآحمر قال ان التعاون مع اسرائيل سوف يمتد ليشمل عددا من المجالات بما في ذلك المسائل العلمية والفنية. فخمنت الصحف آن صفقة نووية على وشك التوقيع وحتما تم انكار ذلك. لقد زعم آن موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي فاز من فورستر بالتزام باجراء سلسلة من التجارب النووية في جنوب آفريقية.

في عام ١٩٨٨ نشر المؤلف بنيامين بييتحالامي دراسة عن صلات بلاده العسكرية الخفية مع نظام الفصل العنصري تسمى الارتباط الاسرائيلي. وكتب يقول «كان العالم يتفرج على اسرائيل وآحيانا جنوب آفريقية وهما تستخدمان الأفكار القديمة التقليدية عن السلاح النووي. ان ما طورته بعض العقول اللامعة في اسرائيل هو حل اسرائيل لمشكلة اسرائيلية. وكانت جنوب آفريقية الشريك والمنتفع. اذ آن الدولتين آدركتا في عام ١٩٦٥ آن ما يحتاجان اليه هو الأسلحة النووية التكتيكية. وهذا آدى الى تطوير القنبلة النووية تنطلق من هاوتزر ٥٥ مم أو من مدفع بحري تمت تجربته في عام ١٩٧٩.»

كانت فترة آواخر السبعينيات فترة حرجة بالنسبة للتعاون بين اسرائيل وجنوب أفريقية بينما كان يتم الاعداد لخطط لاختبار أسلحتهما النووية الأولى. وكانت بالتآكيد أكثر تقدما بكثير من القنبلة الذرية. اذ كانت جنوب آفريقية لفترة طويلة هي الموقع المختار غير آن محاولات اجراء اختبار تحت الآرض تم تنحيتها في النهاية.

أخيرا بدآ الحفر في فاستراب عام ١٩٧٤ بالقرب من يوبينجتون في

صحراء كلهاري. واستغرق العثور على بقعة آمنة معزولة قدرا كبيرا من البحث. تم عمل ثلاثة مهاوٍ اسطوانية غير أن احدها فاض وكان عليهم التخلي عنه. آما الثاني وعمقه ١٨٥ مترا فكان جاهزاً في ١٩٧٦ والثالث وعمقه ٢١٦ مترا انتهى العمل فيه في العام التالي. وكان تركيب وسيلة الاختبار الأولى يجري على قدم وساق غير أن الروس عندئذ قرروا التدخل. وكان المأمول آلا يشاهد أي أحد حول العالم مثل هذه البقعة القصية ولكن قمراً صناعياً سوفييتياً كان يقوم بمسح المنطقة هو كوزموس ٩٢٢ مر فوق صحراء الكلهاري في يونيه ١٩٧٧. ولا بد آنه قد تم تحديد مكان لأعمال تشييد لأنه تم اطلاق كوزموس ٩٣٢ في الشهر التالي وكان له هدف محدد هو تصوير المنطقة.

وفي ٢٢ يوليو وفي الأيام الثلاث التالية قام بالطيران على علو منخفض. وبعد عودته الى الآرض أعد الفيلم في ٢ أغسطس وبين بوضوح مهاوي الاختبار وهي على وشك الاكتمال.

وأصدر ليونيد بريجنيف الرئيس السوفييتي بيانا من خلال تاس: وكالة الأنباء الرسمية «بناء على معلومات وصلت هنا يقارب العمل على الانتهاء في جمهورية جنوب أفريقية لصنع السلاح النووي وتتم الاستعدادات لتنفيذ التجارب.» عدد ٢٨ أغسطس سربت الواشينجتون بوست أن الأمريكان آكدوا هذه المعطيات.

تشير الأدلة الى أن مجتمع المخابرات في واشينجتون الذين كانوا يعلمون بالفعل عن اجراء التجارب غضوا النظر عن الأحداث التي كانت تجري في صحراء كلهاري الى أن فجر بريجنيف الموقف. وفي عام ١٩٨٢ تم القبض على الكمودور ديتر جيرهارد رئيس القاعدة البحرية الرئيسة لجنوب أفريقية في سيمونستاون بالقرب من كيب تاون باعتباره عميلا سوفييتيا. وصرح فيما بعد بأن موسكو حذرت واشينجتون من البرنامج النووي لجنوب أفريقية في ١٩٧٦ قبل طيران كوزموس بعام. اذ كان هناك اجتماع سري بين القوتين لدراسة أفضل طريقة للتدخل. وقال جيرهارد أن أحد الاقتراحات السوفييتية هو شن هجوم جوي على مصنع فصل اليورانيوم في بيليندابا غير أن الولايات المتحدة

رفضت هذه الفكرة. أخيرا مع افتضاح الاستعدادات أمام الجميع أجبرت القوى الغربية لممارسة الضغط على جنوب اَفريقية بهدف ايقاف النشاط الذي يجري في فاستراب.

في ٢٢ أغسطس أخبر وزير خارجية فرنسا لوي دي جيرينجو جنوب أفريقية بوجود «عواقب وخيمة» اذا تم الاستمرار في القنبلة. كما ألمح بأن محطة طاقة نووية تجارية في كوبيرج في الكيب يمكن أن تلغى. وقال ان فرنسا أبلغت بأن جنوب أفريقية سوف تجري «تفجيرا نوويا سلميا» لتحريك الأرض والتطبيقات الخاصة بالتعدين. وشكا جيرينجو في مقابلة اذاعية قائلا «من غير الممكن التمييز بين تفجير ذري سلمي وتفجير لأغراض الاختبار النووي العسكري.»

في اليوم التالي أجاب وزير الدفاع بو بوتا بصرامة على هذا الهجوم مخبرا العالم بأن النتائج كانت «غير معقولة وليس لها أساس بالمرة» عموما تم الغاء التجارب وأغلقت المهاوي. وأبلغ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر مؤتمرا صحفيا «استجابة لاستفساراتنا واستفسارات الدول الأخرى أبلغتنا جنوب أفريقية أنهم لا ينوون تطوير وسائل تفجير لأي غرض سواء كان سلميا أو كسلاح وأن موقع كلهاري موضع الحديث ليس مصمما لإستخدام إختبار متفجرات نووية وأنه لن يتم اجراء تفجير في جنوب أفريقية الآن أو في المستقبل.»

وسئل فورستر عن هذا التأكيد في مقابلة تليفزيونية لمحطة الأي بي سي بعد ذلك ببضعة أسابيع. فقال رئيس الوزراء الجنوب أفريقي انه لم يعط هذا التأكيد قط. ولم يصدر أي رد فعل على هذا من جانب وزارة الخارجية الأمريكية. تمكن صحفي من صحيفة الساندي ستار في يوهانزبيرج من زيارة موقع التجارب النووية في فاستراب عام. ١٩٩٣ وأجرى لقاء مع طاهية كانت تعمل هناك حين كانت تجري الاعدادات من أجل التجارب النووية. وتذكرت أنها كان عليها أن تطهو طعام كوشير بانتظام الكوشير هو الطعام على حسب

الطقوس اليهودية من أجل الزائرين مما يعد مؤشرا قويا على أن الخبراء النوويين الاسرائيليين لعبوا دورا رئيسا.

مع أن تجارب فاستراب توقفت الا أنه تم على عجل ابتكار طرق أخرى لاختبار الأسلحة المطورة حديثا. ففي ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٩ تمكن القمر الصناعي الأمريكي فيلا للانذار المبكر من تحديد مكان الوميض المزدوج المميز لانفجار ذري في جنوب المحيط الهندي بالقرب من جزيرة برينس ادوارد بجنوب أفريقية. فتسبب هذا في انذار على نطاق عالمي زاد من اشتعاله ملاحظة أدلى بها رئيس الوزراء بو بوتا قال فيها «ان المعادين قد يكتشفون في هذا أن لدينا أسلحة عسكرية لا يعلمون عنها شيئا.»

لو أن اختبارات ذرية قد حدثت فمن الذي كان وراءها «اتجه الرهان نحو اسرائيل بمساعدة جنوب أفريقية وهو تسلسل مزعج لرئيس الولايات المتحدة جيمي كارتر فبدأت تحقيقاً فورياً في هذا التطور. وكانت النتيجة الأولى التي خرج بها فريق من العلماء برئاسة البروفسر جاك روينا من معهد للتكنولوجيا هي أن تفجيرا نوويا قد حدث. ثم قالوا بعد اعادة النظر في الأمر ان علامة الوهج المزدوج ربما تكون قد نجمت عن خلل وظيفي فني..» وقال روينا «أو من الممكن أنه نتيجة لأثر نيزك صغير على القمر الصناعي. من المحتمل ألا تكون ناجمة عن انفجار نووي. مما خلق قدرا كافيا من الشك بحيث يتحاشى المزيد من الضرر الدبلوماسي غير أنه أصاب العلماء الآخرين بالحيرة وكذلك وكالة المخابرات المركزية. وصدرت الأوامر لطائرة من القوات الأمريكية مزودة بمعدات لجمع الغبار الناتج عن النشاط الاشعاعي بالطيران من الموقع في أستراليا وذلك لمساعدة روينا ولكن على ما يبدو حدث بها عطل في المحرك فوصلت بعد فوات الأوان بحيث لم يكن في امكانها الحصول على دليل ملموس. وبالرغم من تأكيدات روينا استمر الجدل. فؤلاء العالمون عن أجهزة الاكتشاف بالقمر فيلا قالوا ان هذه الأجهزة من المؤكد أنها لا تعطي قراءة زائفة واستخلصت دراستان قامت بهما وكالة مخابرات الدفاع ومعمل الأبحاث

البحرية في أمريكا استخلصتا حدوث انفجار نووي يقل قليلا عن ٣ كيلوطن.»

كما ظهر أيضا قمر صناعي تيورس ن تابع للولايات المتحدة اكتشف تفجرا كبيرا بشكل غير معتاد من اندفاع الالكترون. كذلك أبلغ العاملون في قاعدة سيوا في القارة القطبية عن وجود بقعة من الضوء الذي يشبه الهالة بعد حادث الفيلا ببضع ثوان وقال لوس ألموس أن هذا يمكن أن ينجم عن النبض الكهرمغناطيسي لانفجار نووي. فاذا ما وضعنا كل هذه العوامل معا يبدو من غير المحتمل امكان حدوث ظهور نيازك أو سوء قراءة فني في هذا الوقت بالضبط.

وقال عبد المينتي وهو خبير في الحركة المناهضة للفصل العنصري ان القمر الصناعي فيلا تحرك ولم يكن من المقصود أن يرى التجارب «بعد ذلك تم اختبار القمر الصناعي الفيلا واتضح أنه غاية في الدقة. وأن جميع سجلاته السابقة كانت دقيقة. لذا بدا الأمر وكأنه نوع من أنواع التستر.» وقال ان نيو زيلاندة أبلغت بعد ذلك عن وجود غبار نووي كما سجلت أحداثاً في طبقات الجو في أمريكا الجنوبية.

لقد أكد وجهة النظر هذه جيرهارد الجاسوس السوفييتي الذي قال ان هذا بكل تأكيد اختبار اسرائيلي جنوب أفريقي يعرف بالعملية فينيكس «كان الانفجار نظيفا ولم يكن من المفترض أن يتم اكتشافه. غير أنهم لم يكونوا بالذكاء الذي توسموه في أنفسهم وتغير الجو - لذا تمكن الأمريكان من التقاطه.»

بالاضافة الى الرؤوس الحربية النووية كان البلدان يعملان جنبا الى جنب في تطوير تكنولوجيا الصواريخ الباليستيكية. ومرة أخرى كان لدى جنوب أفريقية الكثير مما تقدمه للاسرائيليين. فبجانب الدعم المالي لتكاليف التطوير باهظة الثمن توجد لديها المساحات الشاسعة التي تستخدم لتجربة الصواريخ الجديدة. ففي ١٩٨٦ أعلن القائد بييت مارايس رئيس أرمسكور - مصنع التسليح الذي تديره الدولة في جنوب أفريقية - أعلن أن الأرض الموجودة في أوفربيرج بالقرب من رأس أجولهاس شرق مدينة كيب تاون سوف تستخدم كي

تسهل عملية تجريب الصواريخ طويلة المدى كي تستخدم في «سياق اقليمي.» ولم يشرح معنى هذا غير أنه ركز مما يثير الدهشة على «التطبيقات المدنية.»

في واقع الأمر كان مدى التجريب قد تم اكتسابه قبل ذلك بثلاثة أعوام. كانت أوفربيرج بعيدة الى الجنوب بقدر المسافة التي تمكن المرء من الذهاب الى القارة الأفريقية، كما كانت مكانا منعزلا بالقدر المناسب. ولم تكن جنوب أفريقية تنوي اختبار صواريخها فحسب وانما كانت تقدم منصة اطلاق لحليفتها اسرائيل التي كانت تجد صعوبة بالغة في الاطلاق من فوق أراضيها. ففي ١٩٨٨ نجحت البلاد في اطلاق قمر صناعي عوفير ١ في الفضاء موجهة أياه على طول البحر المتوسط كي تتجنب حدوث أية مشكلات مع الدول الواقعة في ذلك الاقليم. غير أن هذا كان مغامرة فلو أنه انحرف درجة واحدة فقط عن خط سيره لهبط اما في فرنسا أو المغرب. لذا فان وجود موقع في جنوب أفريقية لم يكن له أن يتسبب في مشكلات اطلاق كهذه وأشارت التقارير أن اسرائيل استخدمت مجال أوفربيرج عدة مرات في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين. وعلمت حين بحثت عن هذا في جنوب أفريقية أن «١٥ إسرائيلياً كانوا يعملون بانتظام في تطوير الصواريخ في تلك الفترة.»

وقيل ان هذا كان يجري منذ عام ١٩٧٩. وكانت ايران تمول جزءاً من برنامج اسرائيل الصاروخي الجديد ولكن بعد سقوط الشاه عرضت جنوب أفريقية أن تدخل على الخط.

في مارس عام ١٩٨٨ أعلن داني ستين وزير الشؤون الاقتصادية أن الخطط تعد من أجل البدء في صناعة فضاء خاصة بجنوب أفريقية للاتصالات والأغراض التجارية. فأولي اهتمام كبير لهذا الخبر المهم وهو أن جنوب أفريقية ستدخل عالم أعمال الفضاء في الوقت الذي كانت فيه أوفربيرج تعمل بلا قيود ولم تجذب أية دعاية أو اعلام. على أية حال قال تقرير في الواشينجتون تايمز ان اسرائيل وجنوب أفريقية على وشك القيام باختبار صاروخ باليستي جديد متوسط المدى. وتحاشى متحدث عن آرمسكور الموضوع بتقديم تفسير خادع قال فيه «نحن مقدمون على اطلاق صواريخ كي نختبر أداء المدى.

فجنوب أفريقية قوية في مجال الصواريخ اذ أننا أنتجنا العديد منها تتمتع بشهرة عالمية. ونحن غير مستعدين لأسباب واضحة للافصاح عن تفاصيل برنامجنا للتعديل. لذا فلن نعلق على أي تخمينات...» في ٥ يوليو ١٩٨٩ ظهرت تقارير عن عمليات اطلاق في أوفربيرج في المحيط الهندي لجهاز الاطلاق وحيد المرحلة خاص بجنوب أفريقية من أجل صاروخ متوسط المدى. واتخذ اسم أرنيستون على اسم بلدة بالقرب من منطقة الاطلاق. وأسماه القائد ماریاس حجر زاوية رئيس وقالت الصحافة انه عملية اطلاق أخرى ناجحة ملمحة الى عمليات سابقة. كما أذاعت شبكة التليفزيون الأمريكية ان بي سي قصة تقول فيها ان اسرائيل وجنوب أفريقية تتعاونان في انتاج، صاروخ، قادر نوويا. وقال المحرر ان الاسرائيليين ساعدوا جنوب أفريقية على تطوير صاروخها على أن يتم الاختبار في يوليو في مقابل اليورانيوم المشبع من أجل برنامجها الخاص بالأسلحة النووية. وأكدت متحدثة وزارة الخارجية الأمريكية مارجريت تتويلر أن حكومة جورج بوش كانت على علم بهذا التعاون وقالت ان هذه الصفقة تبين صعوبات استئصال مثل هذه الأسلحة. ورفضت أن تعلق بالمزيد لأن القصة التي أذاعتها قناة الان بي سي تعتمد على وثيقة من وكالة المخابرات المركزية «ان الادارة الحكومية لا تناقش الأمور الخاصة بالمخابرات.»

تم الكشف عن جهاز اطلاق من مرحلتين في نوفمبر عام ١٩٩٠. كانت الاشاعة تقول ان صاروخاً من ثلاث مراحل يتم انتاجه مشابهاً جدا للصاروخ الاسرائيلي ١٣ م شافيت اذ آنه مبني على أساس منصة اطلاق أريحة ٢. ووصف موظف في آرمسكور كان قد رأى أرنيستون لنا «ابن سفاح كبير أكبر قليلا من صاروخ سكد.» كما أخبرني عميل بالآرمسكور أنه تم الانتهاء من أنظمة الارشاد قبيل وصول فو دي كليرك للسلطة في نهاية ١٩٨٩. قال ان الاسرائيليين يقدمون المساعدة وما تم انتاجه في النهاية كان شبيها لصاروخهم أريحة ٢. «فعن طريق المشاركة في التكنولوجيا انتهى بنا الأمر الى شيء شديد الشبه.»

في ذلك الوقت أصبح لدى أوفربيرج مركز تحكم كامل في الطيران به شاشات تليفزيونية كبيرة وبنوك لتخزين الآلات مشابهة لذلك المستخدم في اطلاق مكوكي. حتى أن أحد من رأوه قال ان المرافق «مثل كيب كندي مصغر» ولكن كان هناك فرق وحيد كبير. اذ أنه مع أن أوفربيرج كانت ترحب بمهندسي الصواريخ الاسرائيليين الا أنها ظلت في سياسة عدم تشجيع الصحفيين والسياح وكانت أساسا قاعدة عسكرية على درجة عالية من السرية تديرها آرمسكور. في أكتوبر ١٩٩٢ تمت دعوة الصحفيين الى كيب هانجكليب وهو موقع اختبار آخر يقع نحو الغرب للمشاهدة اختبار ستاتيكي غير حركي لمحرك صاروخ جديد. وفشل في الاشتعال في أول مرة ولكن حين تم اصلاح العطل أدى أداء تاما مما أخاف المتفرجين من شراسته. وقال أحد المتحدثين بزهو يمكنه القاء ٥٠ كيلو ويستطيع وضع حمولة ٥٠٠ كيلوغرام في الفضاء اذا ما اتحد مع صاروخ مرحلة ثانية. كما قال ان الخطوة التالية هي اختبار المحرك «فراغ يحاكي ظروف وأحوال الفضاء.»

كان داوي دي فيليرز وزير جنوب أفريقية للمشروعات والأعمال العامة لطموحات المستقبل قائلا ان بلاده يمكنها أن تكون قريبا لاعبا كبيرا في مجال الفضاء الدولي. «هناك بالفعل اهتمام من جانب الشركات الدولية بأن تضع أقماراً صناعية مدارية منخفضة في الفضاء لاغراض تجارية. كما قال للصحفيين. وأعلن أن شركة تسمى هاووتيق ستكون رائدة الآن في تطورات هذا المجال. وظل الادعاء قائما بأن هذا كله من عمل جنوب أفريقية مع أن الصلة الاسرائيلية لم يكن لها أن تكون أكثر وضوحا من ذلك

تقدمت اسرائيل من انتاج صواريخ أريحة ١ و ٢ الى انتاج نسخة جديدة ١يي وهي ١٣ م شافيت. كان هذا هو جهاز الاطلاق ذا الثلاث مراحل الذي أطلق قمري أفق ١ وأفق ٢. ثم وضعت الخطط من أجل صاروخ من أربع مراحل يعرف بالصاروخ التالي قادر على اختراق الجاذبية الأرضية ويحمل بالطبع أحد الأسلحة الذي كان فعنونو يساعد على صنعها.

في فترة مشابهة كانت جنوب أفريقية آنتجت رسا ٣ ٢ ١وكان الأخير استنساخا من شافيت قادرا على اطلاق حمولة في مدار الأرض المنخفض. وقيل ان رسا ٣ شأنه شأن شافيت طوله ١٣ م. وصمم معادل صاروخ، التالي، لهذه الجمهورية رسا ٤ وكان طوله ٢٥ مترا.

وبدا أن المستقبل وردي عسكريا وتجاريا - غير آنه مرة أخرى تدخلت قوى خارجية. اذ أنه حين انزعجت الولايات المتحدة مما ينطوي عليه هذا هددت بأن تستخدم حق النقض الفيتو في ما يتعلق بقروض البنك الدولي ما لم يتم التخلي عن برنامج الصواريخ. فألحت آرمسكور قائلة ان أوفربيرج لن تطلق سوى أقمارا من أجل الاستخدامات المدنية مثل وسيلتها المسماة جرينسات لرصد الأرض ٣٠٠ ك. عموما كان الجرينسات هو أيضا موضع شك كما لا بد وأن الأمريكان كانوا يعلمون. اذ كانت عليه آلة تصوير قادرة على «التحليل العسكري عن قرب» وكانت اسرائيل في ذلك الوقت تخطط لاطلاق قمر تجسس في الجو بسفينة الفضاء الخاصة بها والمسماة عوفير ٣.

في يوليو من عام ١٩٩٣ وتحت ضغط مكثف أعلن عن أن الخطط المحلية لصناعة وسائل اطلاق تم التخلي عنها أنها «لم تكن اختيارا اقتصاديا.» وأعلن في يوليو ١٩٩٥ أن كبير خبراء أمريكا في التدمير يتم ارساله الى جنوب أفريقية لتدمير مواقع اختبار الصواريخ على نفقة وزارة الخارجية الأمريكية. فولد برنامج الفضاء الخاص بجنوب أفريقية ميتا مع أنه تقرر أن تظل أوفربيرج لاطلاق صواريخ الدول الأخرى على أساس عسكري.

في يوليو من عام ١٩٨٦ زار جنوب أفريقية فريق من كبار الاقتصاديين من وزارة المالية لتجديد الاتفاقيات التجارية وللتوقيع على حلف يسمح ليهود جنوب أفريقية بأن يصدروا ملايين الدولارات الى اسرائيل. كانت بريتوريا قد فرضت مؤخرا حالة طوارئ وكان الرأي العام العالمي يشتد ضد نظام الفصل العنصري غير أن حاجة اسرائيل لجنوب أفريقية كانت من الشدة بحيث تمنعها من الانحناء للضغط.

وفي ١٩٨٦ أصدرت الولايات المتحدة تشريعا لقطع المعونة العسكرية عن

أية دولة تمد جنوب أفريقية بالسلاح. وكانت اسرائيل تتلقى ٩٨ بيليون من المعونات العسكرية سنويا غير أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تطالب بقطع أية معونات حين استمرت اسرائيل في امداد نظام بريتوريا بصادرات تقدر بما يتراوح بين ٥٠ ميليون و ١٢٥ميليون سنويا وهو ما يبلغ عشرة في المائة من مبيعات اسرائيل من الأسلحة سنويا الى الخارج

مع مقدم عام ١٩٨٧ تزايد ضيق الكنجريس الأمريكي من تعاون اسرائيل مع جنوب أفريقية وأخذ يطالب باتخاذ اجراء ما. وفي مارس من ذلك العام عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي جلستين مطولتين لمناقشة مطالب من واشينجتون بأن تقطع جميع روابطها العسكرية مع نظام الفصل العنصري.

وأعلن شيمون بيرس وزير خارجية اسرائيل أنه لن تعقد أية صفقات جديدة وستقوم لجنة حكومية بمراجعة العلاقات الاقتصادية والثقافية والدبلوماسية. وقال ان النية منعقدة على جعل سياسات اسرائيل متماشية مع سياسات الولايات المتحدة وأوربا الغربية التي فرضت عبر السنوات عقوبات تجارية ودبلوماسية وعقوبات خاصة بالسفر محدودة على بريتوريا.

كما شن بيرس هجوما قويا على نظام الفصل العنصري اذ قال عنه انه سياسة «يرفضها جميع البشر.» ومع ذلك قال ان بلاده لن «تقود سياسة عالمية ضد جنوب أفريقية.» ولما لم يطلب أحد منها أن تفعل ذلك فكان هذا الاعلان نوعا من العبث كان بيرس جريا على عادته يكسب الوقت سوف يسترضي واشينجتون في الوقت الذي يحمي فيه مصالح بلاده مهما تعارضت هذه المصالح مع بقية العالم. أقر المسؤولون بأنه كانت هناك صلات وثيقة لبعض الوقت تحديا للحظر الذي فرضته الأمم المتحدة اذ جاء في التقارير أن كل وزير دفاع اسرائيلي في السنوات الأخيرة بمن في ذلك أرييل شارون وموشي أرينز وعزرا وايزمان واسحق رابين قاموا بزيارات سرية الى جنوب افريقية لتطوير الصفقات الدفاعية. وقالت وكالة الأسوشييتد بريس ان المسؤولين الاسرائيليين لم يكونوا يصرحون بعدد مثل هذه الاتفاقيات المعقودة بين الدولتين أو الموعد الذي تنتهي فيه

اذ قال أحد كبار المسؤولين «نحن لا نلعب ألعابا . فلدينا عقود طويلة المدى لها آثرها على الكثير من المصانع ولقد قررنا أنه عندما تنتهي هذه العقود لن نقوم بتجديدها . متى تنتهي؟ ليست لدي أية فكرة غير أن هذا لن يحدث بين عشية وضحاها .»

لم يحدث هذا بين ليلة وضحاها وكما هي العادة بدت الولايات المتحدة سعيدة بأن تسمح للأمور بأن تمر على أية حال تغير كل شيء في ١٤ ديسمبر ١٩٩٠ قبل أن تبدأ حرب الخليج بشهر واحد . اذ قال موشي أرينس انه تلقى من وزارة الخارجية الأمريكية رسالة تطلب فيها أن «توقف اسرائيل فورا جميع الروابط مع جنوب أفريقية في مجال تكنولوجيا الأسلحة النووية والكميائية واالبيولوجية.» فعلق أرينس قائلا «ان ارسال الادارة الأمريكية مثل هذا النوع من الرسائل في هذا الوقت يعد بالنسبة لنا مؤشرا على عدم الثقة المطلق.»

ولقد كان بالفعل اظهاراً لعدم الثقة ولكنه أيضا كشف كيف أجبرت الولايات المتحدة فجأة على اعادة تقييم سياساتها . اذ أنها أصبحت قلقة - في وقت متأخر - بالطبع من أن جنوب أفريقية كانت تزود العراق سرا بالصناعة العسكرية الصلبة والمساعدة التكنولوجية لصناعة أسلحة الدمار الشامل. وكان البنتاجون يعلم أنها كانت لفترة طويلة متواطئا رئيسا مع بريتوريا في هذه المجالات ومع تغير الأحداث في العراق لم تعد قادرة على التسامح مع مثل هذه الصلة الخطرة

مع تطور الأحداث يبدو أن شيئا كثيرا لم يتغير . فارول دي مونتي كبير مندوبي البعثة في سفارة جنوب أفريقية في واشينجتون صرح في عام ١٩٩٣ بأن اسرائيل وبلاده لم يدخلا في اتفاقيات تعاون قبل ذلك بعدة سنوات في مجال الأسلحة النووية والتقليدية فحسب وانما هناك بعض الاتفاقيات النووية ما زالت سارية المفعول.

ان نسيج الخداع المتشابك الذي سمح لفرنسا في البداية بأن تطور قنبلة ذرية بعد الحرب العالمية الثانية وهو الذي أدى باسرائيل الى أن تفعل ذلك سرا

والذي سمح لجنوب أفريقية بأن تسلح جيشها بسلاح نووي والذي ساعد تيوان هو نفسه أيضا الذي ساعد صدام حسين على أن يحصل على أسلحة نووية بدائية وان تكن كفوءة. لقد ظن فعنونو أنه يمكنه أن يحد من الانتشار وذلك بالتحدث علنا. واذا ما ظل صامتا كما أصرت اسرائيل وكذلك السماح لحفنة من الجنرالات والسياسيين بأن يتخذوا القرار من المؤكد ليس هو الطريق الأمثل.

دموع التماسيح

منذ اختطف مورد في روما رأيته مرة واحدة أثناء محاكمته. كانت أجهزة الأمن قد نوت أن يحاكم سرا دون أن يعلم أي شخص سوى عائلته أنه في اسرائيل. لو أن هذا حدث لاستدعي الشهود الذين يمكن الاعتماد على صمتهم ولست واحدا منهم ولأصبحت المحاكمة تمثيلية هزلية. كما سبق أن وصفنا أجبر شيمون بيرس على الاقرار بتردد بأن أجهزته الأمنية السرية تحتجز فعنونو واتبعت المحاكمة التي افتتحت في أغسطس ١٩٨٧ في منطقة القدس سطحيا الاجراءات العادية من استماع لاتهامات الخيانة والتجسس.

كان الشيء الوحيد الذي جعل هذه المحاكمة استثنائية هو شبكة الأمن التي أحاطت بالمحكمة وهو شيء غير مسبوق في تاريخ اسرائيل القانوني فمنذ أن سرب السجين تفاصيل اختطافه عن طريق كتابة رسالة على كف يده اتبعت طرق متزايدة في الغرابة لمنع الصحف أو مندوبي التليفزيون المنتظرين خارج جلسات الاستماع المؤدية الى المحاكمة من رؤيته أو الاستماع اليه. اذ أنه سرعان ما تم طلاء نوافذ الحافلة الصغيرة مباشرة بعد حادثة الكف كي تحل محلها شاحنة ليست بها نوافذ خلفية على الاطلاق. نصبت حول مدخل الشاحنة مظلة بحيث تتصل بالمحكمة حتى لا يرى أحد السجين وهو يزج به الى الخارج أو الى الداخل.

ثم فكر شخص ما في أن فعنونو سوف يكون أكثر أمانا اذا ما أجبر على أن يرتدي خوزة واقية أكبر من حجم رأسه. مما ولد النقد للطريقة التي عومل بها حتى من جانب الصحافة الاسرائيلية رؤية ملامح من السجين وهو يبدو كسائق عربة لتوصيل البيتزا. وتعجبوا أكثر ما تعجبوا حين بدأ فعنونو في الوصول

الى المحكمة يصحبه حرس يمسكون ببوق متنقل. كان هذا البوق يطلق حينما يكون فعنونو على مرمى السمع من الصحفيين فيصم آذان أولئك الذين يحاولون أن يكتبوا أو يذيعوا شيئا عن تشكيل المحكمة من خارج مجمع المحاكم.

لا تعمل اسرائيل بنظام المحلفين لذا تم تعيين ثلاثة قضاة كي يستمعوا الى شكوى فعنونو بأنه، غير مذنب، وكان أفيجدور فيلدمان قد تولى مهمة أن يكون محامي فعنونو بدلا من أمنون زيخروني وكان عوزي حسون هو ممثل الدولة. هذا على كثرته أو قلته كان معروفا لدي حين طرت الى اسرائيل أملا في أن يمكن للأدلة التي أملكها أن تبرئه.

حين وصلت الى المحكمة قابلني حرس مسلح وأخذوني الى حجرة داخلية حيث تم تفتيش محتويات جيبي وسلط علي جهاز الكتروني للكشف عن المعادن. ثم اقتدت عبر ممرات المبنى التي كان يخيم عليها الصمت كما كان متوقعا. وتم الغاء معظم الأعمال الأخرى في المبنى تقريبا وكان النجارون منشغلين في عزل النوافذ جميعها وكذلك جميع الابواب والردهات التي لم تكن لها حاجة على طول الطريق. كما سدت أجزاء من نوافذ حجرة المحاكمة نفسها وحين اقتادوني الى الداخل ادهشني أكثر ما آدهشني ما كانت عليه الحجرة من عراء. كان القضاة الثلاثة يجلسون فوق منصة مرتفعة. وكان محاميان أو ثلاث يجلسون في أسفل وأما فعنونو فكان محشورا بين اثنين من الحراس ضخمي الجسم وكان أكثر نحافة عما رأيته اخر مرة منذ عام. وجلس مسؤولو الأمن أقرب الى الخلف وما عدا ذلك كانت الحجرة خالية كان هناك القليل من كتب القانون والملفات أو أكداس من الأوراق كما يمكن للمرء أن يتوقع في محاكمة كبرى

ظل فيلدمان يسألني لعدة ساعات عن دوافع مورد: وكيف أنه لم يتلقَ أية نقود سوى نفقاته الشخصية: وكيف يتسنى في أية حالة ألا يتسلم أي شيء من نشر قصته في الساندي تايمز وانما من مستحقاته وصفقات الكتاب رويت حواراتي في أستراليا حين عرض مورد اعطاني كل شيء بما في ذلك الصور

الفوتغرافية اذا ما احتفظنا باسمه سرا وأكدت على أن مورد رفض ذكر أسماء الناس الذين عمل معهم وكان حساسا ازاء الحاق الضرر بأي شخص آخر. وكنت فوق كل شيء قادرا على التحدث عن دافعه الذي كان يسيطر عليه – وهو الكشف عن شيء كان يؤمن ايمانا قويا بأنه غير أخلاقي وضار بمصالح بلاده.

وجاء دور عوزي حسون ممثل الادعاء في وقت متأخر من نفس اليوم. كنت أتوقع موقفا شاقا مضنيا غير أن معظم التساؤلات كانت روتينية معتادة ومهذبة. كان الموقف شاذا بأكمله. فهنا أمام محكمة منطقة القدس يوجد الرجل أنا الذي أقنع هذا الجاسوس المزعوم بأن يصبح خائنا. الا أن القضاة والمحامين كانوا يعاملونني معاملة محترمة بل وبلياقة تقريبا ومع ذلك نظريا كان من الممكن أن أكون في الزنزانة مع فعنونو. ثار حسون فقط ازاء قضية واحدة. اذ توقف عند نقطة واحدة ونظر الى القضاة ثم نظر الي. «هل تعرف يا ميستر هونام أن ميستر فعنونو تحول الى المسيحية حين كان في أستراليا» «فقلت بالطبع أعرف، اذ كان ذلك معروفا لأي شخص يعرفه. ثم قال حسون وبريق الظفر يلمع في عينيه" اذن لا بد أنكم كنتم على وعي بأنه أدار ظهره لعائلته وبلاده.»

كدت أفقد أعصابي. ونظرت الى القضاة وقلت أن لا أحد في بريطانية يمكن أن يفكر بهذه الطريقة – فلا يصبح المرء خائنا لعائلته أو بلاده بتغيير دينه.

شعرت بأن هذه الفكرة مسيئة وتشير الى أن فعنونو يتحول الى كبش فداء. فأكدت مرة أخرى أنه تصرف على هذا النحو لأن لديه ضميرا يؤرقه مما يتم بناؤه في ديمونة والأثر الذي يمكن أن يحدثه هذا على آمال السلام في الشرق الأوسط. استمعوا الي بصبر وانتهت الأسئلة عند هذا الحد. سرت عبر المحكمة واتجهت الى مورد ووضعت ذراعيّ حوله قبل أن يتمكن أي شخص من التدخل وعانقته. فابتسم وشكرني غير أني لم أشعر سوى بالرعب. كنت أعلم أنه يثق بأنه سوف يبرأ من الاتهامات الأكثر خطورة – اذ أنه قال ذلك في العديد من الرسائل غير أني الآن كنت واثقا من أن الأمل ضئيل. لم يكن يبدو على

افيجدور فيلدمان أي شبه بمحام اسرائيلي رفيع المستوى غير أن المظاهر خداعة. هو شخص غير مهندم أو منظم غير أنه يتمتع بحبه للأدب والفنون ولكن الجميع يشهدون بأنه يمتلك احدى أفضل العقليات القانونية في اسرائيل. لقد انبنت حياته العملية على الكفاح نيابة عن المستضعفين بما في ذلك الدفاع في الكثير من قضايا عن الفلسطينيين والفوز بنسبة مئوية عالية منها قبلته أول مرة حين قرر مورد أن يرفض خدمات أمنون زيخروني بعد أن وصل الى استنتاج بأنه متحالف تحالفا وثيقا مع المؤسسة الاسرائيلية. كان فيلدمان الذي عمل مع زيخروني في السابق واثقا من أنه اذا وقف موقفا يلتزم بالمبادئ بالنيابة عن عميله الجديد يمكن أن يجلب حكما مخففا والبراءة على الأقل من تهمة الخيانة. وحين عرفت نتيجة المحاكمة في مارس من عام ١٩٨٨ أصيب فيلدمان بالصدمة تماما مثل فعنونو. ذلك أن الحكم بثماني عشرة سنة والادانة في جميع الاتهامات التي وجهت لمورد كانت أسوأ سيناريو أو تتابع ممكن للأحداث فنظر الى الوراء في الأحداث المحيطة بالمحاكمة كي يجد تفسيرا للقسوة التي عومل بها فعنونو.

وقال «ان السرية خلقت جوا سلبيا جدا حول المحاكمة. ذلك أن المحكمة شعرت بأنها مشتركة في نوع من الطقوس: الأمر كله اتخذ أبعادا أكبر من الواقع وكان قدر كبير من الضبابية يحيط بالمحاكمة. وهذا لم يساعد في الوصول الى حكم متعقل في ما فعل.»

وأضاف قائلا «أعتقد أن هذه القضية فريدة في تاريخ اسرائيل القانوني من ناحية السرية ومن ناحية كل هذا الغموض المحيط بموضوع السلاح النووي الذي كان يغلف المحاكمة. فهو واحد من أكبر المحرمات في المجتمع الاسرائيلي وهذا ما انعكس في القضية.» «طلبت أن تكون كل جلسة في القضية تقريبا علنية أمام الجمهور لانني شعرت بأن هناك نوع من 'الضغط يمارس في قاعة المحكمة كان هناك نوعاً من الجو الطقسي. ورفضت المحكمة طلبي مرة تلو مرة. بل اقترحت أنهم اذا كانوا لا يريدون لمورد أن يتصل بالجمهور أن

توجد طريقة لمنع ذلك حتى لو جلس في زنزانة من الزجاج. ورفضت محكمة المنطقة جميع هذه الأفكار.»

لقد مر اثنى عشر عاما وما زال فيلدمان مقيداً في وصفه للطريقة التي اتبعها للدفاع عن فعنونو. «لأن المحاكمة كانت سرية حملت على توقيع اتفاق بالسرية مؤداه أنه ليس مسموحا لي بأن أشيع المعلومات. ان خطنا الرئيس في الدفاع الذي يمكن اعلانه هو أن هناك أموراً معينة لا يمكن ابقاؤها خارج العملية الديمقراطية. وان مسألة ما اذا كانت اسرائيل سوف تطور ترسانة نووية وما نوع هذه الترسانة شيء يجب كشفه. لذا كان يمارس حرية التعبير تلك الحرية التي يحميها القانون الاسرائيلي. وليس مما يناسب المجتمع الديمقراطي أن يعلن أن الشأن النووي بأكمله سرا على أعلى درجة من السرية.

«ثمة خط آخر للدفاع هو قضية الخيانة. اذ قلنا ان المرء لا يمكن أن يكون جاسوسا اذا ما أعطى معلومات لاحدى الصحف. فالخيانة بالتحديد هي تكوين نوع ما من الصلة أو التحالف مع دولة أجنبية معادية. وعلى حد علمي هذه هي القضية الأولى في اسرائيل أو في أي مكان تشاء في العالم حيث يتهم شخص ويثبت أنه مذنب مدان بالخيانة ليس عن طريق وجود صلة بينه وبين حكومة أجنبية سواء معادية أو غير معادية وانما الصلة هي بالصحافة فقط.»

مما أصاب فيلدمان بالكآبة أن قاضيا واحدا لم يتبنَّ حججه بالقدر الكافي الذي يمكن من تخفيف الحكم". في موضوع الأمن قالت المحكمة كانت الحكومة هي المحكم النهائي في ما يعتبر سرا وما لا يعتبر كذلك. وهذا يعطي الكثير للسلطة التنفيذية بأن يعلنوا كل ما يرونه ملائما على أنه سر. لا يمكن التصريح به وهذا يعد كما أحس غير ديمقراطي ثانيا قالت المحكمة ان كشف المعلومات لصحيفة تكون المعلومات بذلك أصبحت متاحة للحكومات الأجنبية والدول العربية. أود أن أجادل بأن هذا رغم أنه صحيح عليك أن تنظر الى مسألة هل كانت النية هي الاضرار بأمن الدولة وهي لم تكن نية فعنونو.

«قبلت المحكمة أنه كان يتصرف لأسباب أيديولوجية غير أنها قالت ان من يتصرفون بهذه الطريقة أناس خطرون. وقدمت أمثلة غريبة جدا مشيرة الى

النظم النازية. ان شعوري هو أن الحكم بالسجن لمدة ١٨ سنة على شخص لم يلحق أي ضرر بأمن البلاد لهو حكم غاية في القسوة. ولكننا فشلنا حتى الآن في احداث أي أثر من خلال الاستئنافات وطلبات الرأفة ومن خلال الضغط الدولي.» وفي ١٩٩٩ ما زال فيلدمان يكافح كما أنه هو ونائبه رونيت روبينسون الوجهان الودودان القليلان اللذان يراهما مورد بانتظام. لقد قال ان الرأي العام يتغير بالتدريج. «شعوري وأنا أتحدث مع الناس وحين يتعرفون علي باعتباري محامي مورد هو أنه لا يوجد شعور بالعداء الشديد نحوه. فهم يفهمونه أكثر على أنه شخص غامض. فلا يفهم أحد حقا لماذا جازف مثل هذه المجازفة الشخصية ودفع مثل هذا الثمن بشخصه من أجل شيء لا يعنيه بشكل مباشر.»

لو أن ما كشفه مورد عن ديمونة قد حطم حياته فلقد انقلبت حياة أخيه مبير رأسا على عقب. حين كان مورد في ديمونة كان مبير يدرس كي يصبح محاميا في اسرائيل ولكن قبل أن يكمل الامتحانات النهائية المؤهلة اتجه الى الخارج جزئيا بسبب سخطه على حالة السياسة في بلاده. وحين كان مورد يتحدث الي في آستراليا كان مبير يعمل في أحد المطاعم في بوستون ماساتشوستس. ووصل الى المملكة المتحدة بعد اختفاء أخيه كي يتقدم الحملة التي نظمت لتحريره وكان هذا الهدف يتحكم في حياته منذ ذلك الحين.

اذ عاش على مدى الثلاث عشرة سنة الماضية حياة مضطربة غير مستقرة – في احدى المراحل اتهمه الاسرائيليون هو نفسه بتسريب معلومات سرية عن مورد. فهو واحد من أقرب الناس الى مورد وموضع ثقته فهو بمثابة دليل على ولاء الأبناء ذلك أن مورد كان يعتني به وفي أحد المؤتمرات عام ١٩٩٦ في اسرائيل أفصح عن أفكاره في السبب الذي حدا بأخيه أن يتصرف على هذا النحو الذي تصرف به والسبب الذي من أجله ما زال يتلقى العقاب. لقد قرأ مبير من رسالة أرسلها له مورد في اليوم الذي غادر فيه أستراليا: «عزيزي مبير قررت أن أخبر الساندي تايمز بكل ما أعرفه عن عملي في ديمونة. لقد فكرت في هذا الموضوع كثيرا ومررت بعملية طويلة من مناقشة الذات. ومع أني قررت ألا أتورط الا أني أشعر بأن علي أن أفعل ذلك وليست هناك منطقة وسطى.

فاما أن أفعل ذلك أو لا أفعله لا أريد أن أتسبب في الأذى للعائلة... آمل في أنك سوف تتفهم موردِ.»

ثم قرأ مبير مقتطفا من رسالة كتبت بعد ذلك بعام من سجن عسقلان. قال فيها «لم أكن أريد أن أصبح بطلا. ولم أرد أن أكون مشهورا. لم أكن أريد أن أؤدي هذا العمل غير أني كنت أعرف أنه لا بد أن يفعله أحد ولا يوجد شخص آخر سوف يقوم به.»

وحجة مبير هي أن اسرائيل ليست مجتمعا ديمقراطيا بالمعنى الصحيح للكلمة وسائل الاعلام لا هي بالحرة ولا هي بالمستقلة اذ تحجر على أي سبيل وسط للتعبير. فهي تشترك طواعية في تشكيل الرأي العام على نحو يتلاءم مع مصالح الحكومة. وقال مبير للمؤتمر «حاكمته وسائل الاعلام وحكمت عليه حتى قبل بدء المحاكمة. ففي جو الارهاب والكراهية المحيط بهذه القضية لم تحكم عليه أجهزة الأمن السرية... فحسب بانتهاك السرية وانما بالخيانة والجاسوسية البشعة. وفي كلتا القضيتين - الجاسوسية والخيانة يتطلب القانون عنصر الاتصال بعميل أجنبي أو حكومة أجنبية غير أن وسائل الاعلام والسلطة القضائية بالمثل يخدمان الحكومة عن طواعية. فهما أداتها. حين سُئل شيمون بيرس في محاكمة أخي عن الضرر الشديد الذي لحق بأمن اسرائيل أجاب بأن هذا أيضا من الأسرار. وبعد مرور عشر سنين ما زال السؤال في حاجة الى اجابة أمينة.»

وختم مبير كلامه قائلا «لقد وصلت منذ سنوات الى استنتاج مؤداه أن الأمر لا يتعلق بما يقول وانما يتعلق بأنه يقوله. بكونه شاهد عيان بأنه شخص غير مرغوب فيه في ما يتعلق باسرائيل والولايات المتحدة وبريطانية وفرنسا. أعتقد أن الحكومة الاسرائيلية لا تريد للكنيست والجمهور ووسائل الاعلام أن تكون المعلومات معلنة للمناقشة. والجمهور... في الواقع يقول، نحن لسنا في حاجة الى أن نعرف. فنحن نعتمد على زعمائنا، أما أنا فأقول نحن ليس لنا الحق في أن نعرف فحسب وانما من واجبنا أيضا أن نعرف.»

لذا فان الاختيار الذي يواجه فعنونو لم يكن له أن يكون أكثر وضوحا واجب

البقاء صامتا ولا يصبح خائنا في مواجهة واجب الكشف عما يعرف. وليس هذا موضوعا سهلا بحيث تحسمه أية محكمة ولقد خذل النظام القضائي الاسرائيلي فعنونو حين لم ير أن عليه واجبا أخلاقيا في أن يطلق صفارة الانذار.

على ضوء هوس اسرائيل بالأمن ليس من المدهش أن المؤسسة كسبت كل مباراة. فلم تكن حجج فيلدمان المعقدة من قبيل ضرب المثل بالسوابق الدولية لتصمد أمام تحامل جيل من القضاة ربوا على مقولة «لا تنسوا المحرقة.» فالمجتمع الذي يستطيع أن يساوي تحول قلبي من اليهودية الى المسيحية بالخيانة لن يقدر بطولة شخص كانت قضيته أن يكون مطلق صفارة الانذار النووي.

ماذا اذن عن الدول الغربية الأخرى التي لها مصلحة مباشرة أو غير مباشرة في قضية فعنونو «بادئ ذي بدء تبرز ايطاليا متهمة بالاهمال الجسيم لحقوق مورد. كتب مورد بشجاعة وجسارة تفاصيل رحلته الجوية الى روما على كف يده وتمكن من أن يبينها للصحافة بينما كان ذاهبا الى المحكمة. وبذلك يكون قد نشر بيانا قانونيا مؤكدا على تفاصيل رئيسة عن، اختطافه، تمكن بعد تحريات كثيرة من تعقب سيندي في منزل في ناتانيا وأن نكتشف اسمها الحقيقي شيريل بينتوف وأن نجمع ملفا كاملا مبينا تواطؤها في عمل غير شرعي من أعمال الاختطاف على التراب الايطالي. ومع ذلك لم يصدر أي فعل من ايطاليا في أية مرحلة عبر الاثنتي عشرة سنة الماضية. والأسوأ من ذلك أنه كانت هناك محاولة رسمية للاساءة لسمعة فعنونو وما كشف عنه

بدأ التحري دومينيكو سيكا الضابط الفاحص للموضوع الذي طلع باكتشاف يثير الضحك. اذ قال سيكا ان فعنونو كان شريكا بمحض ارادته في ممارسة عملية تحريف للمعلومات جيدة التنظيم. في واقع الأمر كان فعنونو محتالا من الممكن أنه كان عميلا لاسرائيل. اذ قال التقرير الايطالي الرسمي لم تكن هناك أية أدلة على اختطافه في روما وقال سيكا ان الصور الفوتغرافية لديمونة تم التقاطها في تتابع جيد التنظيم - كجولة سياحية بواسطة أحد

المرشدين - وليس في امكان أي مطلق لصفارة الانذار أن يدبر ذلك. وقال سيكا ان الرسالة التي كتبت على يد فعنونو مصاغة بانجليزية أفضل الى حد بعيد من قدرة فعنونو على الكتابة. واستخدام سيندي لاسمها الحقيقي هانين، مشكوك فيه الى حد كبير. وأما عن تعقبي لها ومعي آخرون من صحفيي الساندي تايمز لا بد أن يكون تمثيلية لا يمكن تصديقها.

لن يمل المرء تكرار مدى زيف هذه الأقوال. فالمرأة أغرت فعنونو حتى ذهب الى روما استخدمت هوية مزيفة - هوية شقيقة زوجها. واستغرق الأمر منا ما يربو على عام حتى نتعقبها ونكشف أمرها. أما صور ديمونة فلن تلتقط في تتابع ونظام - فبعضها كانت صورا شفافة في حاجة الى شرائح والأخرى مطبوعة والتقطت بطريقة عشوائية. كذلك الرسالة التي كانت مكتوبة على يد فعنونو كانت بلغة انجليزية ليست بالجيدة. قصارى القول كان سيكا مخطئا في كل ما قاله لقد قمت بست زيارات الى روما كي أطلع سيكا على الأمر وأزوده بكل قصاصة من دليل على الاختطاف. ولم يغلب ولو مرة واحدة الرأي القائل بأن الساندي تايمز كانت ضحية لعملية خداع كما يوحي تقريره

لا بد أن يدرك سيكا بعد ١٢ سنة أن فعنونو كان عميلا للاسرائيليين وأن فعنونو قضى كل هذا الوقت في السجن خدمة لبلاده أو أن الاسرائيليين يتصنعون القبض عليه بعد أن تصنعوا محاكمته وتزييف مئات الرسائل من فعنونو الى مؤيديه. ولكن مما يؤسف له أن تقرير سيكا قد وضع في الملف كي يعلوه الغبار. فالحكومة الايطالية لا تريد أن تهز المركب مع أن هويتها - نوجا - من المعروف أنه سيكون من الصعب تهدئة نواة تتنامى ممن يشنون حملة من أجل فعنونو في روما، من الذين يشعرون بالسأم من الجمود ويشعرون أن فعنونو يجب أن يعاد الى هناك رجلا حرا.

أما صلة أمريكا فقد تمت تغطيتها وتغليفها ومع كل هذا تعد فضيحة. ذلك أن المعلومات التي قدمها فعنونو هي بمثابة دليل قوي على أن الاسرائيليين كانوا يتحاشون محاولات جميع الرؤساء الأمريكيين للحدّ من انتشار الأسلحة النووية بينما هم يتلقون بامتنان بلايين الدولارات من المساعدة الأمريكية. وأقل

ما كان للولايات المتحدة أن تفعله هو أن تقدم المساعدة لاطلاق سراحه. ذلك أن كلمة حصيفة واحدة كانت خليقة بتخفيف ظروف سجنه على أقل تقدير غير أن قصته كانت مصدر حرج - شيء يحسن تجاهله. أخيرا شع وميض من الأمل في ابريل عام ١٩٩٩ حين اضطر بيل كلينتون الى اصدار بيان علني عن محنة فعنونو. ووقع ٣٦ عضوا من مجلس النواب على خطاب يطالب باطلاق سراحه على أسس انسانية. اذ كتبوا «في الوقت الذي ليست لدينا أية رغبة في التدخل في شئون حكومة أجنبية نشعر بأن علينا واجبا في أن نقف تأييدا لرجال ونساء مثل موردخاي فعنونو. أي الرجال والنساء الذين يجرؤون على التعبير عن رؤية للانسانية أكثر سطوعا.»

كان من الممكن لكلينتون أن يتبع خط وزارة الخارجية المعتمد - وهو أن هذا شأن اسرائيلي داخلي - غير أنه سار الى أبعد مما هو ضروري تماما....

«ان خطابكم يثير مسائل مهمة وكما تعلمون لقد تابعنا عن كثب موضوع سجن ميستر فعنونو. ونحن معنيون بصفة خاصة بالتقارير المتعلقة بالظروف التي يقبض عليه بناء عليها. كما أني أشارككم قلقكم بشأن البرنامج النووي الاسرائيلي. اذ أننا ألححنا على اسرائيل مرارا وغيرها من الدول غير المشاركة في معاهدة عدم الانتشار بأن تلتزم بالمعاهدة وأن تقبل الضمانات الشاملة التي تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية. أشكركم مرة أخرى على مشاركتي أفكاركم في هذا الموضوع. ولسوف نستمر في اثارة هذه القضايا في مناقشتنا مع حكومة اسرائيل.»

كانت استجابة كلينتون بمثابة قدر قليل من الارتياح لفعنونو وللذين يشنون حملة من أجله في الولايات المتحدة وعلى رأسهم سام دي الذي ساعد على تنسيق مبادرة الكنجريس. ونأمل في أن اهود باراك رئيس الوزراء الاسرائيلي الجديد أن يكون أكثر لينا من سلفه المتصلب بنيامين نتانياهو. بالنسبة لمورد يوجد دائما أمل ولكن القليل من التحرك. ويظل السؤال هل الولايات المتحدة مهتمة حقا بمواجهة دورها في مساعدة اسرائيل على صناعة القنبلة "تبين أنشطة تراسرلاب في بلجيكة أن المفاعل في المجمع لم يكن له أن يعمل قط دون

معدات الولايات المتحدة الفنية السرية. هل كان هذا السر الأثيم معروفا في دوائر واشينجتون وهل كانت سيندي تساعد وكالات أخرى غير الموساد ربما وكالة المخابرات المركزية في الاحتفاظ بالغطاء فوق الفضيحة الدبلوماسية "هناك امكانيات غير عادية تنكشف عند التفكير في أن تراسرلاب زودت اسرائيل بثلاثة أنظمة تحكم وكذلك جنوب أفريقية وكوبة. من ناحية فعلية يمكن لهذه الأنظمة أن تساعد أية دولة على انتاج البلوتونيوم. كما أن فكرة أن اسرائيل لديها مفاعل آخر مختبئ في مكان ما فكرة تبعث على الدهشة وسوف تتسبب في الكثير من القلق الدولي ولكن فكرة المفاعلات القائمة على البلوتونيوم قد تكون بنيت بمساعدة الولايات المتحدة في أرض الفصل العنصري وفيديل كاسترو تعد فكرة مذهلة. لقد حان وقت التمحيص في أنشطة تراسرلاب السابقة تمحيصا عميقا.

ربما كان أكثر الأمور مدعاة للحزن هو ما لبريطانية من صلة. فمن وقت لآخر عبرت الحكومة البريطانية عن القلق بشأن ظروف سجن مورد غير آنها لا تحرك ساكنا لتغيير هذه الظروف. هناك بضعة أعضاء برلمان يحضرون اجتماعات وأناس يقومون بجمع الأموال لحملة تحرير فعنونو وصلوات مسائية تعقد بالقرب من السفارة الاسرائيلية وكل هذه مؤشر على عزم جماعة من الناشطين المؤمنين بقضيتهم وعلى رأسهم ايرنيست هودكر والممثلة سوزانا يورك يريدون أن يروا فعنونو وقد صار حرا في أقرب وقت ممكن.

لم يهتم أحد في المملكة المتحدة بقضية أن مؤامرة الاختطاف وضعت في لندن ولا بأن شيريل بنتوف خائفة من العودة الى انجلترا حتى لا يلقى القبض عليها على الرغم من وجود أدلة مؤكدة كافية لمتابعة ادعاء جنائي يتهمها بالتآمر من أجل الاختطاف. ذلك أن اتجاه الشرطة هو أن المسرحية انتهت في ايطاليا لذا لا حاجة للقيام بأي تصرف.

ان الشيء الذي يصعب تفسيره هو طريقة معالجة الساندي تايمز الصحيفة التي وثق فعنونو بها والتي اكتسبت مكاسب ضخمة من هذه القصة. لم أعمل في الصحيفة منذ ست سنوات وقد خبا اهتمامها في هذه السنوات براحة

فعنونو مع أن هذه القصة هي التي تغطي كل ما هو مثير في صفحاتها الخاصة للشؤون الخارجية.

لا يوجد واحد من الصحفيين أو الاداريين التنفيذيين الذين كانت لهم علاقة بالقصة الأصلية فيما عداي يظهر أي اهتمام بمساعدته في آن يتحرر عن طريق تقديم المساعدة أو حتى الدعم المعنوي. تنشر الصحيفة اعلانا صغيرا للمساعدة على جمع المال غير أنها تنازلت عن مسؤوليتها من حيث الصراع القانوني في اسرائيل.

بينما كنت أكمل هذا الفصل أرسل ريتشارد كيسبي خطابا وهو المحرر الاداري للساندي تايمز الى أفيجدور فيلدمان الذي كان يمثل فعنونو دون أتعاب لعدة سنوات رغم أن هذه الحقيقة تتبخر. يقول كيسبي في خطابه بصراحة فظة انه لم «يكن هناك مطلقا أي التزام بدفع تكاليف مورد القانونية... تقبل الساندي تايمز حقيقة آنك أنفقت قدرا كبيرا من الوقت في العمل نيابة عن موردخاي غير آنك فعلت ذلك بارادتك الحرة ولا يوجد محل لأن تعوضك الساندي تيامز سواء كليا آو جزئيا عن مثل هذا العمل.» وحين أقرأ هذا الخطاب أحس بالخجل من أني كنت متورطا في هذه القصة وأشعر بالأسف يا مورد لأني دفعتك الى الثقة بنا في ما يتعلق بسلامتك. اذ لم تتح لك الفرصة أبدا في التوقيع على عقد كان له أن يجبر الساندي تايمز قانونيا على آن تقدم لك المساعدة. اذ قبضت عليك الموساد آولا.

لقد قضى مورد أكثر من احدى عشرة سنة من الثلاث عشرة سنة الأخيرة في حبس انفرادي ويتبقى له خمس سنوات أخرى في السجن ما لم نستطع أن نفعل شيئا لمساعدته. أنا لست خائنا ولم آكن أو جاسوسا. وهو لم يُفشِ أسرارا لقوى أجنبية كما لم يكن يتجسس لصالح احداها. ان موردخاي فعنونو هو مطلق صفارة الانذار لم يسرب المعلومات لأحد الأعداء وانما لصحيفة دولية. من وجهة نظري لقد تصرف بعناية وشجاعة هائلة حين جهر برأيه واذا ما أخذنا قناعاته في الاعتبار لوجدنا أنه من المحتمل عدم وجود بديل من حيث الموقف الأخلاقي فأي عمل قام به في اسرائيل كان كفيلا بأن يؤدي الى

القبض عليه. هل كان في امكانه أن يشكو الى أي جهاز دولي مثل وكالة الطاقة الذرية الدولية «حسب سجلها أشك في أنها كانت سوف تفعل أي شيء سوى دفن الموضوع ومن المؤكد كان سوف يتم العثور على مورد ومعاقبته. ان ما اختار فعله وضع الحقائق أمام الجميع بما في ذلك الجمهور الاسرائيلي. وبأي ضرر» مرت اثنتا عشرة سنة وما زالت اسرائيل تحتفظ بترسانتها النووية وما تزال تحصل على تمويلها من الولايات المتحدة. لم يتم اضعاف اسرائيل عسكريا بل من الممكن الجدال بأنها صارت أقوى نتيجة لما كشف عنه.

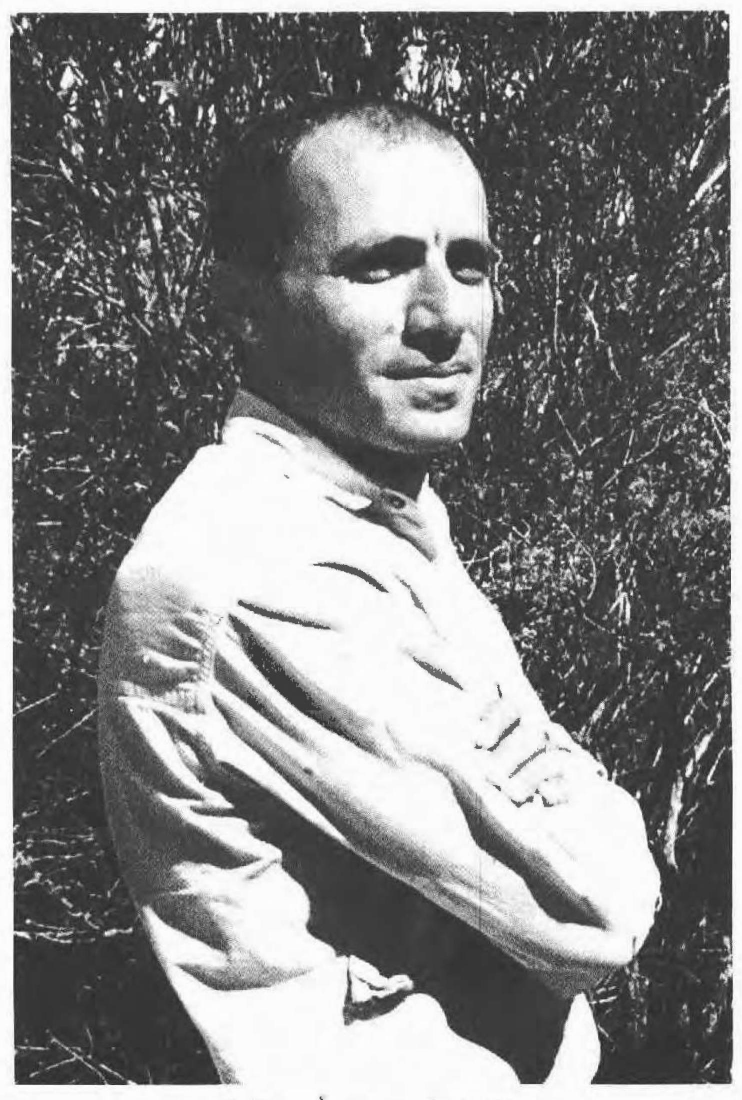
عاش مورد في بطالة اجبارية لمدة أكثر من اثنتي عشرة سنة ولكن هذا بالتأكيد لم يحدث لديمونة. فما زال المفاعل يعمل وكذلك مصنع الفصل.

لماذا «يمكن للمرء أن يحسب أن هذا البلد قدم ما يتراوح ما بين ٢٠٠ – ١٠٠ أخرى من القنابل النووية منذ عام ١٩٨٦ ماذا يفعلون بها؟ وهل لديهم حقا خطط استراتيجية لتوزيع ٣٠٠ أو ٤٠٠ منها» من المؤكد أن المرء يستطيع أن يفهم السبب في أن الدول الأخرى في الشرق الأوسط حريصة على تطوير أسلحة الدمار الشامل الخاصة بها مما يضيف لسباق التسلح الذي كنا نأمل في أنه قد انتهى.

كما بيَّنا في هذا الكتاب كانت اسرائيل لفترة طويلة تتمتع بتصريح ضمني بأن تكون حالة خاصة ذلك أن الولايات المتحدة وحلفاءها قررت أن للوطن القومي اليهودي الحق في أن يصبح قوة نووية كبرى سرية وذلك لأسباب ستراتيجية ولأن اسرائيل نجحت في أن تخدع بذكاء بقية دول العالم ولم يشعر سوى القليلين بالقدرة على تحدي ازدواجية اسرائيل لأن اليهود في وقت من الأوقات عانوا كثيرا من المحرقة كما أن قليلين من الناس في اسرائيل على استعداد للجهر بآرائهم لأن الأمن له الأهمية العليا.

لكن من المؤكد أن وقتا سوف يأتي يوضع ما كشف عنه فعنونو موضع الدرس والتمحيص. ان دور اسرائيل في مساعدة جنوب أفريقية وتيوان تقريبا في بناء أسلحة الدمار الشامل الخاصة بهما يبين أنها لم تكن قط راغبة في احتواء انتشار الأسلحة النووية حين يلائم ذلك مصالحها الخاصة

انه مدفع منفلت بالمعنى الحرفي للكلمة. وعلى ما يبدو أن سورية تطالب باغلاق ديمونة كجزء من صفقة سلام تعقدها مع اسرائيل. لذا فان هموم فعنونو هي في المقدمة من المبادرات السياسية في الشرق الأوسط اليوم. وكل ما نستطيع أن نأمل فيه هو أنه مع اغلاق المجمع سينال مورد حريته أخيرا دون أن يكون عليه أن ينتظر خمس سنوات أخرى طويلة.



فانونو في سيدني، أوستراليا



فانونو مع أوسكار غيريرو



فانونو مع المؤلف بيتر هونان



היה שם

זקן חדש, מותר לפרסום

صورة فانونو في إحدى الصحف الإسرائيلية



لافتة لفانونو وهو يرفع للصحفيين رسالة كتبت على راحة يده



صورة لسيدني واسمها الحقيقي شيريل بنتوف



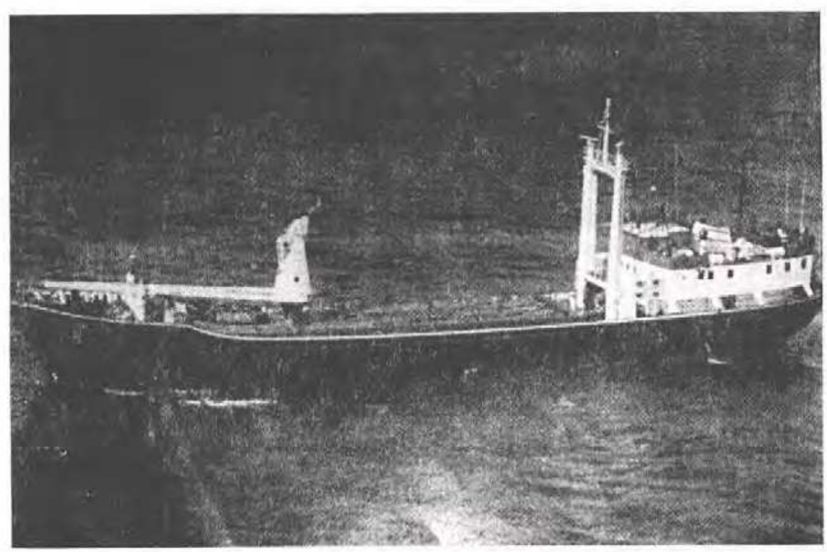
شيريل بنتوف
كما رآها أحد
الفنانين



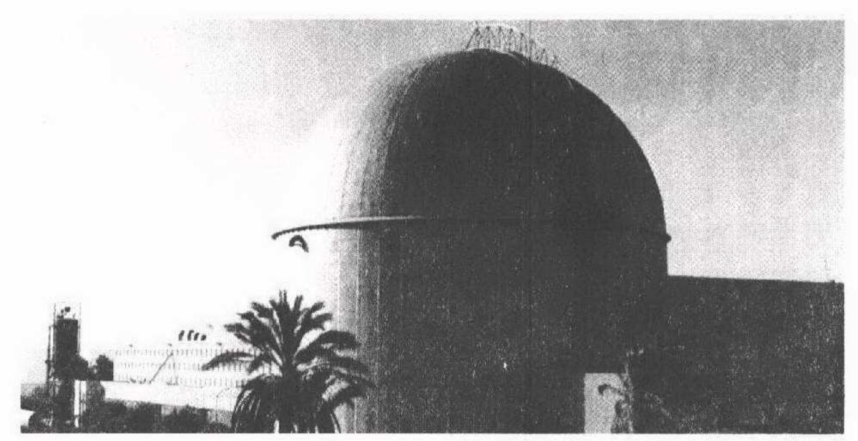
شيريل بنتوف
في صورة أخذها
المؤلف بعد
المواجهة في
إسرائيل

شيريل بنتوف وشقيقها راندي إلى اليمين، وزوجها أوفر في حفل زواج عائلي

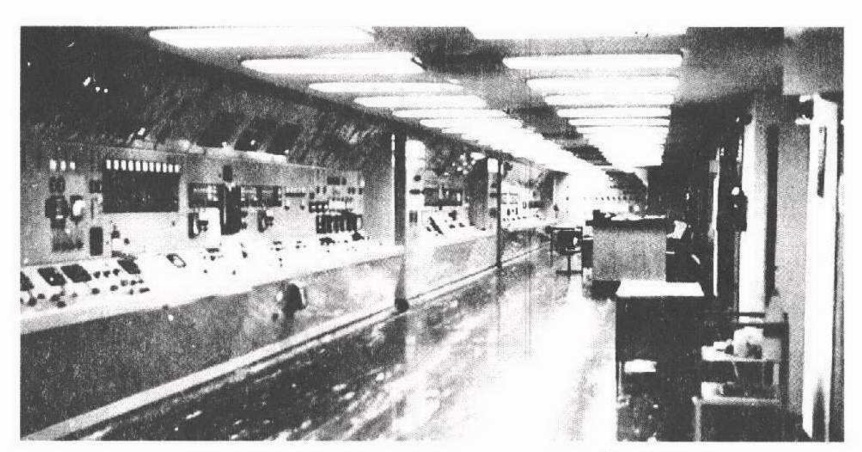
عميلان من جهاز الإستخبارات الإسرائيلي الموساد يتجسسان على مبنى صحيفة الصنداي تايمز على هيئة مصورين



السفينة الإسرائيلية «نوغا» التي استعملت في خطف فانونو من إيطاليا لإعادته إلى إسرائيل



صورة أخذها فانونو لمفاعل ديمونة النووي



لقطة سريّة لغرفة المراقبة في مصنع فصل البلوتونيوم



مختبر لإنتاج « الطلقات الخطاطة» في بلجيكا وتبدو أزرار التحكم في الخلفية

الفهرست

– المقدمة ٥

– العثور على فعنونو ١١

– حبيس لندن ٣١

– أين فعنونو؟ ٥٣

– الخروج للعلن ٧٧

– الموساد تتحرك ٨٩

– الانجذاب القاتل ١٠٣

– الاختطاف ١١٩

– تعقب سيندي ١٣٣

– العامل الأمريكي ١٥٧

– الرقص مع الشيطان ١٧٢

– دموع التماسيح ١٩١